

السَّيِّدُ الطُّوسِيُّ مَفْسِرًا

خُضَيْرٌ جَعْفَرٌ

مرکز اشارات وفتنات اسلامی حوزه علمیه قم / ۱۳۷۸



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقدير

نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأخوة الذين ساهموا في إنجاز هذا الأثر :

مراجعة : بوذر ديلمى ، لطيف فراڊى ، محمد حسين مولوى.

صف الحروف : رضائان ، محمدى.

ترتيب الصفحات : مصطفى ساعدى ، أحمد أخلى.

مقابلة : اسماعيل بيگى ، عبدالكاظم كاظمى ، غلامرضا معصومى.

الإشراف الفنى : على قابلى.

المشرف على الطبع : محمد عيسى غورقاندلو.

المتابع الفنى للطباعة : سيدرضا موسوى منش.

مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الإسلامى

ارديبهشت ۱۳۷۸ / محرم الحرام ۱۴۲۰

الإهداء

إلى الذي كان حُلُمُه القرآن ...

إلى الرسول القائد ...

محمد بن عبد الله ٩

أهدي هذا الجهد المتواضع ...



## المقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين .  
و بعد : فقد كان القرآن الكريم ولا يزال موضع احترام المسلمين وتقديسهم ، فمنه يستمدون أسس اعتقاداتهم ، ويستلهمون من آياته ماتصلح به أمور دينهم ودنياهم ، وينهلون من فيضه قيمهم وأفكارهم ومعايير سلوكهم ، فنشأت العلاقة بين القرآن والانسان المسلم على هذا الأساس ، وظلت تتعمق الصلات بينهما وتتجدد الأواصر بتناسبٍ طردي مع وعي الإنسان والتزامه .

ولقد استطاع القرآن الكريم أن يقفزَ بالمؤمنين به قفزاتٍ عملاقةً على صعيد الفكر والسلوك والبناء الحضاري والمحتوى الداخلي للإنسان ، وبالتالي فقد جعل منهم أمةً وسطاً شاهدةً على الخلق ، ونصب من العاملين به خلفاء لله على ارضه وحججاً على عباده .  
وارتبط المسلمون بهذا الدستور الالهي أيما ارتباطٍ ، ومنحوه من العناية والاهتمام ماوسعتهم الحيلة وأسعتهم الجهد والإمكان ، ولذلك انصبت جهود العلماء على اكتشاف خزائن عطائه وكنوز خيراتهِ من خلال توضيح معانيه واستنطاق آياته واستجلاء حقائقهِ وتبيان مفاهيمه ، وتنافسوا في ذلك مستفرغين الوسع ، فتشعبت مذاهبهم وأتحفوا المكتبة

الإسلامية بما لاحصر له من التفاسير التي ستبقى . رغم ما فيها من جوانب مشرقة . قاصرة عن إدراك كُنْهِ المعجزة الإلهية وأسرار النص القرآني .

وقد حظي القرآن الكريم باهتمام المسلمين جميعاً بمختلف مذاهبهم وطرائقهم ، اذ انبرى له من كل مذهب جمع من خيرة العلماء والمتخصصين لدراسته والغوص في بحار مفاهيمه ومعانيه ، وقد كان للشيعة الإمامية شرف المساهمة في استجلاء معاني النص القرآني ، حيث تطوع جمع من علمائهم على مرّ العصور المتعاقبة لتفسير القرآن الكريم ، وتوضيح آياته واستنباط أحكامه وتشريعاته .

وقد شهد القرن الخامس الهجري ولادة كتابٍ يحتوي على تفسير جميع القرآن ، ويشتمل على فنون معانيه<sup>١</sup> لواحدٍ من أكبر علماء عصره هو الشيخ الطوسي . زعيم المذهب الإمامي آنذاك . الذي استطاع ان يقوم بعملية تطوير واضحة المعالم في المنهج التفسيري الذي تبناه في ثبانه .

وقد تصدّيتُ بعد التوكّل على الله تعالى لخوض غمار دراسةٍ حول الشيخ الطوسي ومنهجه في التفسير ، فكانت رسالتي الموسومة الطوسي مفسراً جُهداً متواضعاً على شواطئ بحر العظمة القرآنية التي غاص في غباب رحمته الشيخ الطوسي ، ليحمل من لآئها ما يُزيّن بها تبيانه ، ويتقلدها وسام فخرٍ يغالبُ الزمن ، وتنقشه ريشة الخلود عطاءً ثراً وسفراً خالداً وشجرة مباركة تُؤتي أكلها كل حينٍ ذكراً حسناً وثناءً جميلاً .

ولعلّ بواعثٍ اختياري لهذا الموضوع هي ما يلي :

- ١ . كون تفسير التبيان أول محاولة تفسيرية كاملة عند الشيعة الإمامية .
- ٢ . كون الشيخ الطوسي ، فقيهاً مجتهداً استطاع أن يتعامل مع النص القرآني بذهنية إسلامية ذات طابعٍ شمولي لإحاطة المفسر باكثر جوانب العلوم والثقافة الإسلامية فضلاً عن كونه مؤسساً للحوزة العلمية في النجف الأشرف ، والتي أصبحت فيما بعد من أهم وأكبر الجامعات في العالم الإسلامي .

١ . انظر التبيان ، ج ١ ، ص ١ .

٣. سلك المفسر في تفسيره منهجا ثنائي الاتجاه جمع فيه منهج التفسير بالرأي إلى جانب منهج التفسير بالاثار ، وبهذا يكون الشيخ الطوسي قد اقام التفسير على دعامة العقل والنقل بعد ان كان مستندا إلى دعامة النقل وحدها.

٤. استطاع الشيخ الطوسي من خلال تطرقه إلى الابواب المتعددة في تفسيره ، ان يحفظ تراثا فكريا وثقافيا ولغويا ضخما سواء عند مناقشته لاراء اصحاب المذاهب الإسلامية اواراء النحاة واللغويين فيما يذهبون اليه.

٥. كان الشيخ الطوسي يتحلى بروح موضوعية عالية ونزعة علمية نزيهة ، ويظهر ذلك جليا من خلال سرده لاراء من يختلف معهم من علماء المدارس الإسلامية واصحاب المذاهب والمقالات وذلك اثناء مناقشته لهم وردوده عليهم بعيدا عن كل تعصب ذميم او تحجر ممقوت ، حيث كان يقبل من اراء الاخرين ما يراه صحيحا ، بينما يرفض او يضعف ما لا ينسجم والمنهج العلمي الذي امن به ، وان كان من المرويات المنسوبة إلى ائمة أهل البيت : وبهذا يكون الطوسي عالما باحثا عن الحقيقة مؤمنا بما رافضا لما سواها بغض النظر عن كل اعتبار اخر.

ولهذا فقد جاءت دراستي هذه محاولة مني للكشف عن جوانب العظمة في شخصية الشيخ الطوسي واثاره العظيمة التي يشكل التبيان احد دعائمها. وقد تناولت في هذه الدراسة ثلاثة ابواب وخاتمة :

ففي الباب الاول تحدثت بفصلين عن حياة الشيخ الطوسي وبيئته وعصره مبينا ثقافته وهجرته ومراحل دراسته وشيوخه وتلاميذه وتاليه شارحا بالتفصيل الظروف السياسية والفن الطائفية التي عصفت به في بغداد ومن ثم هجرته إلى مدينة النجف الأشرف وانشاءه لمدرسته الجديدة فيها.

وفي الباب الثاني قسمت الحديث إلى فصول اربعة :

الفصل الاول ، اجملت فيه البحث حول نشأة التفسير وتطور مناهجه ، ثم اردفته بوصف مجمل عن التبيان.

اما الفصل الثاني ، فقد تكلمت فيه عن الجانب العقلي في التبيان ، وبينت منهج المفسر

واراءه وطريقته في التعامل مع النص القرآني بوحى من العقل والراي المقبول موضحامناقشته لاراء المفسرين ، واصحاب المذاهب من المعتزلة والمشبهة والمجسمة والمفوضة وغيرهم.

وفي الفصل الثالث ، تناولت الجانب الاثري في التبيان موضحا تفسيره للقرآن بالقرآن وتفسيره للقرآن بالسنة ، وطريقة استخدام الشيخ الطوسي للسياق والنظم بين الآيات في فهم النصوص القرآنية.

اما الفصل الرابع ، فقد تكلمت فيه بشيء من التفصيل عن الجانب اللغوي في التبيان موضحا طريقة استخدام المفسر للغة والاعراب والقراءة والشعر والامثال في استيضاح المعنى المراد بيانه.

وفي الباب الثالث تطرقت بفصلين مستقلين عن علوم القرآن وعقائد الإمامية على التوالي

:

ففي الفصل الاول تعرضت لموقف الشيخ الطوسي من علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ والتاويل واسباب النزول والمحكم والمتشابه وايات الاحكام.

اما الفصل الثاني من هذا الباب فقد افردته للحديث عن عقائد الإمامية ، وتطرقت فيه إلى اصول الدين : التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد ، وما يتفرع من مسائل كالتقية والعصمة والصفات وخلق القرآن وافعال العباد والحسن والقبح والمتعة وغيرها.

وبهذا حاولت الكشف عن المنهج التفسيري للشيخ الطوسي مستعينا بالله تعالي ومستمدا منه القوة ، اذ لاحول لي ولاقوة بسواه ، والله اسال ان يهدينا سبل الرشاد ، ويوفقنا للعلم والعمل بكتاب الله ، انه نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين.

## الباب الاول :

الطوسي ؛ حياته ، ثقافته ، عصره

الفصل الاول : حياته ، ثقافته

الفصل الثاني : عصره



## الفصل الاول :

### حياة الشيخ الطوسي وثقافته

#### حياة الشيخ الطوسي

الشيخ الطوسي هو ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي .  
المولود في شهر رمضان عام ٣٨٥ هـ<sup>١</sup> في طوس<sup>٢</sup> بايران ، والذي كان قد نشأ فيها<sup>٣</sup> ،  
وترعرع والى ان بلغ الثالثة والعشرين من عمره ، عندها عزم على الهجرة إلى العراق ، فنزل بغداد  
عام ٤٠٨ هـ .

وقد تعرضت مدينة طوس للعديد من النكبات ، وصارت هدفا لاعداء أهل البيت ،  
شأنها

---

١ . البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٥٩٣ ، الاسترابادي ، منهج المقال ، ص ٢٩٢ ، القمي ، سفينة البحار ، ج ٢ ،  
ص ٩٧ ؛ الصدر ، تأسيس الشيعة ، ص ٢٦٧ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٩ ، ص ٢٠٢ ؛ المامقاني ، تنقيح  
المقال ، ج ٣ ، ص ١٠٤ .

٢ . بحر العلوم ، دليل القضاء الشرعي ، ج ٣ ، ص ١٧٧ ، الطاهر ، الشعر العربي ، ج ١ ، ص ٦٦ .  
٣ . طوس ، وإليها ينسب الشيخ الطوسي ، وهي مدينة بخراسان تشتمل على بلدين يقال لاحدهما : الطابران  
وللاخري نوقان ، وهما أكثر من الف قرية ، وفيها قبر الامام علي بن موسي الرضا<sup>٧</sup> وقبر الخليفة العباسي هارون  
الرشيد ؛ انظر البغدادي ، مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٨٩٧ ؛ والقزويني ، آثار البلاد ص ٤١١ ؛ والطريحي ، جامع  
المقال ، ص ١٦٥ ؛ والامين ، دائرة المعارف الإسلامية الشيعة ، ج ١٢ ، ص ١٤٣ .

شأن غيرها من المدن الإسلامية المقدسة التي ضمت مراقد آل محمد ٧ ، فقد ضربت هذه المدينة ثلاث مرات : هدمها للمرة الأولى الامير سبكتكين ، وقوضها للمرة الثانية الغزنويون ، واتفقتها للمرة الثالثة عاصفة الفتنة المغولية عام ٧١٦ هـ على عهد الطاغية جنكيزخان ، وقد تجددت ابنتها ، واعيدت اثارها بعد كل مرة ١ ، وهي اليوم . مع ما حل فيها من تخريب ودمار . من اجل معاهد العلم عند الشيعة .

« وفيها خزانة كتب للامام الرضا ٧ ٢ » .

وقد كانت طوس احدى المراكز العلمية المهمة في اقليم خراسان ، والذي « ينسب إليه خلق كثير من العلماء في كل فن » ٣ ، حيث نبغ فيها فحول العلماء من المهاجرين اليها والمتولدين فيها ، ومن بين هؤلاء ابو احمد محمد بن محمد بن احمد الغزالي صاحب كتاب احياء العلوم مدرس النظامية ببغداد ، وحسن بن فضل بن حسن الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان الذي يعد من مراجع كتب التفسير ، ومحمد بن حسين بن عبدالصمد الحارثي العاملي المعروف بالشيخ البهائي ، او بهاء الدين العاملي ، ومنهم الشيخ محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي صاحب وسائل الشيعة ، والجواهر السنوية ، من مراجع كتب الحديث ، وابوالقاسم محمود بن عمر بن محمد الملقب بالزحشري صاحب كتاب تفسير الكشاف ، وابوجعفر محمد بن الحسن الطوسي صاحب التهذيب والاستبصار وتفسير التبيان . مفسرنا . والفيلسوف العالم نصير الملة والدين محمد بن محمد الطوسي الحكيم والفلكي المعروف ، والمحدث الفقيه ابو عبدالرحمن احمد بن علي بن شعيب النسائي صاحب كتاب الخصائص والسنن ، وابوبكر احمد بن الحسين البيهقي ، الفقيه الشافعي ، وابو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل ، والعالم اللغوي الشهير عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي الملقب بالفراء صاحب كتاب فقه اللغة وبيتمة الدهر وسحر البلاغة ، ثم

١ . الطهراني ، مقدمة التبيان ، ج ١ ، ص ٧ .

٢ . نفس المصدر .

٣ . ابن الأثير ، اللباب ، ج ٢ ، ص ٩٣ .

العالم المنطقي المعروف سعد بن عمر بن عبد الله التفتازاني مصنف كتاب التهذيب في المنطق والمطول في المعاني والبيان ، وابو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي المعلم الثاني ، والعالم الرياضي الحكيم الخيام ، هؤلاء هم بعض الذين نبغوا من ارض طوس ، وتركوا للعالم اثارا ابدية<sup>١</sup> .  
ومما اضفى على هذه المدينة اهمية كبرى هو مرقد الامام على بن موسى الرضا<sup>٢</sup> ثامن ائمة الشيعة الاثني عشرية ، وهي لذلك مهوى افئدتهم ، يؤمنونها من الاماكن البعيدة والبلدان النائية ، ويتقاطرون اليها من كل حدب وصوب للتبرك بالعتبة المقدسة<sup>٣</sup> .  
وقد ترعرع الشيخ الطوسي في مسقط راسه ، ودرس فيها علوم اللغة والادب والفقهِ والحديث وعلم الكلام ، ليهاجر بعدها إلى العراق<sup>٤</sup> « حاملا من الثقافة الإسلامية فنونها »<sup>٥</sup> .  
وهناك استقر الطوسي في بغداد ، حيث كانت تعج بالثقافة والعلوم ، ويقصدها طلاب المعرفة من كل بلاد ، وصادف وصوله إلى بغداد بعد تربع الشيخ المفيد على كرسي الزعامة الفكرية للمذهب الجعفري ، وبعد ان قطع شوطا بعيدا في مجال العلم والمعرفة ، الامر الذي جعل حلقات درسه زاخرة بطلبة العلوم « فكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف »<sup>٥</sup> .

مما يؤكد موضوعية الشيخ المفيد احترام الناس له ، وان اختلفوا معه في الراي او الانتماء المذهبي ، فكان لهذه الاجواء تاثير بالغ في اجتذاب الطلاب إلى بغداد والتي كانت في ذلك الوقت عاصمة للخلافة ، حتى صار شيخنا الطوسي واحدا من بين العديدين الذين

١ . الامين ، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، ج ١٢ ، ص ٣٠٠ .

٢ . بحر العلوم ، مقدمة الأمالي للشيخ الطوسي ، ج ١ ، ص ٤ .

٣ . الطهراني ، الذريعة ، ج ٢ ، ص ١٤ ، بحر العلوم ، موسوعة العتبات ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

٤ . بحر العلوم ، مقدمة الأمالي ، ج ١ ، ص ٤ .

٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥ .

أمّوا بغداد وقصدوها ، وقد تتلمذ صاحبنا على يد الشيخ المفيد انذاك ونحل من معارفه وعلومه ماشاء الله .

وتُلمذهُ الطوسي على يد الشيخ المفيد ، تدل على ان مفسرنا كان قد قطع شوطاً كبيراً من دراسته في مسقط رأسه قبل هجرته إلى بغداد ، مما اهله لان يحظى بموقع متقدم في مجال الدراسة التي يشرف عليها الشيخ المفيد مباشرة ، وهو صاحب الزعامة الفكرية للشيعة الإمامية انذاك .

وقد اثني على الشيخ الطوسي جمع من العلماء والمؤرخين ، وهنا نورد بعض اقوالهم :  
فالعلامة الحلبي ( ت ٧٢٦ ) يصفه بانه :

شيخ الإمامية ووجههم ورئيس الطائفة ، جليل القدر ، عظيم المنزلة ، ثقة ، عين ، صدوق ، عارف بالاحبار والرجال والفقهاء والاصول والكلام والادب ، وجميع الفضائل تنسب إليه ، صنّف في كل فنون الإسلام ، وهو المذهب للعقائد في الاصول والفروع الجامع لكلمات النفس في العلم والعمل<sup>١</sup> .

وقال الشيخ المجلسي بحقه : « ثقة ، وفضله وجلالته اشهر من ان يحتاج إلى بيان<sup>٢</sup> .»

وقال السيد بحر العلوم في الفوائد الرجالية عند ترجمته للشيخ الطوسي :

شيخ الطائفة المحققة ، ورافع اعلام الشريعة الحقة ، امام الفرقة بعد الائمة المعصومين ، وعماد الشيعة الإمامية ، في كل ما يتعلق بالمذهب والدين ، محقق الاصول والفروع ، ومهذب فنون المعقول والمسموع ، شيخ الطائفة على الاطلاق ، ورئيسها الذي تلوى إليه الاعناق ، صنّف في جميع علوم الإسلام ، وكان القدوة في كل ذلك<sup>٣</sup> .

ويصفه الاردبيلي بانه « رئيس الطائفة »<sup>٤</sup> .

١ . الحلبي ، خلاصة الاقوال في معرفة احوال الرجال ، ص ٧٣ .

٢ . المجلسي ، الوجيزة ، ص ١٦٣ .

٣ . بحر العلوم ، الرجال ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ .

٤ . محمد علي الاردبيلي ، جامع الرواة ، ج ٢ ، ص ٩٥ ، ط طهران ١٣٣٤ .

وابن كثير يصفه : « فقيه الشيعة »<sup>١</sup>.

وابن الجوزي ينعته بعبارة : « متكلم الشيعة »<sup>٢</sup> ، والمتكلم يعني فيما يعني ، اهتمامه بالعقائد والفلسفة ، ومثل هذه الاقوال او مايشبهها من الثناء والاطراء اقترنت مع اسم الشيخ الطوسي ، حال ذكره او ترجمته من قبل العلماء والرواة واصحاب التراجم والسير ، وهنا نورد بعضا ممن اطراه من الاعلام :

### أ) من اعلام أهل السنة

١. ابن الأثير عزالدين ابوالحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري<sup>٣</sup> ( ت ٦٠٦ هـ ).
٢. ابن حجر شهاب الدين ابوالفضل احمد بن علي العسقلاني<sup>٤</sup> ( ت ٨٥٢ هـ ).
٣. ابن كثير عمادالدين ابوالفداء اسماعيل بن عمر القرشي<sup>٥</sup> ( ت ٧٧٤ هـ ).
٤. ابوالفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي<sup>٦</sup> ( ت ٥٩٧ هـ ).
٥. تاج الدين ابونضر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي ( ت ٧٧١ هـ )<sup>٧</sup>.
٦. الشيخ محمود ابو زهرة المصري<sup>٨</sup>.
٧. الدكتور محمود محمد الخضيرى<sup>٩</sup>.

- 
١. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٩٧ .
  ٢. ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٧ .
  ٣. انظر الكامل لابن الأثير ، في حوادث ٤٤٩ هـ .
  ٤. انظر لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ١٣٥ .
  ٥. انظر البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٧ .
  ٦. انظر المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٧٣ ، ١٧٩ .
  ٧. انظر طبقات الشافعية ، ج ١٢ ، ص ٥١ .
  ٨. انظر كتاب الامام الصادق ، ص ٢٦٠ ، ٤٤٨ .
  ٩. انظر مجلة الإسلام القاهرية ، العدد الاول ، السنة السابعة ، ص ٤٠ .

### ب ( من اعلام الشيعة

١. معاصره الشيخ ابوالعباس النجاشي ( ت ٤٥٠ هـ ) .<sup>١</sup>
٢. العلامة الحلبي جمال الدين ابومنصور الحسن بن يوسف الحلبي ( ت ٧٢٦ هـ ) .<sup>٢</sup>
٣. الشيخ محمد باقر المجلسي ( صاحب البحار ) ( ت ١١١١ هـ ) .<sup>٣</sup>
٤. المحدث الشيخ يوسف البحراني ( ت ١١٨٦ هـ ) .<sup>٤</sup>
٥. الشيخ حسين بن الشيخ عبدالصمد الحارثي ( ت ٩٨٤ هـ ) والد الشيخ البهائي .<sup>٥</sup>
٦. المحدث الشيخ ميرزا محمد حسين النوري النجفي ( ت ١٣٢٠ هـ ) .<sup>٦</sup>
٧. العلامة الشيخ محمد باقر الخوانساري ( ت ١٣١٣ هـ ) .<sup>٧</sup>
٨. العلامة الميرزا محمد بن علي الاسترابادي ( ت ١٠٢٨ هـ ) .<sup>٨</sup>
٩. الحافظ محمد بن علي بن شهر اشوب المازنداراني ( ت ٥٨٨ هـ ) .<sup>٩</sup>
١٠. الشيخ ابو علي الحائري ( ت ١٢١٥ هـ ) .<sup>١٠</sup>
١١. العلامة السيد حسن الصدر الكاظمي ( ت ١٣٥٤ هـ ) .<sup>١١</sup> هذا وقد حظي شيخنا الطوسي بعناية خاصة من لدن الكتاب والعلماء والباحثين ، حيث

١. انظر رجال النجاشي ، ص ٢٨٧ .

٢. انظر خلاصة الاقوال في معرفة احوال الرجال ، ص ٧٣ .

٣. انظر الوجيزة ، ص ١٦٣ .

٤. انظر لؤلؤة البحرين ، ص ٢٤٥ .

٥. انظر وصول الاخيار ، ص ٧١ .

٦. انظر مستدرك الوسائل ، ج ٣ ، ص ٥٠٥ .

٧. انظر روضات الجنات ، ص ٥٨٠ .

٨. انظر نخب المقال .

٩. انظر معالم العلماء ، ص ١١٤ .

١٠. انظر منتهى المقال ، ص ٢٦٩ .

١١. انظر تاسيس الشيعة ، ص ٣٣٩ .

ترجم له الكثيرون ، ويكفي ان نشير هنا إلى ما كتبه الشيخ الدكتور محمد هادي الاميني تحت عنوان « مصادر الدراسة عن شيخ الطائفة ابي جعفر الطوسي » اذ ذكر في كتابه هذا (٢٤٠) مائتين واربعين مصدرا عربيا وفارسيا ، كان بعضها مطبوعا والبعض الاخر مخطوطا ، وكلها تُترجمُ للشيخ الطوسي ، او تذكر شيئا عن احواله <sup>١</sup> ، الامر الذي يعكس مكانة الطوسي وعلو شأنه ، فاستحوذ على اهتمام الدارسين والمؤرخين واصحاب التراجم والسير ، وهذا ما لا يحصل عليه الا اولئك الخاصة من العلماء والمهتمين في التاريخ.

### شيوخه

تتلمذ الشيخ الطوسي على يد جملة من العلماء والشيوخ سواء في طوس او في بغداد ، وكان هؤلاء الاساتذة والشيوخ ينتمون إلى مذاهب اسلامية مختلفة ، ففيهم علماء الإمامية والزيدية واهل السنة ، الامر الذي ساهم وبشكل فعال في خلق الثقافة الموسوعية لمفسرنا ، كما وطبع شخصيته بشيء من الانفتاح ، ومنحها خاصية التحري والاستقصاء ، بعد ان وقف على مالدى جمع من علماء الإسلام من مختلف المذاهب الإسلامية ، وبهذا يكون الطوسي قد درس جملة من المذاهب والافكار على يد اصحابها وعلمائها ، لذا نجد حينما يناقش اراء العلماء او يحاورهم يمتاز بالدقة والموضوعية وسعه الاطلاع ، وقد استفاد ذلك كله من الاجواء العلمية المنفتحة والحرية الفكرية التي كانت سائدة في عصره ، وخاصة ايام العهد البويهي ، فنهل من العلوم ماشاء الله على يد جمع كثير من علماء المسلمين. ويبدو ان مشايخ الطوسي في الرواية واساتذته في القراءة كثيرون ، وقد بلغ عدد هؤلاء الشيوخ سبعة وثلاثين شخصا <sup>٢</sup> ، كان قد ذكرهم الشيخ الطوسي في مؤلفاته العديدة ، الا ان الذين اكثر الرواية عنهم وتكرر ذكرهم في الفهرست وفي كل من كتابيه : التهذيب والاستبصار ، كانوا خمسة ، وهم :

١. الشيخ ابو عبد الله احمد بن عبدالواحد بن احمد البزاز المعروف بابن الحاشر ، او

١. الاميني ، مصادر الدراسة عن الشيخ الطوسي ، ط نجف .

٢. انظر الطهراني ، مقدمة تفسير التبيان ، ج ١ ، ص ٣٨ وما بعدها.

ابن عبدون والمتوفى سنة ٤٢٣ هـ.

وفيه يقول الطوسي : « سمعنا منه واجاز لنا بجميع مارواه »<sup>١</sup>.

٢. الشيخ احمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الصلت الاهوازي ، المتوفى سنة ٤٠٩ هـ.

٣. الشيخ ابو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن الغضائري المتوفى سنة ٤١١ هـ.

وقال فيه الطوسي : « سمعنا منه واجاز لنا بجميع مارواه »<sup>٢</sup>.

٤. الشيخ ابوالحسين علي بن احمد بن محمد بن ابي جيد القمي والمتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ ،

حيث كان حيا عند وصول الشيخ الطوسي إلى بغداد في ذلك التاريخ.

٥. شيخ الامة ابو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان المعروف بالشيخ المفيد والمتوفى سنة

٤١٣ هـ.

اما غير هؤلاء من شيوخه ، فقد ذكرهم ، ولكن لا بهذه الكثرة ، وفيما يلي اسماء هؤلاء

الشيخ الذين روى عنهم والذين ذكرهم أهل التراجم والسير<sup>٣</sup> مرتبة على حروف الهجاء :

١. ابوالحسين الصفار ، أو ابن الصفار.

٢. ابوالحسين بن سوار المغربي ، وهو من مشايخ الطوسي من علماء أهل السنة.

٣. الشيخ ابوطالب بن غرور.

٤. القاضي ابوالطيب الطبري الحويزي.

٥. ابو عبد الله اخو سرورة.

٦. ابو عبد الله بن الفارسي.

٧. ابو علي بن شاذان المتكلم ، وهو من شيوخه من علماء أهل السنة.

---

١. الطوسي ، الرجال ، ص ٤٥ ، النجف.

٢. نفس المصدر.

٣. الطهراني ، مقدمة التبيان ، ج ١ ، ص ٣٨ وما بعدها ، وانظر السيد بحر العلوم ، مقدمة الأمالي ، ج ١ ، ص

٢٠ . ٢٣ ؛ ومقدمة رجال الطوسي ، ط نجف.

٨. ابو منصور السكري وهو من علماء الزيدية<sup>١</sup>.
٩. احمد بن إبراهيم القزويني.
١٠. ابوالحسين وابوالعباس احمد بن علي النجاشي ، صاحب كتاب الرجال المتولد سنة ٣٧٢ هـ والمتوفى سنة ٤٥٠ هـ.
١١. جعفر بن الحسين بن حسكة القمي.
١٢. الشريف ابو محمد الحسن بن احمد بن القاسم بن محمد بن علي بن ابي طالب<sup>٢</sup> الحمدي نسبة إلى محمد بن الحنفية بن الامام علي<sup>٣</sup>.
١٣. ابو علي الحسن بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن اشناس المعروف ، بابن الحمامي البزاز المولود سنة ٣٥٩ هـ والمتوفى في الثالث من ذي القعدة سنة ٤٣٩ هـ<sup>٤</sup>.
١٤. ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن داود الفحام المعروف بابن الفحام ، السرمن رائي . السامرائي . المتوفى سنة ٤٠٨ هـ.
١٥. ابو الحسين حسنيش المقرئ.
١٦. ابو عبد الله الحسين بن إبراهيم القزويني.
١٧. ابو عبد الله الحسين بن إبراهيم بن علي القمي المعروف بابن الخياط.
١٨. الحسين بن ابي محمد هارون بن موسى التلعكبري.
١٩. ابو محمد عبد الحميد بن محمد المقرئ النيسابوري.
٢٠. ابو عمرو عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مهدي بن خشنام المولود سنة ٣١٨ هـ ، والمتوفى سنة ٤١٠ هـ ، وهو من مشايخ الطوسي من علماء السنة.
٢١. ابو الحسن علي بن احمد بن عمر بن حفص المقرئ المعروف بابن الحمامي المولود سنة ٣٢٨ هـ والمتوفى سنة ٤١٧ هـ.
٢٢. السيد المرتضى علم الهدى ابوالقاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن

١. الطهراني ، مقدمة التبيان ، ج ١ ، ص ٣٩.

٢. الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٤٢٥.

- ابراهيم بن الامام موسى الكاظم ٧ المتوفى سنة ٤٣٦ هـ . ، وهو من اشهر اساتذته .
- ٢٣ . ابوالقاسم علي بن شبيل بن اسد الوكيل المتوفى سنة ٤١٠ هـ .
- ٢٤ . القاضي ابوالقاسم علي التنوخي ابن القاضي ابي علي المحسن بن تميم القحطاني ، وهو من مشايخ الطوسي من علماء أهل السنة ، وكان قد ولد سنة ٣٧٠ هـ ، وتوفي سنة ٤٤٧ هـ<sup>١</sup> .
- ٢٥ . ابوالحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعروف بابن بشران المعدل ، وهو من علماء أهل السنة .
- ٢٦ . محمد بن احمد بن ابي الفوارس الحافظ ، وهو من علماء أهل السنة .
- ٢٧ . ابو زكريا محمد بن سليمان الحراني من أهل طوس .
- ٢٨ . محمد بن سنان وهو من مشايخ الطوسي من علماء أهل السنة .
- ٢٩ . ابو عبد الله محمد بن علي حموي البصري المتوفى سنة ٤١٣ هـ .
- ٣٠ . محمد بن علي بن خشيش بن نضر بن جعفر بن ابراهيم التميمي ، وهو من مشايخ الطوسي من علماء أهل السنة ، وقد روى عنه في اماليه اخباراً كثيرة .
- ٣١ . ابوالحسن محمد بن محمد بن محمد بن مخلد البنزاز المولود سنة ٣٢٩ هـ والمتوفى سنة ٤١٩ هـ ، وهو من مشايخه من علماء أهل السنة<sup>٢</sup> .
- ٣٢ . السيد ابوالفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار المولود سنة ٣٢٢ هـ والمتوفى سنة ٤١٤ هـ وهو من مشايخ الطوسي من علماء أهل السنة<sup>٣</sup> .
- وبإضافة الخمسة الاوائل من شيوخه ، والذين اكثر الرواية عنهم يبلغ عددهم سبعة وثلاثين شخصاً ، وقد اكد هذا العدد السيد محمد صادق بحر العلوم ، عندما ترجم للشيخ الطوسي في مقدمة كتبها لرجال الشيخ الطوسي ، ولكتاب الأمالي ، بشيء من التفصيل ،

١ . الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٤ ، ص ١١٠ . ١٢٤ .

٢ . الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ٣ ، ص ٣٣١ .

٣ . الطوسي ، الرجال ، ص ٤٥٢ .

واخرى مختصرة لكتاب الفهرست للشيخ نفسه ، وبهذا يتفق ماورده السيد بحر العلوم مع ماورده المؤرخ الشهير اية الله اغا بزرك الطهراني ، حينما كتب عن حياة الشيخ الطوسي رسالة قيمة ، قدم بها لتفسير التبيان المطبوع في النجف الاشرف.

### تلاميذ الشيخ الطوسي

ما ان استقلّ الشيخ الطوسي بزعامة المذهب الامامي عند وفاة الشريف المرتضى عام ٤٣٦ في بغداد حتى صارت داره في الكرخ مأوى الأمة ومقصد الوفاة وقد انحال العلماء على دروسه ، واجتمع تحت منبره جمعٌ من التلاميذ بلغ عددهم أكثر من ثلثمائة مجتهد<sup>١</sup> ، ومن العامة ما لا يُحصى كثرة<sup>٢</sup>.

وقد اورد العلامة اية الله اغاز بزرك الطهراني في مقدّمة التبيان ، وكذلك السيد محمد صادق بحر العلوم في مقدّمة رجال الطوسي واماليه قائمةً باسماء تلامذة الشيخ الطوسي بلغ عددهم فيها ستة وثلاثين شخصاً ، ويبدو أنّ هؤلاء الذين ذكرت أسماءهم في كتب التراجم كانوا من المشاهير فعرفوا ، بينما خُفيت أسماء غيرهم إما لقلّة آثارهم ، أو لضياعتها ، أو لأنهم لم يتركوا أثراً أصلاً.

وهنا نورد ما ذكره علماء الرجال والمفهرسون من أسماء تلاميذ الشيخ الطوسي<sup>٣</sup> حسب حروف الهجاء :

١. الشيخ الفقيه آدم بن يونس بن أبي المهاجر النسفي.
٢. الشيخ المؤلف ابوبكر أحمد بن الحسين بن احمد الخزاعي النيسابوري.
٣. الشيخ أبو طالب إسحاق بن محمد بن الحسن بن الحسين بن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.

١. أسد حيدر ، الإمام الصادق ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ، وانظر القمي ، الكنى والألقاب ، ج ٢ ، ص ٣٦٣.

٢. المامقاني ، تنقيح المقال في احوال الرجال ، ج ١ ، ص ١٩٤.

٣. الطهراني ، مقدّمة تفسير التبيان ، ج ١ ، ص ٤٢ وما بعدها ، وبحر العلوم ، مقدّمة أمالي الشيخ الطوسي ، ص ٢٤ وما بعدها ، ومقدّمه الفهرست.

٤. الشيخ أبو إبراهيم إسماعيل شقيق إسحاق بن بابويه القمي المتوفى سنة ٥٠٠ هـ.
٥. الشيخ الثقة أبو الخير بركة بن محمد بن بركة الأسدي.
٦. الشيخ الثقة المصنف أبو الصلاح تقي بن نجم الدين الحلبي.
٧. السيد المحدث أبو إبراهيم جعفر بن علي بن جعفر الحسيني.
٨. الشيخ الإمام المصنف أبو محمد شمس الإسلام الحسن بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بحسكا ، المتوفى سنة ٥١٢ هـ.
٩. الشيخ الفقيه أبو محمد الحسن بن عبد العزيز بن الحسن الجبهاني.
١٠. الشيخ أبو علي الحسن بن شيخ الطائفة الشيخ الطوسي.
١١. الشيخ الإمام موفق الدين الفقيه الحسين بن الفتح الواعظ البكر آبادي الجرجاني.
١٢. الشيخ الإمام محيي الدين أبو عبد الله الحسين بن مظفر بن علي بن الحسين الحمداي نزيل قزوين.
١٣. السيد عماد الدين أبو الوضاح ذوالفقار بن محمد بن معبد الحسيني المروزي.
١٤. السيد الفقيه أبو محمد زيد بن علي بن الحسين الحسيني أو الحسيني.
١٥. السيد الفاضل زين بن الداعي الحسيني.
١٦. الشيخ الفقيه سعد الدين بن البراج.
١٧. الشيخ الفقيه أبو الحسن سليمان بن الحسن بن سليمان الصهرشتي.
١٨. الشيخ المحدث شهر آشوب السروي المازندراني ، جدّ الشيخ محمد بن علي مؤلف معالم العلماء والمناقب.
١٩. الشيخ الفقيه صاعد بن ربيعة بن أبي غانم.
٢٠. الشيخ أبو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن علي المقرئ الرازي المعروف بالمفيد المتوفى سنة ٥٠٦ هـ.
٢١. الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن أحمد الحسيني الخزاعي النيسابوري المعروف بالمفيد أيضاً.
٢٢. الشيخ الفقيه موفق الدين أبو القاسم عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه.

٢٣. الشيخ أبو القاسم سعد الدين عزّ المؤمنين عبدالعزيز بن نحرير بن عبدالعزيز المعروف بابن البراج قاضي طرابلس المتوفّى سنة ٤١٨ هـ.
٢٤. الشيخ الفقيه عليّ بن عبدالصمد التميمي السبزواري.
٢٥. الأمير الفقيه غازي بن أحمد بن أبي منصور الساماني.
٢٦. الشيخ الإمام جمال الدين محمد بن أبي القاسم الطبري الآملي.
٢٧. الشيخ الأمين ابو عبد الله محمد بن أحمد بن شهريار الخازن لمشهد الامام علي ٧ وهو صهر الشيخ الطوسي على إحدى بناته<sup>١</sup>.
٢٨. الشيخ محمد بن الحسن بن عليّ القتال صاحب كتاب ( روضة الواعظين ) المتوفّى سنة ٥٠٨ هـ.
٢٩. الشيخ الفقيه أبوالصلت محمد بن عبدالقادر بن محمد.
٣٠. الشيخ المؤلف الفقيه ابوالفتح محمد بن علي الكراچكي.
٣١. الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي.
٣٢. الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن هبة الله الطرابلسي.
٣٣. السيد صدر الأشراف المرتضى أبوالحسن المطهرين أبي القاسم علي بن أبي الفضل محمد الحسيني الديباجي.
٣٤. السيّد الفقيه المنتهى بن أبي زيد بن كيابكي الحسيني الجرجاني.
٣٥. العالم الفاضل الفقيه الوزير ذوالمعالي زين الكفاة أبوسعيد منصورين الحسين الآبي.
٣٦. السيد الثقة الفقيه المحدّث أبو إبراهيم ناصر بن الرضا بن محمد بن عبد الله العلوي الحسيني.

### ثقافة الشيخ الطوسي

ابتدأ الشيخ الطوسي حياته العلميّة في طوس ، حيث كانت هذه المدينة إحدى مراكز

---

١. العماد الطبري ، بشاره المصطفي ، ص ٧٩.

العلم المهمّة في خراسان ، ذلك الإقليم الواسع الذي أنجب الكثير من العلماء والأدباء والمفكرين ، وبها درس الطوسي علوم اللغة والأدب والفقه وأصوله والحديث وعلم الكلام ، والتي هي مقدمات أساسية لمن أراد أن يواصل دراسته العلمية العالية في الجامعات الإسلامية ذات النَمَطِ الحوزوي.

وعندما اتقن الشيخ الطوسي تلك المقدمات شدّ الرحال إلى بغداد ، وذلك عام ٤٠٨ هـ ، حيث كانت هذه المدينة نقطة جذبٍ لكلّ طامعٍ في الاستزادة من المعارف والعلوم الإسلامية.

وعندما نزل الشيخ الطوسي بغداد كانت الزعامة للمذهب الجعفري قد آلت للشيخ محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد وابن المعلم ، وقد تتلمذ شيخنا الطوسي على يد الشيخ المفيد ، وبقي على اتصالٍ به حتى وفاته سنة ٤١٣ هـ<sup>١</sup> .  
ولاجل الوقوف على الحالة الثقافية لمفسرنا لا بدّ من معرفة أحوال أساتذته ومكاتبهم العلمية وسعة اطلاعهم التي اغترف منها ، فكوّنت فيما بعد شخصيته الثقافية والفكرية :  
فأستأذنه الأول في بغداد الشيخ المفيد الذي كان موضع إعجابٍ من ترجم له من الكتاب والمؤرخين.

حيث يقول ابن كثير فيه :

محمد بن محمد بن نعمان أبو عبد الله المعروف بابن المعلم شيخ الإمامية والمصنّف لهم والخامس عن حوزتهم ، كانت ملوك الأطراف تعتقد به لكثرة الميل للشيعة في ذلك الزمان ، وكان يحضر مجلسه خلق عظيم من العلماء من جميع الطوائف والملل<sup>٢</sup> .

وأما ابن العماد الحنبلي ، فكان يصفه بمايلي :

عالم الشيعة وإمام الرافضة ولسان الإمامية ، رئيس الكلام والفقه والجدل ، صاحب

١. السيّد بحر العلوم ، مقدّمة الأمالي للطوسي ، ج ١ ، ص ٤ .

٢. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥ .

التصانيف الكثيرة<sup>١</sup> .

وينعته ابن حجر العسقلاني بأنه كثير التقشّف والتخشّع والإكباب على العلم ، تخرّج منه جماعة ، وبرع في المقالة الإمامية حتى كان يقال : « له على كل امام منّة »<sup>٢</sup> .

أما الذهبي فقد امتدحه بقوله : « كان ذاجلالة عظيمة وكان خاشعاً متعبداً متأهلاً »<sup>٣</sup> .  
وقد ترجم له أحد معاصريه وهو ابن النديم فقال :

ابن المعلّم أبو عبد الله في عصرنا انتهت إليه رئاسة متكلمي الشيعة ، مقدّم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه ، دقيق الفطنة ماضي الخاطر ، شاهدته فرايته بارعاً<sup>٤</sup> .

وذكره أبو حيان التوحيدي فقال : « كان ابن المعلّم حسن اللسان والجدل ، صبوراً على

الخصم ضنين السر جميل العلائية »<sup>٥</sup> .

وذكره أيضاً اليافعي فقال :

كان يناظر أهل كلّ عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية ، وكان كثير الصدقات عظيم الخشوع كثير الصلاة والصوم ، حسن الملبس ، وكان شيخاً ربيعاً نحيفاً أسمر ، عاش ستاً وسبعين سنة ، وله أكثر من مائتي مصنّف ، وكان يوم وفاته مشهوراً ، وشيعته ثمانون ألفاً<sup>٦</sup> .

ويقول ابن الجوزي فيه :

كان لابن المعلّم مجلس نظر بداره بدرج رباح يحضره كافة العلماء ، وكانت له منزلة عند أمراء الأطراف ، يميلهم إلى مذهبه<sup>٧</sup> .

أما شيخنا الطوسي فقد ترجم لأستاذه الشيخ المفيد بما نصّه :

- ١ . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .
- ٢ . ابن حجر ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٣٦٨ .
- ٣ . الذهبي ، تاريخ دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٨٠ .
- ٤ . ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٦ .
- ٥ . ابو حيان ، الإمتاع والمؤانسة ، ج ١ ، ص ١٤١ .
- ٦ . اليافعي ، مرآة الجنان ، حوادث سنة ٤١٣ هـ .
- ٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص ١١ .

انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته ، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام ، وكان فقيهاً متقدماً فيه ، حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب ، وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار ، وفهرست كتبه معروف ، وتوفيَّ لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٤١٣ هـ ، وكان يوم وفاته يوماً لم يُرَ أعظم منه من كثرة الناس الذين حضروا للصلاة عليه ، وكثرة البكاء من المخالف والموافق<sup>١</sup> .

ثم عدَّ الشيخ الطوسي بعض كتبه ، وذكر قراءتها عليه وسماعها عنه .

وقد تتلمذ شيخنا الطوسي على يد أستاذه المفيد لمدة خمس سنوات ، ابتدأها منذ أوّل نزوله بغداد عام ٤٠٨ هـ ، ولم ينقطع عنه حتى وفاته عام ٤١٣ هـ ، وكان خلال هذه الفترة قد درس الأصول والكلام<sup>٢</sup> ، كما وأنه شرع بالتأليف منذ ذلك الوقت المبكر ، حيث شرح كتاب أستاذه المفيد ، والمسّمى بكتاب المُفَيْدَة ، وقد سمّى كتابه ب تَهذِيبِ الأَحْكَامِ والذي ضمّنه الأدلّة الفقهية والأحاديث ، وردّ الشبه المثارة حول العقيدة والأحاديث المرويّة عن أئمة أهل البيت : ، وقد ظهر تأثر الشيخ الطوسي بأستاذه المفيد واضحاً في هذا الكتاب الذي أصبح فيما بعد أحد الأصول الأربعة التي يرجع إليها المجتهدون من الإمامية عند استنباطهم للأحكام الشرعية.

ومعلوم أنّ الشيخ الطوسي كان قد استفاد كثيراً من علوم أستاذه المفيد ، خاصّةً إذا علمنا

أنّ مجلسه كان يحضره جماعة من العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية<sup>٣</sup> .

ومن الطبيعي أنّ الاحتكاك بمثل هؤلاء العلماء من شأنه ان يمنح الشيخ الطوسي فرصة أكبر في الاستزادة ممّا عند الآخرين ، ويوفّر له الكثير من المجالات في معرفة أفكارهم وآرائهم ومذاهبهم ، خاصّةً وإنّ تلك الفترة كانت من أخصب الفترات التاريخية التي مرّت بها الحياة الفكرية بسبب توفّر الحرية واستتباب الأمن والهدوء إبانها ممّا طبع شخصية مفسّرنا الثقافية والعلمية بطابع الشمول والعُمق والموسوعية.

١. بحر العلوم ، مقدمة أمالي الطوسي ، ج ١ ، ص ٦ .

٢. السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص ١٢٧ .

٣. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥ .

وبعد وفاة الشيخ المفيد انتهت الزعامة الفكرية للشيعة الإمامية إلى الشريف المرتضى ( ٣٣٥ . ٤٣٦ هـ ) ، والذي كان في وقتها يتولى نقابة الطالبين<sup>١</sup> وإمارة الحجّ وديوان المظالم<sup>٢</sup> ، ويشغل منصب قاضي القضاة<sup>٣</sup> ، كما وأنه يتصل من حيث النسب بالإمام عليّ بن أبي طالب<sup>٧</sup> ، ومع هذا كله فهو يمتلك من الثقافة والمعارف والعلوم ما يجعله مؤهلاً ، لأنّ يحظى بمكانة خاصة على الصعيدين الشعبي والرسمي ، إذ أنّه كان قد حاز على العلوم ما لم يدان به فيه أحد في زمانه<sup>٤</sup> .

« وكان أكثر أهل زمانه ادباء وفضلاء »<sup>٥</sup> .

« كما وأنه اخذ يجري على تلامذته رزقا كل بنسبته »<sup>٦</sup> . ويمكننا هنا ان تُدرِك مدى فضل مفسرنا ومقدار علمه ، اذا ما عرفنا ان راتبه كان اثني عشر دينارا شهريا ، بينما كان راتب القاضي ابن البراج عبدالعزيز بن نحرير ثمانية دنانير شهريا<sup>٧</sup> .

« وكان للمرتضى مجلس يناظر عنده في كل المذاهب »<sup>٨</sup> ، مما وفر لشيخنا الطوسي فرصة أخرى للاستفادة في هذا المجال ، حيث الاجواء الفكرية المشبعة بالابداع والمهارة في فن المخاطبة والحوار وطرح الراي والدفاع عنه .

وفي ايام تلمذة الشيخ الطوسي على يد الشريف المرتضى شرع مفسرنا في تلخيص كتاب الشافي لاستاذ المرتضى ، ووضع له عنوانا تلخيص الشافي ، وقد بسط فيه المسائل بغية تقريبها لاذهان المتعلمين ، وذلك نظراً لأهمية الكتاب الذي نقض به الشريف المرتضى

- 
- ١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٢٠ ، الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ .
  - ٢ . النوري ، مستدرك الوسائل ، ج ٣ ، ص ٥١٦ ، ابن عتبة ، عمدة الطالب ، ص ١٩٤ .
  - ٣ . النوري ، مستدرك الوسائل ، ج ٣ ، ص ١٦ .
  - ٤ . النجاشي ، الرجال ، ص ٢٠٦ .
  - ٥ . الطوسي ، الرجال ، ص ٤٨٥ .
  - ٦ . البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٢٥٩ .
  - ٧ . الخوانساري ، روضات الجنات ، ص ٣٨٣ ، البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٣١٧ .
  - ٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٥٣ .

كتاب المغني لعبد الجبارين احمد الهمداني احد شيوخ المعتزلة المتوفى سنة ٤١٥ هـ<sup>١</sup>.  
 « وقد انتهى الشيخ الطوسي تلخيص الشافي في رجب سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة »<sup>٢</sup>  
 ويبدو ان الشيخ الطوسي كان قد نشط في مجال التأليف ابان حياة استاذة المرتضى ، اذ كتب  
 مجموعة من اهم مؤلفاته ، منها كتاب الرجال الذي بحث فيه عن احوال الرجال الذين رووا عن  
 الرسول الاكرم (ص) ، او عن احد الائمة من أهل البيت : ، او الذين رووا عنهم بالواسطة ،  
 وعند ترجمته لاستاذة المرتضى نجده يقول : « ادام الله ايامه ، او عبارة مد الله في عمره »<sup>٣</sup> ،  
 مما يؤكد ان الشريف المرتضى لازال حيا وقت كتابة الرجال ، وإلا لترجم عليه كعادته حينما يمر  
 على ذكر المتوفين من الرجال اثناء ترجمته لحياتهم ، وفي ذلك وجدناه يقول عندما يترجم  
 لاستاذة الشيخ المفيد :

« والشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، رضي الله عنهم جميعاً »<sup>٤</sup>.  
 كما كتب الشيخ الطوسي كتابا اخر بعنوان الفهرست في حياة الشريف المرتضى ، حيث كتب  
 فيه : « واخبرنا به الاجل المرتضى على بن الحسين الموسوي ( ادام الله تاييده ) »<sup>٥</sup>.  
 وكان الشريف المرتضى قد عني بتلميذه الطوسي ، وبالغ في توجيهه اكثر من سائر تلامذته  
 ، لما شاهده فيه من اللياقة التامة ، وبقي الطوسي ملازما لاستاذة المرتضى ثلاثة وعشرين عاما  
 من سنة ٤١٣ هـ ، حيث توفي الشيخ المفيد ، والى عام ٤٣٦ هـ . ، حيث وفاة الشريف  
 المرتضى ، وقد افاد الشيخ الطوسي من هذه الصحبة والتلمذة شيئا كثيرا ، خاصة وان الشريف  
 المرتضى كان يعيش اجواء الانفتاح الفكري بين مختلف المذاهب الإسلامية ، يناظر العلماء ،  
 ويرد الشبهات ، ويدافع عن مذهبه بكل ما أتي من علم ومعرفة ، وقد كانت للشريف المرتضى  
 مكتبة عامرة يقول عنها ابوالقاسم التنوخي :

« حصرنا كتبه فوجدنا

١. ابوالفداء ، المختصر ، ج ٢٧ ، ص ١٥٥ ، الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ١١ ، ص ١١٣ .

٢. الطوسي ، تلخيص الشافي ، ص ٤٧٩ .

٣. الطوسي ، الرجال ، ص ٤٨٥ .

٤. الطوسي ، الفهرست ، ص ٢٩ .

٥. الطوسي ، الفهرست ، ص ٦ .

ثمانين الف مجلد من مصنفاته ومحفوظاته ومقرواته<sup>١</sup> حتى قيل : « انها قد قومت بثلاثين الف دينار ، بعد ان اخذ منها الوزراء والرؤساء شطرا عظيما »<sup>٢</sup> ، ومعلوم ان الشريف المرتضى كان شاعرا مجيدا ، له ديوان شعر في ثلاثة اجزاء ، طبع بمصر سنة ١٩٥٨ م ، وقد حققه ورتب قوافيه وشرح معانيه المحامي رشيد الصفار ، وترجم اعيانه الدكتور مصطفى جواد ، وقدم له الشيخ محمدرضا الشيبلي.

ان كل تلك المؤهلات التي اتصف بها الشريف المرتضى والجو الفكري السائد في ذلك العصر وتوفر النادر من الكتب والمخطوطات اثرت تأثيرا مباشرا وكبيرا على شخصية مفسرنا ، ومنحته القدرة في ان يبلغ مرحلة النضوج العلمي ، واهلته لان يكون فيما بعد شيخا للطائفة وعلمنا من اعلام التشيع.

ولعل معارضة الشيخ الطوسي لاراء استاذة الشريف المرتضى في بعض المسائل مثل حجية خبر الواحد والاجماع تدل وبشكل واضح على مدى تعمق الشيخ الطوسي وطول باعه في علم الاصول ، وكذلك تؤكد مدى استيعاب اجواء الحرية الفكرية انذاك لمثل هذه الخلافات التي قد تحدث بين التلميذ واستاذة دون ان تثير شيئا من عدم الرضا لدى اي من المتعارضين ، وفي هذا المجال يقول الشريف المرتضى :

ابطلنا في الشريعة العمل باخبار الاحاد ، لانها لاتوجب علما ولا عملا ، وواجبنا ان يكون العمل تابعا للعلم ، لان خبر الواحد اذا كان عدلا فغاية ما يقتضيه الظن لصدقه ، ومن ظننت صدقه يجوز ان يكون كاذبا ، وان ظننت به الصدق ، فان الظن لا يمنع من التجويز ، فعاد الامر في العمل باخبار الاحاد إلى انه اقدام على مالنا من كونه فسادا<sup>٣</sup>.

كما واكد الاجماع في ذلك بقوله « ان اصحابنا كلهم سلفهم وخلفهم ومتقدمهم ومتاخرهم يمنعون من العمل باخبار الاحاد »<sup>٤</sup>.

١. السيد بحر العلوم ، مقدمة امالي الطوسي ، ج ١ ، ص ٩.

٢. البخارزي ، دمية القصر ، ص ٧٥.

٣. ابن ادريس ، السرائر ، ص ٢.

٤. نفس المصدر.



ومحمد بن احمد بن شاذان المتوفى سنة ٤٢٥ هـ<sup>١</sup>.

وكان لهذه الحلقات أكبر الاثر في تفهم الشيخ الطوسي للمذاهب الإسلامية المختلفة ، والاحاطة بها عن قرب ، وعلى السنة ائمتها واعلامها المشهورين. والمتتبع لحياة الشيخ الطوسي سواء في ايام دراسته الاولى بمدينة طوس ، او اثناء وجوده في بغداد يستطيع القول بان عوامل عديدة استطاعت ان تصقل ثقافة الشيخ الطوسي ، وتمنحه هذه المكانة العلمية الكبيرة والتميزة التي يمكننا اجمالها في مايلي :

١. المؤهلات الذاتية التي يمتلكها الشيخ الطوسي من ذكاء وفطنة وسرعة حافظة ، ولعل نظرة واحدة في كتابه الأمالي توضح للقارىء ما حظي به الشيخ من موهبة عقلية عالية ، فهو يروي خطبا او رسائل كاملة او احاديث مطولة على ظهر قلب مع ذكر السند واسماء الرواة وابائهم واجدادهم والقابح حتى يوصلهم إلى مصدر الحديث او الخطبة او الرسالة سواء كانت عن النبي<sup>٩</sup> او عن احد الائمة : ، مثال ذلك قوله : وعنه عن شيخه<sup>٢</sup> قال : حدثني ابو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان ؛ قال :

اخبرني ابو الحسن علي بن محمد بن الحسن الكاتب ، قال : اخبرني الحسن بن علي الزعفراني ، قال : اخبرني ابواسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي ، قال : حدثني عبد الله بن محمد بن عثمان ، قال : حدثنا علي بن محمد بن ابي سعيد عن فضيل بن جعد عن ابي اسحاق الهمداني قال : لما ولي امير المؤمنين علي بن ابي طالب ( صلوات الله عليه ) محمد بن ابي بكر مصر واعمالها كتب له كتابا ، وامره ان يقرأه على أهل مصر ، وليعمل به ، اوصاه به فيه ، وكان الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله امير المؤمنين علي بن ابي طالب إلى أهل مصر ومحمد بن ابي بكر<sup>٢</sup>.

ثم يستمر في قراءة رسالة مطولة استغرقت أكثر من ست صفحات من كتاب الأمالي ، الامر الذي يؤكد قوة الحافظة لديه ، وتمكنه من الاستيعاب ، وقدرته على التلقي.

٢. توفر للشيخ الطوسي من الاساتذة ما لم يتوفر مثلهم لغيره من الطلبة كالشيخ المفيد

١. اليافعي ، مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٤٤.

٢. الطوسي ، الأمالي ، ج ١ ، ص ٢٤ - ٣٠.

والشريف المرتضى واخرين كثيرين ، فنهل من علومهم ماشاء الله.

٣. توفرت للشيخ الطوسي مكنتبات ودور علم زاخرة بجميع المصنفات النفيسة ، وفي مختلف الفنون والعلوم والاداب ما اهله لان يعترف من محتوياتها وكتبها ماوهبه ثقافة موسوعية رائعة ، ومن اهم تلك المكنتبات مكتبة الوزير البويهى سابور بن اردشير ، والتي كانت تضم اكثر من عشرة الاف مجلد<sup>١</sup>. والمكنتبة الاخرى هي مكنتبة الشريف الرضى ، والتي كانت تمنح الطلاب ما يحتاجون إليه من وسائل مادية ، ثم مكنتبة الشريف المرتضى ، والتي كان فيها ثمانون الف مجلد<sup>٢</sup>.

٤. التقارب بين علماء المذاهب الإسلامية المختلفة ، وماسبب ذلك من انفتاح فكري بين مختلف الطوائف الإسلامية يظهر جليا من خلال المناظرات والمناقشات وشيوع الجدل والحوار في المسائل المختلف عليها ، مما يشجع على التعمق والاستقصاء لاثراء الموضوعات واشباعها بحثاً وتفصيلاً « وكان لدى الشيخ المفيد مجلس يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف »<sup>٣</sup> ، « وكان للشريف المرتضى أيضاً مجلس يناظر عنده في كل المذاهب »<sup>٤</sup>.

٥. جاء اختيار بغداد من قبل الشيخ الطوسي لان تكون مكانا لدراسته موقفا جدا ، حيث كانت هذه المدينة في وقتها ملتقى لرجال الفكر والعلم والادب وعاصمة للدولة ومقراً للخلافة ومركزاً للحضارة الإسلامية العظيمة<sup>٥</sup> ، وكان التنافس فيها بين الدارسين على اشده ، لذلك نبغ فيها الكثيرون من الفقهاء ، بالاضافة إلى ذلك فقد كانت التسهيلات للطلبة الوافدين إلى بغداد مبدولة ، حيث يجد الطلاب المقام والماوى<sup>٦</sup>.

١. محمد كردعلي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٨٥.

٢. ابن عتية ، عمدة الطالب ، ص ١٩٥.

٣. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥.

٤. نفس المصدر ، ج ١٢ ، ص ٥٣.

٥. فياض ، محاضرات عن الشعر الفارسي ، ص ٩٧.

٦. مختصر ، تاريخ العلم ، ص ٧٢.

٦. كان باب الاجتهاد مفتوحا على مصراعيه بسبب الحرية واتساع الفكر ومرونته ، الامر الذي حفز الشيخ الطوسي لان يكمل الاشواط الدراسية المطلوبة ، وفعلا فقد تم له ما اراد بعد جهد جهيد ومثابرة عالية ، حتى صار « شيخ الطائفة وعمدتها » ، ولقب بالامام الاعظم<sup>٢</sup>.

### مؤلفات الشيخ الطوسي

استطاع الشيخ الطوسي . بما يملك من ثقافة وموهبة وسعة اطلاع . ان يثري المكتبة الإسلامية بمؤلفات هي غاية في الاهمية والجودة ، حيث استقى مادة مؤلفاته من تصانيف القدماء التي تتميز باهمية خاصة بسبب قربها من عصر الرسالة ، والتحامها بفترة وجود الائمة من أهل البيت : ، وتأثرها باجواء العلم والمعرفة التي كانوا يشيعونها في الأوساط الإسلامية انذاك ، ومن هنا اتسمت مؤلفات الشيخ الطوسي بميزات خاصة لاتوجد فيما عداها من مؤلفات السلف ومن تلك المميزات :

١. اصبحت بمثابة المنبع الاول والمصدر الوحيد لمعظم مؤلفي القرون الوسطى ، حيث استقوا منها مادتهم وكتبوا كتبهم.

٢. حوت مؤلفات الشيخ الطوسي خلاصة الكتب المذهبية القديمة ، حيث كانت مكتبة سابور في الكرخ ومكتبات بغداد الاخرى تحتضن الكتب القديمة الصحيحة التي هي بخطوط مؤلفيها واقلامهم ، وقد كانت استفادة الشيخ الطوسي من تلك الكتب والمكتبات كبيرة جدا ، اذ لم يدع كتابا فيها الا وعمد إلى مراجعته واستخراج ما فيه من منفعة ، وبهذا يكون الطوسي قد اسدى للعلم خدمة جلّلى من خلال انتقائه لافضل ما حوى عصره من علوم ، ومن ثم عرضها بلغة ميسرة وفي كتب مبوبة وباسلوب متين ، فحفظ بذلك ارثا ثقافيا وتراثا حضاريا نادرا ، خاصة بعد ان تحولت مكتبة سابور في الكرخ إلى طعمة للنار ابان

١. ابن داود ، الرجال ، ق ١ ، ص ٣٠٦ .

٢. الشهيد الاول ، كتاب الاربعين حديثا ، ص ١٨٢ .

العهد السلجوقي.

٣. كما وتميزت مؤلفات الشيخ الطوسي بالتنوع والكثرة ، حيث بلغ تعداد ما توصل إليه الباحثون من كتبه (٤٧) مؤلفاً في مختلف الفنون والعلوم والاداب ، اذ لم يدع باباً من العلم إلا وطرقه ، فقد كتب في الفقه والأصول وعلم الكلام والتفسير وعلم الحديث والرجال والادعية والعبادات وغيرها.

وفيما يلي قائمة باسماء الكتب التي ألفها الشيخ الطوسي مرتبة حسب حروف الهجاء:

١. الابواب ويسمى كتاب الرجال ، وهو في تراجم الرجال الذين رووا عن النبي ٩ والائمة : ، ومن تاخر عنهم<sup>١</sup> وهو احد الاصول المعتمدة عند علماء الامامية.
٢. اختيار الرجال وهو كتاب الرجال المتداول المشهور برجال الكشي المطبوع سنة ١٣١٧ هـ ، الذي ذكر في اوله الاحاديث السبعة في فضل الرواة ، واول السبعة حديث ابي عبد الله ٧ : « اعرفوا منازل الرجال منا على قدر رواياتهم عنا » ، وهو مختار من رجال الكشي الذي اسمه معرفة الناقلين<sup>٢</sup>.
٣. الاستبصار فيما اختلف من الاخبار ، وهو احد الكتب الاربعة والمجاميع الحديثية التي عليها مدار استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء الاثني عشرية ، منذ عصر المؤلف حتى اليوم ويحتوي على خمسة الاف وخمسمائة واحد عشر (٥٥١١) حديثاً ، وقد طبع في الهند سنة ١٣٠٧ هـ ، وفي ايران سنة ١٣١٧ هـ ، ثم في النجف الأشرف سنة ١٣٧٥ هـ.<sup>٣</sup>
٤. أصول العقائد<sup>٤</sup> وهو كتاب في الاصول كبير خرج منه الكلام في التوحيد والعدل.
٥. الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد وهو فيما يجب على العباد من اصول العقائد والعبادات الشرعية على وجه الاختصار<sup>٥</sup>.

١. انظر الطهراني ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ج ١ ، ص ٧٣ و ج ١٠ ، ص ١٢٠ ، مادة ( الرجال ).

٢. الطهراني ، الذريعة ، ج ١ ، ص ٣٦٥ . ٣٦٦.

٣. نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٤ . ١٦.

٤. نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٩٨.

٥. نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ . ٢٧٠.

٦. الأمالي في الحديث<sup>١</sup> ويقال له : المجالس ، لانه املاه مرتبا في عدة مجالس وقد طبع لأول مرة في طهران عام ١٣١٣ هـ.
٧. انس الوحيد مجموعة للشيخ الطوسي ، عده في فهرسه من تصانيفه<sup>٢</sup>.
٨. الايجاز في الفرائض ، وهو كتاب مختصر ، وقد احال فيه التفصيل إلى كتابه النهاية ، وقد شرحه قطب الدين الراوندي فسماه الانجاز<sup>٣</sup>.
٩. التبيان في تفسير القرآن<sup>٤</sup> ، يقع في عشرة مجلدات ، وطبع لمرات عديدة في طهران والنجف.
١٠. تلخيص الشافي في الامامة<sup>٥</sup> وهو اختصار لكتاب الشافي الذي كتبه علم الهدى السيد المرتضى ؛ ، وقد طبع في ايران سنة ١٣١١ هـ.
١١. تمهيد الاصول ، وهو شرح كتاب جمل العلم والعمل<sup>٦</sup> لاستاذه الشريف المرتضى ، ولم يخرج منه الا شرح ما يتعلق بالاصول.
١٢. تهذيب الأحكام ، في الحديث<sup>٧</sup> وهو احد الكتب الاربعة والمجامع القديمة المعول عليها عند الإمامية من تاريخ تاليفها وحتى اليوم ، وقد استخرجه الشيخ الطوسي من الاصول المعتمدة للقدماء ، وللهذيب شروح وحواشي عديدة ، ذكر منها الشيخ الطهراني ستة عشر شرحا وعشرين حاشية مع ذكر اسماء مؤلفيها.
١٣. الجمل والعقود ، في العبادات<sup>٨</sup> : وقد الفه بطلب من القاضي الشيخ عبدالعزيزين

---

١. الطهراني ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ - ٣١١ ، ص ٣١٣ - ٣١٤.
٢. نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٦٨.
٣. نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ و ٤٨٦.
٤. نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ - ٣٣١ ، ج ٤ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.
٥. نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٤٢٣.
٦. نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٤٣٣.
٧. نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٥٠٤ - ٥٠٧.
٨. نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ١٤٥.

نحريين عبدالعزيزين البراج قاضي طرابلس ( ت ٤٨١ هـ ).

١٤. الخلاف ، في الأحكام<sup>١</sup> ويقال له : مسائل الخلاف وقد ناظر فيه المخالفين جميعاً ، وذكر اراء كل مذهب ثم بين الصحيح منها.

١٥. رياضة العقول ، وقد شرح فيه المقدمة في المدخل إلى علم الكلام<sup>٢</sup>.

١٦. شرح الشرح في الاصول<sup>٣</sup> وقد صنّفه في اخر ايام حياته ، وفيه يقول تلميذه الحسن

بن مهدي السليقي : « كتاب مبسوط ، املى علينا منه شيئاً صالحاً ، ومات ؛ ولم يتمه ».

١٧. العدة في الاصول<sup>٤</sup> وقد قسمه إلى قسمين : الاول في اصول الدين والثاني في اصول

الفقه ، وهو ابسط ما ألف في هذا الفن عند القدماء.

١٨. الغيبة في غيبة الامام الحجة المهدي المنتظر<sup>٥</sup> وقد كتبه الطوسي في سنة سبع

واربعين واربعمئة.

١٩. الفرق بين النبي والامام ، في علم الكلام ، وقد ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست.

٢٠. الفهرست في تراجم اصحاب الكتب والاصول<sup>٦</sup> ، وقد شرّحه العلامة المحقق

الشيخ سليمان الماحوزي ( ت ١١٢١ هـ ) وسماه معراج الكمال إلى معرفة الرجال.

٢١. مالايسع المكلف الاخلال به ، في علم الكلام<sup>٧</sup> ، وقد ذكره الشيخ الطوسي في

الفهرست.

٢٢. مايعلل وما لا يعلل ، في علم الكلام<sup>٨</sup> ، وقد ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست.

١. نفس المصدر ، ج ٧ ، ص ٢٣٥-٢٣٦.

٢. نفس المصدر ، ج ١١ ، ص ٣٤٠.

٣. نفس المصدر ، ج ١٣ ، ص ٣٣٢.

٤. نفس المصدر ، ج ١٥ ، ص ٢٢٧.

٥. نفس المصدر ، ج ١٦ ، ص ٧٩.

٦. نفس المصدر ، ج ١٦ ، ص ٣٨٤.

٧. نفس المصدر ، ج ١٩ ، ص ٢٥-٢٦.

٨. نفس المصدر ، ج ١٩ ، ص ٣٦.

٢٣. المبسوط ، في الفقه ويشتمل على نحو سبعين بابا من ابواب الفقه ، وقد طبع في ايران سنة ١٢٧٠ هـ<sup>١</sup>.

٢٤. مختصر اخبار المختار بن ابي عبيدة الثقي ويعبر عنه باخبار المختار<sup>٢</sup>.

٢٥. مختصر المصباح في الادعية والعبادات ، ويقال له : المصباح الصغير ، وقد اختصر فيه كتابه الكبير مصباح المتهدد<sup>٣</sup>.

٢٦. مختصر في عمل يوم وليلة : في العبادات ، وقد ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست ، وقد اقتصر فيه على الفرائض والنوافل وبعض التعقيبات في غاية الاختصار.

٢٧. مسألة في الاحوال ، وقد ذكرها الشيخ الطوسي في الفهرست ووصفها بأنها : « مليحة ».

٢٨. مسألة في تحريم الفقاع ، وقد ذكرها الشيخ الطوسي في الفهرست.

٢٩. مسألة في العمل بخبر الواحد وبيان حجيته<sup>٤</sup>.

٣٠. مسائل في وجوب الجزية على اليهود والمنتمين إلى الجباية.

٣١. مسائل ابن البراج ، وقد ذكرها في الفهرست.

٣٢. المسائل الالياسية ، وهي مائة مسألة في فنون مختلفة<sup>٥</sup> ، وقد ذكرها الطوسي في الفهرست.

٣٣. المسائل الحنبلائية في الفقة ، وهي اربع وعشرون مسألة<sup>٦</sup> ، وقد ذكرها الطوسي في الفهرست.

٣٤. المسائل الحائرية ، وهي نحو من ثلثمائة مسألة في الفقه<sup>٧</sup>.

---

١. نفس المصدر ، ج ١٩ ، ص ٥٤ . ٥٥ .

٢. نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٤٨ ، مادة ( اخبار المختار ) .

٣. نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ١٧٦ ، مادة ( الدعاء ) .

٤. نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٢٧٠ ، مادة ( حجية الاخبار ) .

٥. نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٢١٤ ، مادة ( جوابات ) .

٦. نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٢١٨ ، مادة ( جوابات ) .

٧. نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٢١٨ ، مادة ( جوابات ) .

٣٥. المسائل الحلبية في الفقه<sup>١</sup>.

٣٦. المسائل الدمشقية ، وهي اثنتي عشرة مسألة ، في تفسير القرآن<sup>٢</sup> وقد ذكرها في الفهرست.

٣٧. المسائل الرازية وهي خمس عشرة مسألة في الوعيد<sup>٣</sup> وردت من الري إلى استاذة السيد المرتضى فاجاب عنها ، واجاب عنها الشيخ الطوسي أيضاً ، وذكرها في الفهرست.

٣٨. المسائل الرجبية في التفسير ، وقد ذكرها الطوسي في الفهرست ، وقال بانها لم يصنف مثلها.

٣٩. المسائل القمية<sup>٤</sup>.

٤٠. مصباح المتهدد من اعمال السنة والادعية والزيارات<sup>٥</sup> وقد طبع في طهران سنة ١٣٣٨ هـ.

٤١. المفصح في الامامة : وتوجد منه نسخة مكتبة راجه فيض اباد في الهند<sup>٦</sup>.

٤٢. مقتل الحسين<sup>٧</sup> وقد ذكره الطوسي في الفهرست.

٤٣. مقدمة في المدخل إلى علم الكلام ، وقد ذكرها الشيخ الطوسي في الفهرست ووصفها فيه بقوله : لم يعمل مثلها<sup>٧</sup>.

٤٤. مناسك الحج في مجرد العمل ، وقد ذكرها الطوسي في الفهرست.

٤٥. النقض على ابن شاذان في مسألة الغار ، وقد ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست.

---

١. نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٢١٩ ، مادة ( جوابات ).

٢. نفس المصدر ، ص ٢٢٠ ، مادة ( جوابات ).

٣. نفس المصدر ، ص ٢٢١ ، مادة ( جوابات ).

٤. نفس المصدر ، ص ٢٣٠ ، مادة ( جوابات ).

٥. نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ١٧٥ . ١٧٦ ، مادة الدعاء.

٦. الطهراني ، مقدمة التبيان ، ج ١ ، ص ٣٤.

٧. الطهراني ، الذريعة ، ج ٥ ، ص ٢٧٧.

٤٦ . النهاية في مجرد الفقه والفتوى <sup>١</sup> .

٤٧ . هداية المسترشد وبصيرة المتعبد في الادعية والعبادات ، وقد ذكره الطوسي في

الفهرست .

هذا وقد عثرنا على نموذج بخط الشيخ الطوسي ، فصورناه كما في نموذج رقم ١ . وهو من كتاب الطهارة من التهذيب والموجود حالياً في مكتبة المرحوم اية الله العلامة محمدحسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان .

كما وعثرنا أيضاً على نموذج اخر بخط الشيخ الطوسي كتبه في الصفحة الاولى من الجزء الثالث من كتاب التبيان ، واصله مخطوط في المكتبة العامة لاية الله العظمى السيد شهاب الدين النجفي المرعشي في مدينة قم بايران ، وكما هو مبين في النموذج رقم <sup>٢</sup> .

---

١ . الطهراني ، الذريعة ، ج ٤ ، ص ١٤٣ .

مخطوطة

فقال نعم وادعته به الى البيت عن امره من غير ان يسمع  
 محمد بن الحسن بن سعيد عن محمد بن الاعرابي عن ابي بصير عن ابي بصير  
 عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير  
 عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير  
 قال ابا بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير  
 سعد بن فضالة عن داود بن علي عن ابي بصير عن ابي بصير  
 يعلق على الجائذ قال ابا بصير قال قرأه وكبته ولا



باب التبريم واحكامه

قال الشيخ ابو الله واذا فقد المهرت الما دفن ما اظلم  
 الما لو حال منه ومن الما جابل من عدي لو سجع لو ما اسجد  
 لو كان مريضاً خاف النفس استقال اذا امكن في برد  
 خاف على نفسه بهار الظهور بالما قلنيم للراب كما للراب  
 مه للعباد يعال جل اسمه لمن كم مرض ارعل في روطا امر  
 الف ايضاً للالاستم المسام لم عدياً ما فتمها اصعد طيباً  
 وايديكم منه لا حوجه الدلالة من آية ان الله تعالى احب اليه  
 وحيث لم يجره الانسان معلوم انه اراد وجود الما الكون منه  
 لانه لو وجد الما لم يكن منكم كما اراد حصول اليه الخوف من السجع او اللقمة  
 التبريم لانه اذا جعله حلاله ولم يجره كان كمنه اذا اعلم



### الشيخ الطوسي وزعامته الفكرية للإمامية

بعد وفاة الشريف المرتضى عام ٤٣٦ هـ . استقل الشيخ الطوسي بالزعامة الدينية للمذهب الشيعي الإمامي ، وأصبح علماً من أعلام الإمامية وزعيماً لهم ، وكانت داره في الكرخ ببغداد ماوى الأمة ومقصد الوفاد يؤمونها لحل مشاكلهم وإيضاح مسائلهم<sup>١</sup> ، ولقب بالإمام ، وهو أسمى الألقاب العلمية عند الشيعة الإمامية ، وقد تقاطر العلماء للحضور تحت منبره حتى بلغ عدد تلاميذه أكثر من ثلاثمائة من مختلف المذاهب الإسلامية<sup>٢</sup> .

وقد أدرك العباسيون مكانة الشيخ الطوسي العلمية فقام الخليفة العباسي القائم بأمر الله<sup>٣</sup> (٤٢٢ . ٤٦٧ هـ) بمنح شيخنا كرسي الكلام ، وكان هذا الكرسي لا يعطى إلا لرئيس علماء وقته<sup>٤</sup> وقد حصل عليه الشيخ الطوسي رغم الاختلاف المذهبي القائم بينه وبين الخليفة العباسي ، مما يؤكد علو كعب الشيخ في بغداد ، وعدم وجود من يصلح له غيره ، ولا حتى من يدانيه في العلم والمعرفة ، الأمر الذي اضطر معه القائم بأمر الله أن يمنح الكرسي العلمي لواحد من علماء الشيعة وفقهائها ، ولم يرق لحساد الطوسي ومخالفه ان يتربع على كرسي الكلام ، فأتار ذلك حسدهم فوشوا به إلى الخليفة بتهمة شتم الصحابة وسبهم في كتابه المصباح ، في زيارة عاشوراء حيث يقول فيها :

« اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مّي وإبدأ به أولاً ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع والعن

يزيد خامساً<sup>٥</sup> .

فارسل عليه الخليفة واستجوبه عنها ، فنفى عن نفسه التهمة قائلاً :

المراد بأول ظالم قابيل قاتل هابيل ، وهو أول من بدأ بالقتل وسنه ، والمراد بالثاني

١ . بحر العلوم ، مقدمة الأمالي للشيخ الطوسي ، ج ١ ، ص ١٠ .

٢ . أسد حيدر ، الإمام الصادق ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ، القمي ، الكنى والألقاب ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

٣ . القائم بأمر الله هو عبد الله بن القادر بالله أحمد .

٤ . هروي ، حديقة الرضوية ، ص ١٩ .

٥ . المامقاني ، تنقيح المقال ، ج ٣ ، ص ١٠٥ ، التستري ، مجالس المؤمنين ، ص ٢٠١ .

عاقراً ناقة صالح ، واسمه قيذار بن سالف ، والثالث قاتل يحيى بن زكريا ، والرابع عبدالرحمن بن ملجم قاتل علي ٧<sup>١</sup>.

فاقتنع الخليفة بالجواب وأكرم الشيخ الطوسي ، وانتقم ممن سعى به<sup>٢</sup>. ولم يكن شيخنا الطوسي أول من أُهِّمَ من علماء الإمامية بشتم الصحابة وسبهم ، بل هي ورقة طالما لعب بها أعداء التشيع لخلق الفتن وإثارة المشاكل والمتاعب لعلماء الشيعة وفقهائها ، وظلت مثل هذه الأساليب تُستغل وتُفتعل حتى بلغت المحنة أشدها عندما دخل السلاجقة بغداد عام ٤٤٧ هـ ، فاستفحلت المشاكل ، وثار القلاقل ، وحدثت الفتن بين جهلة الشيعة والسنة<sup>٣</sup> ، وامتدت لتصبح دار الطوسي ومكتبته ضحية لها ، حيث كُبست داره ، ونُهبت وأُحرقت ، كما وأُحرقت كتبه وآثاره ودفاته مرات عديدة وبمحضرة من الناس<sup>٤</sup> ، وأُحرق كرسى التدريس الذي منحه الخليفة القائم له<sup>٥</sup>.

وقد كتب الشيخ الطوسي أكثر مؤلفاته أثناء زعامته للمذهب الإمامي ، حيث كتب العدة في أصول الفقه ، وقد تعرّض فيه لآراء من سبقه في هذا العلم ، وقفز به إلى مرحلة متطورة من مراحل التكامل والنضج دون أن يقلد في ذلك أحداً ، وإنما كان مجتهداً مبدعاً في كلِّ ما طرحه من المسائل في هذا الكتاب ، إذ لم يصنف مثله قبله ، في غاية البسط والتحقيق<sup>٦</sup>.

وأقرّ فيه حجج خبير الأحاد بعد أن أبطل العمل بها أستاذه الشريف المرتضى ، مما يدل على ثقة الشيخ الطوسي بنفسه وأصالته وتفكيره ، ثم أُلّف بعد العدة كتابه الآخر والموسوم بالمقدمة إلى علم الكلام حيث فرغ منه في رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة في مدينة

١. البحراني ، الدرّة البهية ، ورقة ٦ آ ، ب ، التستري ، مجالس المؤمنين ، ص ٢٠١.

٢. نفس المصدر.

٣. بحر العلوم ، مقدمة الأمالي ، ج ١ ، ص ١٠.

٤. السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص ١٢٧.

٥. ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٧٣.

٦. الصدر ، الشيعة وفنون الإسلام ، ص ٥٧.

السلام<sup>١</sup>.

ثمّ أَلّف الشيخ الطوسي بعد ذلك المصباح الكبير وكان المقصود من هذا الكتاب مجرد العمل وذكر الأدعية<sup>٢</sup>.

وقد أكثر الشيخ الطوسي من التأليف في هذه الفترة ، حيث كتب المبسوط في الفقه ، وهو من أهمّ الكتب الفقهية ، اذ اشتمل على ثمانين كتاباً ، فيه فروع الفقه كلّها<sup>٣</sup> ، ويعتبر كتاب المبسوط تحولاً كبيراً في هذا المجال ، يشبه التحوّل الذي أحدثه كتاب العدة في مجال الأصول ، حيث كان الشيخ قد بلغ قمة النضوج الفكري ، فكان مجتهداً في آرائه التي طرحها في كتابه الجديد ، ومن ذلك استدلاله بالأدلة العقلية والبراهين القطعية وتحديد الرأي في المجتهدين<sup>٤</sup> ، وبذلك يكون الشيخ الطوسي قد قفزت كبيرةً في هذا المضمار ، بعد أن كان كتابه النهاية لا يعدو كونه محاولة لتجميع الروايات الفقهية ، فلنستمع إليه وهو يقول :

وكنت عملت على قديم الوقت كتاب النهاية ، وذكرت فيه جميع ما رواه أصحابنا في مصنفاًهم من المسائل ، وفرقوه في كتبهم ، ورتبه ترتيب الفقه<sup>٥</sup>.

ويظهر من خلال النقلة التي أوجدها كتاب المبسوط أنّ شيخنا الطوسي كان صاحب مدرسة فقهية استطاعت أنّ تسهم في دفع الفقه الإمامي إلى الأمام وتطويره ، حيث العمق والأصالة والاتساع ، ويعتبر كتاب المبسوط آخر كتب الفقه التي أَلّفها الشيخ الطوسي ، وبهذا يشير ابن ادريس حين يقول :

وهذا الكتاب آخر ما صنّفه شيخنا أبو جعفر في الفقه ، فإنّه بعد النهاية والتهذيب والاستبصار والجمل والعقود ومسائل الخلاف<sup>٦</sup>.

١. الطوسي ، مصباح المتعبد ، ص ٢.

٢. نفس المصدر ، ص ٢.

٣. الطوسي ، الفهرست ، ص ١٨٩.

٤. سيد شفيق ، الروضة البهية ، ص ١٨٥.

٥. الطوسي ، المبسوط ، ص ٣.

٦. ابن ادريس ، السرائر ، باب في ذكر الأنفال ومن يستحقّها.

كما كتب الشيخ الطوسي كتاباً قيماً في الفقه المقارن حمل اسم الخلاف أو مسائل الخلاف مع الكلّ في الفقه وكانت أجواء الانفتاح في بغداد هي التي دفعت الشيخ الطوسي لكتابه هذا الكتاب حيث كانت المناصرة والجدل والحوار سمّة من سمات الحركة العلميّة في بغداد آنذاك ، وبذلك فإنّ كتاب الخلاف قد تضمّن الكثير من آراء المذاهب الإسلاميّة إضافةً إلى ما اجتمعت عليه الفرقة . الإماميّة . من مسائل الدين<sup>١</sup> .

وفي مسائل الخلاف مع الكلّ في الفقه تألّق نجم الشيخ الطوسي في دنيا الاجتهاد ، حيث كان يناقش الآراء ، وينتقدها مستنداً إلى الأدلّة العلميّة ، وقد بين ذلك في مقدمة كتابه إذ يقول :

وذكر مذهب كلّ مخالفٍ على التعيين وبيان الصحيح منه وما ينبغي أن يعتقد ، وأن أقرن كلّ مسألةً بدليل نحتج به على من خالفنا موجب للعلم من ظاهر قرآن أو سنة مقطوع بما أو اجماع أو دليل خطاب أو استصحاب حال . على ما يذهب إليه كثير من أصحابنا . أودلالة أصل أو محتوى خطاب<sup>٢</sup> .

وما ألّف الشيخ الطوسي . إبان زعامته الفكرية للإمامية وأثناء إقامته في بغداد ، والتي دامت اثنتي عشرة سنة من ٤٣٦ هـ . وإلى سنة ٤٤٨ هـ كتاب المفصح في الإمامة والغيبة والإيجاز في الفرائض والاقتصاد والجمل والعقود كما لا يستبعد ضياع بعض آخر بسبب الفتن والاضطرابات التي عصفت ببغداد بعد دخول السلاجقة إليها عام ٤٤٧ هـ ، الأمر الذي اضطر معه الشيخ الطوسي للهجرة إلى مدينة النجف الأشرف ، ليرسي هناك دعائم مدرسته الجديدة فيها ، والتي كتب لها أن تكون من أهم الجامعات الإسلاميّة في العالم وإلى يومنا هذا .

### الشيخ الطوسي ومدرسته في النجف الأشرف

غادر الشيخ الطوسي بغداد مرغماً ، وتوجه صوب مدينة النجف ، حيث قبر أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب ٧ ، وقد دخل المدينة عام ٤٤٨ هـ ، ويبدو أنّ اختيار الشيخ

١ . بحر العلوم ، الرجال ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ .

٢ . الطوسي ، الخلاف ، ج ١ ، ص ٢ .

الطوسي مدينة النجف الأشرف ، لأنّ تكون مستقرّاً له كان له مرجحات عديدة منها :

١. وجود نواةٍ لحركة علمية في تلك المدينة ، قد تسد فراغاً بعد بغداد ، فيجد فيها الشيخ الطوسي بديلاً عن مدرسته في دار السلام.
٢. وقوع النجف الأشرف على مقربة من الكوفة والتي هي موطن التشيع ، حيث سيحد الشيخ الطوسي فيها قاعدة جماهيرية تتجاوب مع أفكاره ومتبنياته ووجهات نظره المذهبية ، وبالتالي سوف لن يواجه مشكلة أخرى كتلك التي عانى منها كثيراً في بغداد بسبب الخلافات المذهبية.
٣. الموقع الجغرافي لمدينة النجف الأشرف ، وبعدها عن مركز الأحداث المتفاقمة عن العاصمة بغداد يؤهلها لأن تكون مكاناً آمناً خاصّة لاولئك الذين صاروا وقوداً للفتنة ، وسلطت عليهم الأضواء ، وأصبحوا تحت المراقبة.
- كلّ هذه الأمور حفزت الشيخ الطوسي لأنّ يختار مدينة النجف الأشرف مكاناً لاستقراره ، وفعلاً فقد كان اختياره صائباً ، حيث استطاع أن يخلق من تلك المدينة مدرسة علمية كبرى يؤمها الناس من شتى أنحاء الدنيا.
- وقد بقي الشيخ الطوسي في مدينة النجف الأشرف اثني عشر عاماً منذ أن نزلها عام ٤٤٨ هـ وحتى وفاته فيها سنة ٤٦٠ هـ ، ولا زال بيته موجوداً فيها ، وقد تحول فيما بعد إلى مسجد يحمل اسم الشيخ الطوسي ، ويقع شمال ضريح الامام علي <sup>٧</sup> وعلى مقربة منه في الجهة اليسرى من شارع يحمل اسم الشيخ الطوسي أيضاً.
- يعود تاريخ الحركة العلمية في النجف الأشرف إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، وبعد بناء مدينة بغداد على وجه التحديد ، حيث شيّد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور عاصمته الجديدة على نهر دجلة في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني <sup>١</sup> واتخذها عاصمةً له ، فاستقطبت تلك المدينة الحديثة علماء الكوفة وفقهاءها ، ونزلوا بها ، وتبعهم بذلك جمع من طلبة العلوم ، مما اضعف مدرسة الكوفة ، وقد تزامن ذلك مع بدء الحركة العمرانية في النجف

١. النحاشي ، الرجال ، ص ٣١.

الأشرف وتشبيد مدرستها ، فانتقلت البقية الباقية من مدرسة الكوفة إليها وعند ذلك استوعبت النجف كل ما كان في الكوفة<sup>١</sup> .

وفي نفس الوقت أيضاً أمر الداعي الصغير محمد بن زيد بن محمد العلوي<sup>٢</sup> وكان يؤمها ملكا لطبرستان بأن يبني في النجف الأشرف قبة وحائطاً وحصناً فيه سبعون طاقاً<sup>٣</sup> وهي على هيئة غرف ليسكن بها طلاب العلوم ، كما وأنه قد وردت إشارات أخرى تؤكد وجود حركة علمية في النجف الأشرف قبل وصول الشيخ الطوسي إليها ، حيث يقول صاحب كتاب فرحة الغري :

بأن عضد الدولة البويهبي ( ٣٦٧ . ٣٧٢ هـ ) كان قد زار النجف الأشرف عام ٣٧١ هـ ، وطرح في ضريح الإمام علي<sup>٧</sup> دراهم ، فاصاب كل واحد منهم واحداً وعشرين درهماً ، وكان عدد العلويين ألفاً وسبعمائة اسم ، وفرق على المجاورين وغيرهم خمسمائة الف درهم ، وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم<sup>٤</sup> .

وقد بنى عضد الدولة الرواق العلوي في النجف الأشرف ، وإلى هذا البناء يشير صاحب كتاب تاريخ الجامعات فيقول :

أصبحت مدينة النجف عاصمة التدريس للفقهاء الجعفري وعلوم الدين منذ عصر آل بويه بعد إعمارهم المرقد العلوي واجزالهم الصلات والرواتب للمقيمين به<sup>٥</sup> .

بالإضافة إلى ماتقدم فأن هناك بعض الأسر العلمية المعروفة ، كانت قد سكنت أرض النجف الأشرف في القرن الهجري الرابع ، وقبل وصول الشيخ الطوسي لمدينة النجف ، ومن تلك الأسر :

( آل شهرنار ) ، وهم من البيوت النجفية الذين خدموا العلم والدين خدمة جليلة ، وقضوا

١ . يعقوبي ، البلدان ، ص ٤١ .

٢ . بحر العلوم ، تحفة العالم ، ج ٩ ، ص ٢٧١ .

٣ . البخاري ، سر السلسلة العلوية ، ص ٢٦ ، بحر العلوم ، تحفة العالم ، ج ٩ ، ص ٢٧١

٤ . ابن طاووس ، فرحة الغري ، ص ١١٤

٥ . غنيمية ، تاريخ الجامعات ، ص ٤٩ .

أياماً عديدةً في السدانة العلوية<sup>١</sup>.

وقد نبغ من تلك الأسرة السيد شريف الدين المعروف بابن سدرة المتوفى سنة ٣٠٨ ،  
وأحمد بن عبد الملك الغروي<sup>٢</sup> الذي كان معاصراً للشيخ المفيد<sup>٣</sup>.

بالإضافة لذلك فقد سكن النجف عدد من العلماء المشهورين قبل هجرة الشيخ الطوسي إليها ، ومن أولئك العلماء أبو غالب أحمد بن محمد بن سليمان الشيباني الزراري المتوفى سنة ٢٦٨ ، حيث كان مقيماً في مدينة النجف الأشرف ، والزراري هذا من أفاضل الثقافة والمحدثين وشيخ علماء عصره وأستاذهم ، وله مؤلفات عديدة منها : كتاب التاريخ ، وآداب السفر ، والإفضال ، ومناسك الحج ، ورسالة في ذكر آل أعين<sup>٤</sup>.

من كل ماتقدم يستنتج الباحث أنّ الشيخ الطوسي كان قد وصل النجف ، وفيها بذرة علمية وحركة دراسية ، استطاع أن يطورها ، ليجعل بذلك مدينة النجف الأشرف مثابة العلماء ومحطّ الفقهاء ومنتجع الأفاضل<sup>٥</sup> ، وليتخرّج منها

خلال القرون المتطاولة ما يعد بالآلاف من أساطين الدين وأعظم الفقهاء وكبار الفلاسفة ونوابغ المتكلمين وأفاضل المفسرين ، وأجلاء اللغويين وغيرهم ممن خبر العلوم الإسلامية بأنواعها<sup>٦</sup>.

ويبدو أن الشيخ الطوسي كان قد أنشأ مدرسته الجديدة في النجف الأشرف كما يجب ، وكما كان يتمنى مستفيداً من تجربته الطويلة في بغداد ومدارسها ، ومستثمراً الجو الهادئ الذي كانت تنعم به هذه المدينة بسبب بعدها عن مسارح الأحداث والتيارات السياسية المتصارعة ، فقصر الدراسة في مدرسته الحديثة على مذهب أهل البيت (ع) فقط ليعطيه

١. بحر العلوم ، مقدمة الأمالي ، ج ١ ، ص ١٥ .

٢. حسن الأمين ، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، ج ١٢ ، ص ٢٣٠ .

٣. محبوبة ، ماضي النجف ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ .

٤. كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، الشيخ حبيب الله الكاشاني ، لباب الألقاب ، ص ٢٦ .

٥. مجلة رسالة الإسلام ، السنة الخامسة ، العدد ١ ، ص ٨٧ ، مقالة الدكتور حسين علي محفوظ .

٦. بحر العلوم ، مقدمة الأمالي ، ج ١ ، ص ١٤ .

مايستحقّه من الدرس والبحث والتوسعة والاستقصاء ، ولذلك كثف جهوده في هذا المجال ، وظلّ ملازماً لحلقات التدريس حتّى آخر سني حياته ، وفي ذلك يقول تلميذه ابن شهرنيار أبو عبد الله محمد بن أحمد الخازن :

حدثنا الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ؛ بالمشهد المقدس الغروي ، وعلى ساكنه أفضل الصلوات في شهر رمضان من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة<sup>١</sup> .

ولعلّ انشغال الشيخ الطوسي بالتدريس وعمله المتواصل في بناء وتطوير مدرسته الجديدة كان السبب وراء الانتاج الفكري للشيخ وقلة التأليف عنده ، إذ أنّه لم يكتب غير الأمالي واختيار الرجال وشرح الشرح رغم أنّه عاش اثني عشر عاماً في النجف الأشرف ( ٤٤٨ . ٤٦٠ هـ ) منذ هجرته إليها وحتّى وفاته ؛ فيها .

وقد انفردت مدرسة الشيخ الطوسي في النجف بمميزات خاصة منها :

١ . إنّها أحادية الإتجاه ، حيث كان مذهب أهل البيت هو المادة الأساسية في تلك المدرسة ، بعد أن كانت مدرسته في بغداد تشتمل على أكثر من اتجاهٍ من مختلف المذاهب الإسلاميّة ، ولعلّ هذا يعود إلى أسباب عدة منها : انعدام التنافس المذهبي والصراع الفكري ، لأنّ سكان النجف وطلبتها كلهم من المنتمين لمذهب أهل البيت .

ثمّ خلّو النجف الأشرف من العلماء الكبار الذين كان يجد أمثالهم في مدارس بغداد ، والذين كانوا يشكلون عنصر التحدي الذي لا يملك الشيخ الطوسي أمامه إلا الدفاع عن كلّ شبهة ، أو الرد على أي رأي لا يعتد بصوابه ، وذلك من خلال المناظرات وحلقات الجدل والحوار التي كانت تزخر بها بغداد ومدارسها ، بالإضافة إلى ذلك فإنّ ابتعاد النجف الأشرف عن مركز الخلافة ساهم إلى حد بعيد في خلق أجواء هادئة قليلة التآثر بالمنازعات والصراعات السياسية التي كانت لها انعكاساتها المباشرة على الآراء المذهبية .

٢ . ومما امتازت به مدرسة النجف الأشرف الجديدة كونها تسير ضمن حلقات دراسية

---

١ . ابن طاووس ، مهج الدعوات ، ص ٢١٨ .

خاصّةً ، يجتمع فيها الشيخ بتلاميذه ، ويملي عليهم معارفه في التفسير والحديث وعلم الرجال والفقه والأصول ، وهو ما لم تشهد مثيله الدراسة من قبل ، ولعل كتاب الأمل للشيخ الطوسي يعطينا صورة واضحة عن سير تلك الدراسة ، حيث تضمن الكتاب موضوعات مختلفة في شتى العلوم والفنون الإسلاميّة.

٣. كان الشيخ الطوسي يُلقني دروسه بمشهد الإمام علي ٧ ، وبذلك أصبحت مدرسته متصلةً اتصالاً وثيقاً بالمسجد ، وليست من المدارس المستقلة عن الجوامع كما هو الحال في مدارس بغداد ، وقد ظلت هذه الميزة قائمةً إلى يومنا هذا لتصبح تقليداً خاصاً بمدرسة النجف الأشرف وحوزتها العلمية على غرار الحوزة التي أنشأها الشيخ الطوسي قبل ما يقرب من ألف عام ، والتي صارت فيما بعد شجرة مباركة تؤتي أكلها كل حين علماء وكتّاباً وفقهاء وأدباء وخطباء وشعراء ، ساهموا في إغناء المكتبة الإسلاميّة والإنسانية ، وتركوا آثارهم وبصماتهم واضحة على كل مجتمع عاشوا فيه.

### أولاده

خلّف الشيخ الطوسي ولده الشيخ أبا علي الحسن بن أبي جعفر محمد الطوسي ، وقد خلف أباه في العلم والعمل والتدريس والفتيا وإلقاء الحديث ، وكان من مشاهير رجال العلم وكبار رواة الحديث ، قرأ على والده جميع تصانيفه ٢.

وأجازته والده في النجف سنة ٤٤٥ هـ. وقد كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً جليلاً ثقة ٣. تتلمذ عليه جماعة كثيرة من أعيان الأفاضل ، وإليه ينتهي كثير من طرق الإجازات إلى المؤلفات القديمة والروايات ٤.

كما وخلّف الشيخ الطوسي ابنتين كانتا عالمتين من أهل الرواية والدراية ، أجاز لهما

١. ناجي معروف ، علماء النظاميات ، ص ١٤١.

٢. منتجب الدين ، الفهرست ، ص ٤.

٣. الحر العاملي ، أمل الآمل ، ٤٦١.

٤. أسدالله التستري ، مقابس الانوار ، ص ٩.

أبوهما الشيخ الطوسي رواية ماصنّف<sup>١</sup>.

## وفاة الشيخ الطوسي

تباينت الروايات في تحديد سنة وفاة الشيخ الطوسي ، فرواية تقول : أنه توفي سنة ٤٥٨ هـ<sup>٢</sup> ، وأخرى تقول : إن سنة وفاته كانت ٤٥٩ هـ<sup>٣</sup> ، وثالثة تقول : إن الشيخ الطوسي توفي عام ٤٦٠ هـ<sup>٤</sup> ، ويبدو أن الرواية الثالثة هي أصدق الروايات وأدقها ، لأن المعروف عن الشيخ الطوسي أنه بقي بعد وفاة أستاذه الشريف المرتضى أربعة وعشرين عاماً<sup>٥</sup> ، وحيث إن الشريف المرتضى كان قد توفي سنة ٤٣٦ هـ ، فهذا يعني أن وفاة الشيخ الطوسي كانت في سنة ٤٦٠ هـ ، باضافة أربعة وعشرين سنة عاشها بعده ، وبهذا يكون الشيخ الطوسي قد عمر خمسة وسبعين عاماً من عام ٣٨٥ هـ وحتى عام ٤٦٠ هـ ، والذي يؤكد هذه الرواية أيضاً هو إقامة الشيخ الطوسي مدة اثني عشرة سنة في النجف من ٤٤٨ إلى سنة ٤٦٠ هـ<sup>٦</sup>.

وكما اختلف الرواة في تعيين عام وفاته ، فإنهم اختلفوا أيضاً في تحديد يوم وفاته ، فمنهم من يقول :

إنها كانت في ليلة الثاني عشر من المحرم<sup>٧</sup> ، بينما يقول غيرهم : إنها كانت في الثاني والعشرين منه<sup>٨</sup> ، وقد تولى غسل الشيخ ودفنه جماعة من خيار تلامذته ، حيث يقول الحسن بن مهدي السليقي :

١. كاشف الغطاء ، الحصون المنيعه في طبقات الشيعة ، ج ١ ، ص ٣٢٨.
٢. ابن شهر آشوب ، معالم العلماء ، ص ١٠٢ ، الكنتوري ، كشف الحجب ، ص ٥٦.
٣. الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٣ ، ص ١١.
٤. بحر العلوم ، موسوعة العتبات المقدسة ، ج ٢ ، ص ٤٢.
٥. نفس المصدر.
٦. الطهراني ، مقدمة التبيان ، ج ١ ، ص ٤٥.
٧. فنديك ، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، ص ١٨١.
٨. العلامة الحلي ، الرجال ، ص ٢٤٨ ، الخوانساري ، روضات الجنات ، ص ٥٨١ ، البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٢٩٣ ؛ الطهراني ، مقدمة التبيان ، ج ١ ، ص ٤٥.

توليت انا والشيخ أبو محمد الحسن بن عبدالواحد العين زربي والشيخ أبو الحسن اللؤلؤي غسله في تلك الليلة ودفنه<sup>١</sup>.

وقد دُفن في الموضوع المعروف اليوم ، وهو بيته<sup>٢</sup> الذي تحول فيما بعد إلى مسجد أُطلق عليه اسم مسجد الشيخ الطوسي ، والذي أصبح من المزارات المعروفة<sup>٣</sup> ، إضافةً إلى كونه مدرسة يدرس فيها طلبة العلوم الدينية في حوزة النجف الأشرف ضمن حلقات خاصة مختلف العلوم الإسلامية ، وقبر الشيخ الطوسي يتوسط المسجد<sup>٤</sup> ، ويرتفع عن سطح الأرض حوالي متر واحد ، وعلى جدار المسجد الذي يرقد فيه شيخنا الطوسي كتبت أبيات من الشعر ، تؤكد أنّ وفاة الشيخ كانت سنة ٤٦٠ هـ ، والأبيات هي :

يامرقد الطوسي فيك قد انطوى      محيي العلوم فكنت أطيّب مرقد  
بك شيخ طائفة الدعاة إلى الهدى      ومجمّع الأحكام بعد تباد  
أودى بشهر محرم فأضافه      حزنأً بفاجع رزؤه المتجدد  
وبكى له الشرع الشريف مؤرّحاً      ( أبكى الهدى والدين فقد محمد )<sup>٥</sup>  
ويقع قبر الشيخ الطوسي في محلة المشراق ، وهي أقدم محلة في مدينة النجف الأشرف.

١. العلامة الحلي ، الرجال ، ص ١٤٨ ، البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٢٩٣.

٢. الصدر ، عيون الرجال ، ص ٧٤ ، كمال الدين ، فقهاء الفيحاء ، ص ٨١ ، سركيس ، معجم المطبوعات ، ج ٢ ، ص ١٢٤٨.

٣. بحر العلوم ، الرجال ، ج ٣ ، ص ٢٣٩.

٤. زرت قبر الشيخ الطوسي أكثر من مرة عند زيارتي لمدينة النجف الأشرف ، آخرها كانت عام ١٣٩٩ هـ ..

٥. البيت يؤرخ وفاة الشيخ الطوسي بسنة ٤٦٠ هـ ، انظر كتاب ضبط التاريخ بالأحرف ، ص ١٣ ، للشيخ جعفر النقدي.

## الفصل الثاني :

### عصر الطوسي

#### عصر الشيخ الطوسي

تميز القرنان الرابع والخامس بعد الهجرة النبوية الشريفة بتلاحق الأحداث المختلفة والمتأرجحة بين الشدة والرخاء والحرية والاضطهاد تبعاً للظروف السياسية ، وحسب طبيعة الخلفاء المتعاقبين على السلطة ، وكانت تلك المتغيرات والتقلبات السياسية قد تركت بصماتها على الشيخ الطوسي ، كما تركت آثارها على غيره من أبناء ذلك العصر .

وقد شهد إقليم خراسان نوعاً من الاضطهاد والقهر بسبب السياسة المتزمتة التي اتّسمت بطابع قمعي أبان حكم السلطان محمود الغزنوي ، والتي نال من ويلاتهما طلبة العلوم العقلية نصيباً ليس بالقليل باعتبارهم انداداً ومعارضين للسلفيين من أتباع المذهب السني ، حيث قد بالغ السلطان محمود الغزنوي في تعذيبهم والإساءة إليهم ، فنفي خلقاً كثيراً من المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والجهمية والمشبهة ، وأمر بلعنهم على المنابر<sup>١</sup> . كما لم يسلم الفلاسفة من اضطهاده ، حيث قد جدّ في تعقبهم وإبادتهم ، وكان كذلك متمماً لسياسته في تعقب القرامطة الذين تغلب عليهم ، حتى شنق بأمره في يوم واحد مئتان بتهمة

---

١ . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٨٦ ، اليافعي ، مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٢٢ .

الاعتزال وسوء المذهب.

ثم أعقب ذلك تفاقم الأوضاع وسوء الحالة ، حينما تضاعفت حالة الاضطهاد المذهبي ، واشتدّت في خراسان خاصة بعد وصول الدعوة الإسماعيلية المصرية إليها<sup>١</sup> ، الأمر الذي أدى بالشيخ الطوسي كما أدى بغيره من العلماء وطلاب العلوم من غير أبناء المذهب السني لأن يهربوا من جحيم الاضطهاد إلى بلد آخر ، فكانت بغداد محط الرحال لهم ، والتي لم تكن هي أيضاً بمنحى عن آثار هذه السياسة الجائرة ، وإن كانت أحسن حالاً من غيرها بسبب وجود البويهيين على رأس الحكم فيها.

ولعل تاريخ الاضطهاد الفكري في العصر العباسي يعود إلى ما قبل وصول الشيخ الطوسي إلى بغداد بكثير ، حيث كان السبب في هذا الاضطهاد هو الصراع الفكري القائم بين المدارس الكلامية والفقهية ، والتي يشكل الخلاف الحاد بين أصحاب النزعة السلفية والنزعة العقلية أهم مظاهره ، مما أثار غضب السلطة العباسية أيام المتوكل على الله ( ٢٣٢ . ٢٤٧ هـ ) ، والذي كان منحاذاً وبشكل متطرف إلى المدرسة السلفية ، تلك المدرسة التي أخذت تضطهد الفئات المخالفة لها كالمعتزلة والشيعة ، وكل من يحاول التوفيق بين أحكام العقل وأحكام الشرع<sup>٢</sup> ، وبانحياز الخليفة لهذا الإتجاه يكون السلفيون قد زادوا من نفوذهم ، وصاروا يُلوّحون بعضا التهديد لمن خالفهم ، حتى صاروا « حكومة داخل حكومة »<sup>٣</sup>.

وقد تدخلوا في شؤون الناس الخاصة ، مما سبب الاستياء العام بعد أن عجزت السلطة عن ردعهم ، الأمر الذي شجع الأمراء على الخروج عن أوامر السلطة المركزية ، فاعلنوا استقلالهم ، مما أثار غضب الخليفة المستكفي بالله ( ٣٣٣ . ٣٣٤ هـ ) على الأتراك الذين كانوا يتولون أمور البلاد ، وضبط الأمن فيها ، واضطر عندها للاستنجاد بالبويهيين ليتسلموا

١. مصطفى جواد ، مقالة في مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٤ ، ج ٢ ، ص ٥١٢ .

٢. المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٨٦ .

٣. أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .

السلطة في العراق ، ووضع حدّ للارتباك والفوضى<sup>١</sup> .

وقد كان البويهيون آنذاك قوةً لا يستهان بها ، لذلك أصبحوا فيما بعد السادة الجدد للخلافة العباسية<sup>٢</sup> ، عام ٣٣٤ هـ مستفيدين من تجربة القمع الفاشلة والتي لم يجن أصحابها نفعاً ، فسلكوا طريقاً وسطاً بانتهاجهم سياسية معتدلة مع كل الفرق وأصحاب المدارس والاتجاهات ، بغية إقرار الأمن وبسط النظام وإعادة هئية الدولة ، وقد أرادوا أن يثبتوا للناس انفتاحهم وعدم انحيازهم لفئةٍ من خلال فرضهم الأوامر المشددة ضد الشيعة ، رغم انتمائهم المذهبي للتشيّع ، حيث قد بلغوا حداً منعهوم معه من إقامة شعائرهم الدينية<sup>٣</sup> . كما وأقدموا على نفي الشيخ المفيد عن بغداد ، فغادرها عام ٣٩٣ هـ<sup>٤</sup> .

وقد تبين لعامة الناس أن البويهيين كانوا أفضل ممن سبقهم من الحكام ، إذ أنهم ورغم كونهم شيعةً ، لم يحاولوا تسليط أبناء مذهبهم على أهل السنة ، فساد الهدوء في عصرهم ، وازدهرت العلوم بسبب سياسة الانفتاح واللين التي مارسوها ، ولإطلاقهم الحرية الدينية والحرية الفكرية والحرية القلمية<sup>٥</sup> . وقد ظهر ذلك واضحاً في عهد عضد الدولة<sup>٦</sup> ( ٣٦٧ . ٣٧٢ ) الذي كان يؤثر مجالسة الأدباء على مناداة الأمراء<sup>٧</sup> . وله دار بشيراز وخزانة للكتب عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ، ولم يبق كتاب صنّف إلى وقته من أنواع العلوم كلها ، إلا وحصله فيها ، والدفاتر منضدة على الرفوف ، ولكلّ نوع بيوت ، وفهرستات

١ . مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٦ ، ص ٨٥ .

٢ . السامر ، الدولة الحمدانية ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٤٠ .

٤ . ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٨٦ .

٥ . عضدالدوله ، هو أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة أبي الحسن بن أبي شجاع بويه ، انظر القمي ، الكني

والألقاب ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ ؛ وابن الوردي ، التاريخ ، ج ١ ص ٤٢٤ .

٦ . الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .

٧ . المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٤٩ .

فيها أسامي الكتب<sup>١</sup>.

وقد كرم عضد الدولة العلماء من الفلاسفة ، وأفرد لهم في داره موضعاً يقرب من مجلسه ، يجتمعون فيه للمفاوضة ، وكان هو نفسه مشاركاً في عدة من فنون الأدب ، وأخرج من بيت المال أموالاً عظيمة صرفت في أبواب العلم وتحصيله ، وعلى الصدقات لذوي الحاجة من أهل الملة ، وتجاوزهم إلى أهل الذمة<sup>٢</sup>.

كما عمل على النهوض بمرافق بلاده بشكل مثير ، فعمد إلى تشجيع العلماء والقراء ، وشيّد المساجد والمستشفيات وغيرها من المنشآت العامة ، وأصلح القنوات والآبار ، فامتألت بالمياه ، كما خصص جزءاً من أموال الدولة للترفيه عن الفقراء<sup>٣</sup>.

وقد سحب عضد الدولة عدد كبير من العلماء والكتاب ، وصنّفوا له كتباً قيمة مثل كتابي الايضاح وكتاب التكملة في النحو الذي صنّفه الشيخ أبوعلي الحسن بن أحمد بن عبدالغفارالفارسي النحوي ( ٢٨٨ . ٣٧٧ هـ )<sup>٤</sup>.

وكان إمام زمانه في علم النحو ، وكذلك كتاب التاجي في أخبار بني بويه لأبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن هارون الحراني الصابي ( ٣٢٠ . ٣٨٤ هـ )<sup>٥</sup> ، الذي كان كاتب الإنشاء ببغداد في عهد الدولة البويهية.

ولا غرابة أن تزدهر العلوم في مثل هذا العهد ازدهاراً سريعاً ، وينبغ العديد في مختلف العلوم والفنون والآداب ، سيما وأن العهد البويعي جاء بعد فترة من الاضطهاد الفكري الخانق ، فتفتقت الطاقات ونمت المواهب في ظل عهد يحترم العلم ، ويكرم العلماء ، ولذلك تزخر أيام البويهيين بأصحاب الفكر والأدب والفقهاء والتفسير والشعر والحديث ، وغيرها من

١. زيدان ، تاريخ آداب اللغة.

٢. مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٦ ، ص ٤٠٨.

٣. دائرة المعارف الإسلامية ، مادة بابويه ، ج ٤ ، ص ٣٥٧.

٤. الزركلي ، الأعلام ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٦١.

٥. زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٤.

أمثال الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ( ٣٣٦ . ٤١٣ هـ )<sup>١</sup> ، والشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين ( ٣٥٩ . ٤٠٦ هـ )<sup>٢</sup> ، حيث كان نقيب النقباء وشاعر عصره ، وإليه كانت إمارة الحج والمظالم .

وكذلك الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بعلم الهدى ( ٣٥٥ . ٤٣٦ هـ )<sup>٣</sup> ، ومن ثمّ صاحبنا الشيخ الطوسي ، ومن قبله كان أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ( ت سنة ٣٢٩ هـ )<sup>٤</sup> ، وهو أحد شيوخ الشيعة الإمامية وصاحب كتاب الكافي ، أحد الأصول الأربعة عندهم ، وكذلك أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه<sup>٥</sup> ، والذي يعتبر من كبار علماء الإمامية ، وأستاذ الشيخ المفيد والمدفون حالياً في مدينة الكاظمية ببغداد بجوار الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد<sup>٨</sup> ، والذي كانت وفاته سنة ٣٦٨ هـ ، وكذلك الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي<sup>٦</sup> الذي يعتبر رئيس المحدثين واحد شيوخ الشيعة الإمامية ، ويعد كتابه من لايحضره الفقيه أحد الأصول الأربعة عند الإمامية ، وقد توفي عام ٣٨١ هـ ، كما ونبغ في هذا العصر الكثيرون من شيوخ وأصحاب الفرق الكلامية مثل :

المؤردى أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري<sup>٧</sup> صاحب كتاب الأحكام

- 
- ١ . الطوسي ، الرجال ، ص ٤٥٨ .
  - ٢ . الثعالي ، يتيمة الدهر ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ، متز ، الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٣١٢ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ، ص ٢٨١ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٤٤ ؛ الطريحي ، مجمع البحرين ، ج ١ ، ص ١٨٩ ؛ التستري ، قاموس الرجال ، ج ٨ ، ص ١٤٨ .
  - ٣ . الطوسي ، الفهرست ص ٩٨ . ١٠٠ .
  - ٤ . القمي ، الكنى والألقاب ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ، بحرالعلوم ، الرجال ج ٣ ، ص ٣٢٥ ، ابن شهر آشوب ، معالم الرجال ، ص ٨٨ .
  - ٥ . الطوسي ، الرجال ، ص ٤٥٨ ، ابن حجر ، لسان الميزان ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، القمي ، الكنى والألقاب ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .
  - ٦ . القمي ، الكنى والألقاب ، ج ١ ، ص ٢١٦ ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ ، ص ٣٤٣ ؛ الطوسي ، الفهرست ، ص ٦٧ .
  - ٧ . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ ، الطاهر ، الشعر العربي ، ج ١ ، ص ٦٥ .

السلطانية ، وهو أحد فقهاء الشافعية ، وقد توفّي في بغداد سنة ٤٥٠ هـ .  
 والجويني امام الحرمين أبوالمعالى ضياء الدين عبدالملك بن عبد الله بن يوسف ( ٤١٩ .  
 ٤٧٨ هـ )<sup>١</sup> ، وهو أحد فقهاء الشافعية ، والباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد ، توفّي  
 في بغداد عام ٤٠٣ هـ<sup>٢</sup> ، وهو أشعري المذهب ، وقد انتهت إليه رئاسة المذهب الأشعري ،  
 وكان ممن صنّف في علم الكلام ، والبصري أبو الحسين محمد بن علي الطيب المتوفّي سنة ٤٣٦  
 هـ<sup>٣</sup> ، ويعتبر من أكبر شيوخ المعتزلة ، وكان إمام وقته في علم الكلام ، وابن الصباغ أبو نصر  
 عبدالسعيد بن محمد بن عبدالواحد ( ٤٠٠ . ٤٧٧ )<sup>٤</sup> ، وقد درس في المدرسة النظامية ببغداد  
 ، واعتبر فقيه العراقيين في عصره ، وكان شافعي المذهب ، والدماغاني أبو عبد الله محمد بن علي ( ٣٩٨ . ٤٧٨ هـ )<sup>٥</sup> ، وكان أستاذ المذهب الحنفي ، وقد عين بمنصب قاضي القضاة سنة  
 ٤٤٧ هـ ، والبغدادي أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل الظفري المقرئ ( ٤٣١ . ٥١٣ هـ )<sup>٦</sup> ،  
 وهو أحد شيوخ الحنابلة وكان فقيهاً وأصولياً متكلماً وواعظاً .

ومثل هذا الخليط من العلماء والفقهاء والمتكلمين والمنتمين إلى مذاهب شتى يعكس لنا  
 بوضوح طبيعة الأجواء العلمية السائدة في العصر البويهي ، ويؤكد وجود الحرية الفكرية والانفتاح  
 العلمي على كل المذاهب ، دون أن يختص الاهتمام البويهي بطائفة من الناس على حساب  
 غيرهم ، حيث كان الإمامي والشافعي والحنفي والحنبلي والأشعري والمعتزلي كلهم يلقون الرعاية  
 والاعون والحماية ، ومما يؤكد هذا أن عضد الدولة نفسه كان يكرم العلماء أوفى إكرام ، وينعم  
 عليهم أهنأ إنعام ويُقرّبهم من حضرته ، ويُدنيهم من خدمته ،

١. السبكي ، طبقات الشافعية ج ٥ ، ص ١٦٥ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٣٤١ .

٢. ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٤٠٠ .

٣. نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٤٠١ .

٤. الطاهر ، الشعر العربي ، ج ١ ، ص ٦٦ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ .

٥. الطاهر ، الشعر العربي ، ج ١ ، ص ٦٦ .

٦. البغدادي ، الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

ويعارضهم في أجناس المسائل ، ويفاوضهم في أنواع الفضائل ، فاجتمع عنده من كل طبقة أعلاها ، وجنى له من كل ثمرة أحلاها <sup>١</sup> .

كما كان الوزير البويهى سابور بن أردشير نفسه أديبا فقيهاً ، من أهل الفضل والأدب <sup>٢</sup> عفيفاً عن الأموال كثير الخير سليم الخاطر <sup>٣</sup> ، ولذلك كان اهتمامه كبيراً بالعلوم والآداب ، واحترامه جماً للعلماء والأدباء ، وكانت دار العلم التي أنشأها مكاناً لتجمعهم ونقطة اجتذاب لهم ، وقد آلت تلك الدار بعد وفاة مؤسسها سابور بن أردشير عام ٤١٦ هـ إلى الشريف المرتضى الذي عين عليها أبا عبد الله بن أحمد مشرفاً <sup>٤</sup> ، وقد بقيت هذه الدار عامرة بالعلماء وطلاب العلوم إلى أن احترقت عام ٤٥١ هـ عند دخول طغرلبيك <sup>٥</sup> أول سلاطين السلاجقة إلى بغداد ، بعد أن قضى على حركة مقدم الأتراك ببغداد أبو الحرث أرسلان بن عبد الله البساسيري <sup>٦</sup> ، ولم تكن دار العلوم قد احترقت وحدها ، وإنما احترق قسم كبير من محال بغداد <sup>٧</sup> في وقتها ، هذا وقد امتاز عهد آل بويه بالتقدم الكبير في مجال العلوم والآداب سواء بتأثير البويهيين أنفسهم أو بتأثير وزرائهم الذين كان جلهم من العلماء والشعراء والكتاب <sup>٨</sup> ، مما حول بغداد إلى كعبة للعلم والعلماء ، يقصدها طلاب العلوم من كل مكان ، خاصة بعد أن شيد الوزير البويهى أبو نصر سابور بن أردشير ( ٣٣٦ . ٤١٦ هـ ) دارالعلم ، وأبو نصر هذا كان يلقب بهاء الدولة ، وهو من أكبر الوزراء لدى أبي نصر بن عضد الدولة

- 
- ١ . الروذ راوري ، ذيل تجارب الأمم ، ج ٣ ، ص ٦٨ .
  - ٢ . بحر العلوم ، دليل القضاء الشرعي ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
  - ٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٩ .
  - ٤ . الحموي ، معجم الأدباء ، ج ٦ ، ص ٣٥٩ .
  - ٥ . دائرة المعارف الإسلامية ، مادة طغرلبيك ، ج ١٥ ، ص ٢٣٠ .
  - ٦ . ابن الأثير ، اللباب ، ج ١ ، ص ١٢١ ، ابن الوردي ، التاريخ ، ج ١ ، ص ٥٠٧ ، القمي ، الكنى والألقاب ، ج ٢ ص ٧٤ .
  - ٧ . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٥٥ .
  - ٨ . زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

البويهى ، حيث جمعت فيه الدراية والكفاية <sup>١</sup> وكان بابها محط الشعراء والأدباء <sup>٢</sup>.  
وتعتبر دار العلم أول مدرسة وقفت على الفقهاء <sup>٣</sup> منذ أن تأسست عام ٣٨١ هـ <sup>٤</sup> في  
منطقة الكرخ ببغداد في محلة تسمى بين السورين <sup>٥</sup> وكانت هذه المدرسة ملتقى الأدباء والعلماء  
والباحثين ، وكان قد تردد عليها الشاعر المعروف أبو العلاء المعري عام ٣٩٩ هـ ، وأقام فيها  
سنة وسبعة أشهر ، ثم غادرها إلى وطنه <sup>٦</sup> ، لينشد لها قصيدة يقول فيها :  
وغنت لنا في دار سابور قينة من الورق مطراب الاصيل مهيب <sup>٧</sup>  
وقد كانت هذه الدار على غرار بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة العباسي هارون الرشيد  
( ١٧٠ . ١٩٣ هـ ) حيث استطاع سابور بن أردشير أن ينقل إليها كتباً كثيرة ابتاعها ، وجمعها  
، وعمل لها فهرستاً ، وردّ النظر في أمورها ومراعاتها والاحتياط عليها إلى الشريفيين أبي الحسين  
محمد بن الحسين بن أبي شيبه ، وأبي عبد الله محمد بن أحمد الحسيني والقاضي أبي عبد الله  
الحسين بن هارون الضبي ، وكلف الشيخ أبابكر محمد بن موسى الخوارزمي ، فضل عناية بها <sup>٨</sup>  
وكان فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد <sup>٩</sup> ولعل الاختلاف الذي وقع بين ما أورده ابن الجوزي في  
تاريخ إنشائها عام ٣٨١ هـ <sup>١٠</sup> ، وبين ما ذكره ابن العماد في

- 
١. ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٩٩ .
  ٢. ابن الأثير ، الكامل ج ١ ، ص ٣ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٤ ؛ ابن كثير ، البداية  
والنهاية ، ج ١٢ ص ١٩ .
  ٣. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣١٢ .
  ٤. المعري ، شروح سقط الزند السفر الثاني ، ص ١٢٤٠ .
  ٥. البغدادي ، مرصد الاطلاع ، ج ١ ، ص ٢٤٥ ، العمري ، غاية المرام ، ص ٢٦ .
  ٦. أبو الفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .
  ٧. أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ج ١ ، ص ٢٥١ .
  ٨. ابن الجوزي ، المنتظم ، مادة بين السورين ، ج ٧ ، ص ١٧٢ .
  ٩. السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤١٢ .
  ١٠. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٩ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٢ .

شذرات الذهب عندما حدّد عام تأسيسها في ٣٨٣ هـ<sup>١</sup> ، سبّبه المدّة التي قضاهها الوزير البويهّي سابور بن أردشير بجمع الكتب والمخطوطات إليها ، لكي تحتوي فيما بعد على اصناف العلوم ، وتضم مائة مصحف بخطوط بني مقلّة<sup>٢</sup> ، اذا لم تكن في الدنيا أحسن كتبها كلها بخطوط الأئمة المعتمدة وأصولها المحرّرة<sup>٣</sup>.

وطبيعي جداً لإنشاء مكتبة كهذه أن يستغرق إنشاؤها وجمع كتبها سنتين من الزمان ، فقد جمع فيها الوزير البويهّي ماتفرق من كتب فارس والعراق ، واستكتب تأليف أهل الهند والصين والروم<sup>٤</sup> ، كما وأخذ العلماء يهدون للوزير البويهّي سابور بن أردشير مؤلفاتهم ، لأنّه كان من أهل الفضل والأدب ، فاصبحت مكتبته من أغنى دور الكتب ببغداد<sup>٥</sup>.

كما وأنشئت دار أخرى في بغداد من قبل الشريف الرضي ، وسماها دار العلم<sup>٦</sup> ، وفيها سكن للطلاب ، وقد وفر لهم جميع ما يحتاجون إليه<sup>٧</sup> ، حيث يتبع الدار مخزن كبير يحوي على كلّ الوسائل المادية التي يحتاجها الطلاب ، كما وتوجد إلى جانب هذا خزانة كبيرة منظمة تنظيمًا حسنًا<sup>٨</sup> وكانت تعرف بخزانة دار العلم. وقد ضمت بغداد مكتبة أخرى للشريف المرتضى تحتوي على ثمانين ألف مجلد<sup>٩</sup> ،

كان يؤمها الباحثون والعلماء والأدباء بالاضافة إلى ذلك فقد دفع الشريف المرتضى

١. ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٤ .

٢. القمي ، الكنى والألقاب ، ج ١ ، ص ٤١٨ ، متر ، الحضارة الإسلاميّة ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

٣. الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧١٩ .

٤. محمد كردعلي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٨٥ .

٥. الطوسي ، الأمالي ، ج ١ ، ص ١١ .

٦. ابن عتبة ، عمدة الطالب ، ص ١٩٩ .

٧. الحلبي ، مقدمة ديوان الرضي ، ص ٦٨ .

٨. عواد ، خزائن الكتب القديمة في العراق ، ص ٢٣١ .

٩. ابن عتبة ، عمدة الطالب ، ص ١٩٥ .

الحركة العلمية شوطاً بعيداً عندما أوقف قرية على كاغد الفقهاء<sup>١</sup> ، هذا إلى جانب ما كان يقدم عليه المحسنون في بغداد من إنشاء المدارس ، ثم يوقفون عليها بعض أملاكهم لسد حاجات المدرسين والطلبة<sup>٢</sup> .

كل هذه الأمور أوجدت حركة ثقافية وعلمية ممتازة في بغداد شجعت طلاب المعرفة إلى الهجرة إليها والاستزادة من علوم المدارس فيها ، وكان شيخنا الطوسي واحداً من بين العديدين من أولئك الذين آثروا الهجرة إلى بغداد والدراسة فيها.

ولم يكتب لهذه الحياة الرغيدة أن تدوم إذ تكدر صفو الأمن والهدوء في بغداد ، حيث إن الازدهار الثقافي والحركة العلمية التي تمت في أجواء الحرية كانت قد أوجدت ردة فعل معاكسة وخطيرة في نفوس السلفيين الذين جهدوا للحيلولة دون نمو التيار العقلي واستطاعوا فعلاً إقناع السلطة الحاكمة آنذاك لأن تضيق على رجال العلم وطلبة العلوم العقلية بعد أن صدّقوا مقولات السلفيين فيهم ، وعندها بدأت سياسة الإرهاب والكبت تأخذ طريقها إلى أكثر قطاعات الأمة على أوسع نطاق ، بعد أن صعد السلفيون من حملتهم على طلبة العلوم واعتبروهم خطراً على الدين ، فأصبح اضطهادهم ومطاردتهم أمراً يتم تحت أعين السلطة وعلمها ، حيث بعث الخليفة القادر بالله ( ٣٨١ . ٤٢٢ ) إلى السلطان محمود الغزنوي<sup>٣</sup> في بلاد فارس عام ٤٠٨ هـ ، يأمره ببث السنة بخراسان<sup>٤</sup> .

ففعل ذلك وبالغ وقتل جماعة ونفى جماعة من المعتزلة<sup>٥</sup> ، والرافضة<sup>٦</sup>

١ . الأفتدي ، رياض العلماء ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

٢ . خدابخش ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٧٢ .

٣ . محمود شريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص ٤٧٤ ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ٨٧ .

٤ . القزويني ، آثار البلاد ، ص ٣٦١ .

٥ . المعتزلة : هم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري حول مسأله مرتكب الكبيرة ، والقائل المنزلة بين المنزلتين ، ويدعي المعتزلة بأصحاب العدل والتوحيد والقدره ، انظر الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٥٧ .

٦ . الرافضة : هم الذين رفضوا إمامة أبي بكر وعمر ، كما وأنه اسم يطلق على الذين رفضوا إمامة زيد بن علي

والإسماعيلية<sup>١</sup> والجهمية<sup>٢</sup> والمشبهة<sup>٣</sup> ، وأمر بلعنهم على المنابر ،<sup>٤</sup> وقد استجاب السلطان الغزنوي لأوامر الخليفة العباسي ، واستن بسنته في قتل المخالفين ونفيهم وحبسهم<sup>٥</sup> ، وقد اعدم الكثيرين من رعاياه بتهمة الاحاد<sup>٦</sup> ، ولم يكتف بذلك ، بل قام هذا السلطان عام ٤٢٠ هـ باحراق ماوصلت إليه يداه من كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض<sup>٧</sup>.

ولعل من أهم الأسباب التي دعت العباسيين لأن يدعموا موقف السلفية هو رغبتهم في جعلها قوة مناوئة بوجه النفوذ الفاطمي الذي قويت شوكته في مصر ، ومن ثمَّ وجدت لها طريقاً سالكاً باتجاه العراق ، فانتشرت دعوتهم في كلِّ مكان منه<sup>٨</sup> ، الأمر الذي اغضب الخليفة العباسي واقلقه ، فحرض الغزنويين على البطش والفتك بكل من خرج عن المنهج السلفي ، ولذلك دعا الخليفة القادر ذوي المكنانة الدينية والعلماء لشن حملة تشكيك مكثفة ضد الفاطميين ، سواء من خلال الطعن بعلويتهم ، أو نسبهم إلى الكفر والفسق ونحو ذلك<sup>٩</sup> ، وأخذ يضطهد كل من له صلة بخليفة القاهرة.

بن الحسين<sup>٧</sup> الذي ثار أيام خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢١ هـ ..

انظر الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ١ ، ص ٨٧ ؛ والمسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢١٧ .

١ . الإسماعيلية : احدى فرق الشيعة التي تؤمن بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ، انظر الشهرستاني ، الملل والنحل للشهرستاني ، ج ١ ، ص ٢٧٨ ؛ ودائرة المعارف الإسلامية ، مادة الإسماعيلية ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .

٢ . الجهمية : فرقة كلامية ، جبرية تقول بخلق القرآن وتنسب إلى جهنم بن صفوان ، انظر الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١١٣ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مادة جهنم ، ج ٧ ، ص ١٩٥ .

٣ . المشبهة : فرقة من أهل الحديث تذهب إلى القول بالتحسيم ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٤٥ ، مادة المشبهة .

٤ . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٨٦ .

٥ . متر ، الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .

٦ . ابو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٦٤ .

٧ . المقرئ ، تعاضد الحنفاء ، ص ٤٥ .

٨ . حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٢٨ .

٩ . حسن إبراهيم حسنى ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٦٩ ، القزويني ، آثار البلاد ، ص ٤١٨ .

إلا أن مثل هذه السياسة المتشددة التي أقدم عليها العباسيون لم تُحلّ دون نجاح الدعوة الفاطمية ، وإمّا ازداد اقبال الناس عليها ، حتى في عاصمة الخلافة العباسية نفسها ، وقد تضاعف هذا الإقبال بشكل أشد بعد انتزاع البساسيري بغداد من أيدي العباسيين ودعوته الناس بشكل علني للخليفة الفاطمي وذلك سنة ٤٥٠ هـ ، حيث خطب للمستنصر بالله<sup>١</sup> . وقبل ذلك كان داعي الدعوة الفاطمي هبة الله الشيرازي<sup>٢</sup> يعمل لتكوين جبهة معارضة للعباسيين من أمراء العرب والأكراد ، فخلع عليهم الخلع الفاطمية النفيسة التي لم يشاهدوا لها مثيلاً<sup>٣</sup> ، كما واستطاع الشيرازي هذا أن يضم إبراهيم<sup>٤</sup> أحاطغربك إلى الفاطميين<sup>٥</sup> . وبهذا اشتد الصراع السياسي ، ولم يكن بمقدور السلطة القائمة انذاك السيطرة على الموقف ، وفي سنة ٤١٦ هـ كثرت أعمال السلب والنهب ، وقد زاد من سوء الأوضاع سيطرة الأتراك على بغداد عام ٤١٧ ، فآكثروا مصادرات الناس ، وعظم الخطب ، وزاد الشر<sup>٦</sup> ، واستمرت الحالة في التردّي حتى وصلت أوجها عندما استولى السلاجقة الذين كانوا يمتازون بالتطرف والانحياز لصالح الاتجاه السلفي على بغداد عام ٤٤٧ هـ ، فاسرفوا في البطش والإرهاب بكل من خالف مذهبهم ، وعاش العراقيون أشد سنيهم بين عامي ( ٤٤٧ و ٤٤٩ هـ ) ، حيث عمت المجاعة ، وكثر الغلاء ، وأكل الناس الميتة ، ولحقهم وباء عظيم ، فكثرت الموت ، حتى دفن الموتى بغير غسل ولاتكفين بعد أن عجز الناس عن دفن موتاهم<sup>٧</sup> ،

١. حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٦٩ ، القزويني ، آثار البلاد ، ص ٤١٨ .

٢. حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ٦١ .

٣. المؤيد في الدين ، ديوان المؤيد ، ص ٤٣ .

٤. شلبي : التاريخ الإسلامي ، ج ٤ ، ص ٥٤ .

٥. حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطميّة ، ص ٢٣٣ .

٦. ابو الفداء ، المختصر ، ج ٥ ، ص ١٥٦ .

٧. ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٦٦ .

وقد فقد الأمن واضطرب النظام فنهبت الرصافة وترب الخلفاء<sup>١</sup>.

كلّ هذا كان يجري وإلى جانبه يضيع الكثير من التراث الإسلامي ، ويأفل نجم الفكر والعلم والأدب ، ويتعرض رجاله للاضطهاد والتعذيب ، وكان شيخنا الطوسي واحداً من بين العديدين من العلماء الذين تعرضوا للأذى ، حيث كبست داره وأحرقت كتبه<sup>٢</sup> ، وفي عام ٤٥١ هـ أحرقت بغداد الكرخ وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التي أوقفها أردشير الوزير<sup>٣</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن مكتبة الوزير البويهبي سابور بن أردشير غدت من أهم مراكز التشيع واهم الوسائل لبث الدعوة الشيعية آنذاك<sup>٤</sup>.

مما حمل السلاجقة على شن هجوم عنيف ضد كل المؤسسات الدينية والتعليمية للشيعية بما فيها أوقاف التعليم<sup>٥</sup> ، الأمر الذي أفقد المكتبة الإسلامية نفائس الكتب التي صارت هدفاً لأطماع الموظفين وأصحاب الغنائم الخاصة<sup>٦</sup> ، بالإضافة إلى ذلك فقد عمد السلاجقة إلى تأسيس المدرسة النظامية في بغداد كوسيلة لمقاومة التشيع على الصعيد الفكري<sup>٧</sup> ، ولغرض إيقاف التيار العقلي الذي كان ينتهجه الشيعة والمعتزلة أيضاً ، وقد بذل الوزير السلجوقي في هذا السبيل جهوداً كبيرة وأموالاً كثيرة ، يظهر ذلك بوضوح من خلال قراءة بعض ماجاء برسالته إلى ألب أرسلان والتي يقول فيها :

جعلت لك من خراسان جنداً ينصرونك ولا يخذلونك ، ويرمون دونك بسهام لا تخطئ ، وهم العلماء والزهاد ، فقد جعلتهم بالإحسان إليهم من أعظم أعوانك<sup>٨</sup>.

١. الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٨٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٥٥.

٢. السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص ١٢٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٧١.

٣. ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣.

٤. غنيمة ، تاريخ الجامعات ، ص ٥٨.

٥. فياض ، تاريخ التربية ، ص ٢٦١.

٦. ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣.

٧. فياض ، تاريخ التربية ، ص ١٠٢.

٨. ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٥.

وقد لقيت المدارس النظامية موجة من المقاومة أثارها الحنابلة<sup>١</sup> ، لأن تلك المدارس كانت تدعو للمذهب الشافعي ، فاشتدّ الصراع بين المذهبين ، وأصبحت بغداد كغيرها من الأمصار الإسلامية ميداناً للخلافات المذهبية التي عصفت بالهدوء والنظام معاً. أما شيخنا الطوسي فقد اضطر إلى الهجرة باتجاه النجف الأشرف بعد ما رأى الخطر محققاً به<sup>٢</sup> ، حيث توسعت الفتنة لتشمل شيخ الطائفة وأصحابه ، فاحرقوا كتبه وكرسيه الذي كان يجلس عليه.

يقول ابن الأثير الجزري في التاريخ الكامل في حوادث سنة ٤٤٩ هـ :

نُحِبُّ دَارَ أَبِي جَعْفَرِ الطُّوسِيِّ بِالكَرْبَلَاءِ ، وَهُوَ فَقِيهِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَأَخَذَ مَا فِيهَا ، وَكَانَ قَدْفَارِقَهَا إِلَى الْمَشْهَدِ الْغُرُوبِيِّ.

ويبدو أن كتب الشيخ الطوسي قد أحرقت عدة نوبٍ بمحضِرٍ من الناس في رَحْبَةِ جَامِعِ النَّصْرِ.

وفي عام ٤٤٩ هـ . كبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكربخ ، وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسيه كان يجلس عليه للكلام ، وأخرج إلى الكربخ ، وأضيف إليه ثلاثة سناجق<sup>٣</sup> بيض كان الزوار من أهل الكربخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة الكوفة فأحرق الجميع<sup>٤</sup> . وهناك في مدينة النجف الأشرف استقر الطوسي ، حيث وجد فيها حركة علمية ، فسعى إلى تنميتها ، وقد تمكن بعد سنوات قليلة من أن يجعل هذه المدينة مركزاً للتخصص في الفقه والأصول ، بعد أن أنشأ الحوزة العلمية فيها والتي تحولت بفضلها إلى واحدة من أكبر الجامعات الإسلامية في العالم.

ولعلّ أهم ما يثير انتباه الباحث في دراسته لأحوال الشيخ الطوسي ، هو إصراره على

١. متر ، الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٣٧٦.

٢. الطوسي ، الأمالي ، ج ١ ص ١٣.

٣. السنحقي : بكسر السين المهملة هو اللواء وجمعه سناجق زنة فاعل.

٤. ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٧٣.

مواصلة الدّرب في منهجه التعليمي رغم كلّ ما لقيه من متاعب ومشاكل على هذا الطريق ، فلم تُثْنِ الحنّ والمشاكل من عزمه ، بل عاودَ نشاطه في موطنه الجديد في مدينة النجف الأشرف ، وجمع حوله العديد من طلبة العلوم الدينية ، ليكمل رسالته التي هَجَرَ مسقط رأسه من أجلها.



## الباب الثاني :

### منهجية الشيخ الطوسي في تفسيره

الفصل الأول : نشأة التفسير وتطور مناهجه ،

وصف مجمل لتفسير التبيان

الفصل الثاني : الجانب العقلي في التبيان

الفصل الثالث : الجانب الاثري في التبيان

الفصل الرابع : الجانب اللغوي في التبيان



## الفصل الاول :

### نشأة التفسير وتطور مناهجه

#### وصف مجمل لتفسير التبيان

لما كان القرآن الكريم كتاب الله الذي أنزله على رسوله الأمين محمد ٩ ، ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، فإنه لابد للمسلمين من أن يتفهموا معانيه ، ويفقهوا آياته ليتمكنوا من العمل على ضوء تعاليمه ووفق مفاهيمه وعلى وحي من هدايه ، وكان لابد لرسول الله ٩ من أن يبين للناس ما في هذا الكتاب العزيز ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ )<sup>١</sup> ، خاصة وأن القرآن الكريم قد احتوى المحكم والمتشابه من الآيات والمطلق والمقيّد من الأحكام ، فضلاً عن تضمنه الحقيقة والمجاز والتصريح والكناية ، وفعلاً فقد تولى رسول الله ٩ مسؤولية التفسير والشرح لآيات الكتاب طيلة سني حياته ، ليوضح أسباب النزول ويبين ما يحتاج إلى البيان من المجمل والمتشابه والناسخ والمنسوخ ، كما ويشرح عملياً بعض الأحكام العبادية والواجبات الشرعية التي جاء بها الكتاب المجيد ، وفي هذا الصدد كان هناك رأيان حول ما إذا كان الرسول ٩ قد بين للصحابة كتاب الله كلّّه ، ألفاظه ومعانيه أم لا؟ فابن تيمية يؤكّد أنّ الرسول ٩ كان قد بين

---

١. النحل ( ١٦ ) الآية ٤٤ .

للسحابة القرآن كلّه ألفاظه ومعانيه <sup>١</sup> ، في حين يؤكد الزركشي أنّ تفسير القرآن وتأويله بجملته لم ينقل إلينا عن الصحابة ، فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه <sup>٢</sup> ، والواقع أنّ فهماً إجمالياً للقرآن كان قد توفر للعديد من الصحابة ، ولكن فجوات التباين بين أفهامهم بقيت كبيرة ، وتشهد كتب الصحاح بذلك ، وهي تروي لنا ما وقع فيه الصحابة من أخطاء في تفسير آيات القرآن الكريم ، ومرّد ذلك إلى اختلاف مداركهم ومعارفهم واستيعابهم للغة ومدى التصاقهم بالرسول الأكرم <sup>٩</sup> وقرههم منه .

فقد روي عن عدي بن حاتم قوله :

لما نزلت ( **حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ** ) <sup>٣</sup> عمدت إلى عقال أبيض فجعلته تحت وسادتي ، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي ، فغدوت على رسول الله <sup>٩</sup> ، فذكرت له ذلك ، فقال : إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار <sup>٤</sup> .

وعن ابن عباس روي قوله :

كنت لا أدري ما ( **فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتهما ، أي أنا ابتدأتهما <sup>٥</sup> .

ورغم كلّ ذلك فقد كان القرآن في عصر الرسالة قريباً إلى عقول الناس وأفهامهم ، وإن تفاوتت تلك الأفهام في درجة المعرفة والإدراك <sup>٦</sup> .

وعندما فجع المسلمون بوفاة المفسر الأول <sup>٩</sup> لجأوا بعد ذلك إلى صحابته الذين عاشروه وسمعوا منه وتفقهوا على يديه ، يسألونهم تفسير ما يستغلق على أذهانهم فهمه من مفردات القرآن الكريم وآياته ، فيروي لهم الصحابة ما سمعوه من رسول الله <sup>٩</sup> في ذلك ،

١. مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، تحقيق عدنان زرزور ، ص ٣٥ ، بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٢ م ، ط

٢.

٢. البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص ١٥ ، بيروت دار المعرفة ، ١٩٧٢ م ، ط.

٣. البقرة ( ٢ ) الآية : ١٨٧ .

٤. صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب قوله تعالى : ( **كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ** ) .

٥. تفسير الطبري ، ج ١١ ، ص ٢٨٣ ، الآية : الأنعام ( ٦ ) ١٤ .

٦. حسن الأمين ، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، ج ١١ ، ص ٦٥ .

ولا يتردد بعضهم من الاعتراف بجهله في معاني بعض الكلمات تنزيهاً للقرآن من التفسير بالرأي والظن<sup>١</sup> ، ومن ذلك ما روي عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أنه قرأ ( **وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** ) فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم قال : « قد نُهينا عن التكلف »<sup>٢</sup> ومع كثرة الصحابة الذين عايشوا رسول الله وعاصروه وسمعوا منه الحديث إلا إننا لانكاد نجد من بينهم نسبةً عالية من المفسرين ، وفي هذا المجال يصرح السيوطي في الإتيان بقوله :

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير . أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب ، والرواية عن الثلاثة الآخرين نزره جداً ، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر للحديث ولا أحفظ عن أبي بكر في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً لاتكاد تجاوز العشرة<sup>٣</sup> .

أما روايات أهل البيت : وروايات أخرى عن الصحابة ، فإنها تؤكد أنّ رسول الله ٩ قد اختصّ الإمام علياً<sup>٧</sup> بالتعليم وبيان كتاب الله ، وأنّ أهل البيت : قد ورثوا علوم رسول الله ٩ ، وهم رفقاء القرآن ، لا ينفكون عنه ، فقد روى المسلمون بالتواتر عن رسول الله ٩ قوله : إني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي...

لذا فهم المرجع بعد رسول الله ٩ في التفسير وبيان الأحكام ، ومع ذلك فقد برزت مدرستان في التفسير : مدرسة تعتمد على ما صدر عن أئمة أهل البيت : كمراجع للتفسير ، ومدرسة تعتمد على ما صدر عن الصحابة وحدهم فيما لم يرد فيه بيان عن النبي ٩ . ومدرسة التفسير عند الصحابة تعتمد المصادر التالية :

١ . القرآن الكريم : لما يشمل عليه من عموم وخصوص وإطلاق وتقييد وإجمال وتبيين وإيجاز وإطناب ، وفي ذلك يقول الإمام علي<sup>٧</sup> في معرض وصفه للقرآن ينطق بعضه

١ . السيد أبوالقاسم الخوئي ، البيان ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .

٢ . الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٣١٧ ، الآية : عيس ( ٨٠ ) ٣١ .

٣ . السيوطي ، الإتيان ، ج ٢ ، ص ٣٢١ .

بعض ، ويشهد بعضه على بعض <sup>١</sup> ، وإلى هذا المعنى يشير الزمخشري في الكشاف إلى أنه « أسد المعاني ما دل عليه القرآن » <sup>٢</sup> ، وفي هذا الصدد جاءت الآيات الكثيرة وهي تفسر أخواتها وتشرح مفرداتها ومضامينها فابن كثير مثلاً يذكر في تفسيره قول الله تعالى ( **وَفِصَالُهُ فِي عَمَزِينَ** ... ) الآية :

إن جماعة من الصحابة استنبطوا أنّ أقل مدة للحمل ستة أشهر لقوله تعالى ( **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا** ) <sup>٣ و٤</sup>.

٢. الرسول الأكرم ٩ : حيث كان ٩ يبيّن للصحابة ماخفي عليهم ولذلك حفظوا عنه من الاحاديث شيئاً كثيراً كانوا قد استعانوا بها فيما بعد على تفسير آيات الكتاب العزيز وبذلك صار الحديث النبوي الشريف مصدراً مهماً من مصادر التفسير في عصر الصحابة وما بعده أيضاً.

٣. الاجتهاد في الرأي : . والصحابة لا يلجؤون إلى هذا اللون من التفسير إلا بعد أن عدم التيسير لهم للأخذ عن القرآن أو النبي ٩ ، لذلك يضطرون إلى إعمال رأيهم في تفسير بعض من آيات القرآن المجيد يساعدهم في ذلك معرفتهم بمفردات اللغة وصياغتها وأسرارها.

٤. كتب الديانات الأخرى كالإنجيل والتوراة : حيث اعتمد الصحابة عليها في معرفة قصص الأنبياء والأمم الغابرة ، وقد كان الصحابة يرجعون في ذلك إلى من دخل في الإسلام من أهل الكتاب مثل كعب الأحبار وعبدالله بن سلام وأمثالهما.

وفي عهد التابعين أضيف إلى هذه المصادر الأربعة مصدر آخر في التفسير ، كان التابعون يولونه شيئاً من الاهتمام ، وهو أقوال الصحابة فصارت مصادرهم التفسيرية القرآن الكريم وروايتهم عن الصحابة أحاديث النبي ٩ وأقوال الصحابة واجتهاد التابعين أنفسهم

١. محمد عبده ، شرح نَحج البلاغة ، ج ٢ ، ص ١٧ ، بيروت.

٢. الزمخشري ، الكشاف ج ٢ ، ص ١٩٣.

٣. إنّ الذي بيّن هذا الإمام على ٧ كما وضحت الروايات ذلك ، انظر الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٤٠.

٤. ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٤٤٥.

واستنباطهم وأهل الكتاب<sup>١</sup>.

ثم جاء عهد الفتوحات الإسلامية ، فحدثت تلك الفتوحات تغييراً مهماً في ثقافة المسلمين وحياتهم ، إذ أن التلاقح الفكري والحضاري الذي حدث بين أفكار الشعوب المفتوحة والفكر الإسلامي كان عاملاً مهماً في التأثير على المسلمين أنفسهم حيث امتزجت العادات والتقاليد والنظم ، فنشأت مذاهب جديدة طغت على بعضها الخرافات والبدع<sup>٢</sup>.

وفي أواخر أيام الحكم الأموي بدأ عصر التدوين لأحاديث الرسول<sup>٩</sup> ، وكان التفسير باباً من الأبواب التي شملها تدوين الحديث ، حيث لم يُفرد له في بداية الأمر تأليف خاص يفسر القرآن من البداية إلى النهاية ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً حيث بدأ التفسير ينفصل عن الحديث فأصبح علماً قائماً بنفسه ، ووضع لكل آية من القرآن تفسير ، ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف ، كما هو الحال في جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ( ت ٣١٠ هـ )<sup>٣</sup>.

وهنا لابد لنا من ذكر المناهج التفسيرية التي درج عليها المفسرون في تفاسيرهم والتي

يمكن تقسيمها من حيث الأساس إلى :

١ . التفسير بالمأثور

٢ . التفسير بالرأي

٣ . التفسير اللغوي

١ . التفسير بالمأثور : ويشمل هذا النوع من التفسير كل ما جاء في القرآن نفسه من

تفسير الآيات بعضها للبعض الآخر ، وما نقل عن الرسول<sup>٩</sup> وما نقل عن الصحابة<sup>٤</sup> وعن التابعين<sup>٥</sup>

١ . الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ٩٩ .

٢ . الشحات سيد زغلول ، الاتجاهات الفكرية في التفسير ، ص ١١٠ .

٣ . الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ١٤٠

٤ و ٥ . وللشيعة الإمامية آراء مخالفه لهذا الاتجاه .

أيضاً<sup>١</sup> ، وهذا النوع من التفسير هو أول أنواع التفسير ظهوراً<sup>٢</sup> ، ويبدو أنّ هناك اعتراضات من قبل بعض المفسرين حول اعتبار ماينقل من التابعين من قبيل المأثور ، وفي هذا الصدد يقول ابن تيمية وهو يتحدث عن أقوال التابعين :

انها ليست بحجة على غيرهم ممن خالفهم ، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة.

وهناك من يعتبر أقوال التابعين من قبيل الرأي<sup>٣</sup> ولا يعدها من المأثور.

ويعتبر تفسير الطبري من أهم وأول كتب التفسير بالمأثور ، ويمتاز تفسيره بإسناد الأقوال إلى أصحابها مسلسلة ، والتعويل على ما روي عن الرسول<sup>٩</sup> والصحابة والتابعين<sup>٤</sup>.

وقد توسع بعض المفسرين في هذا المنهج ، ونقلوا عن أهل الكتاب شيئاً كثيراً ، وخاصة في مجال القصص النبوي وأحوال الأمم الغابرة مبررين كثرة النقل عن هؤلاء بأنّ مثل هذه المنقولات ليست مما يرجع إلى الأحكام والعقائد ، فتساهلوا في ذلك ، وملأوا تفسيراتهم بمنقولات عن عامة أهل التوراة<sup>٥</sup> ، ولعل التفسير الكبير لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي النيسابوري ( ت ٤٢٧ هـ ) كان واحداً من بين أكثر كتب التفسير نقلاً عن أهل الكتاب ، وكان لكثرة النقل عن أهل الكتاب أكبر الأثر في تضعيف التفسير بالمأثور ، وذلك بسبب ماخالطه من الوضع والإسرائيليات التي كانت لاتعبر عن وجهة نظر إسلامية إطلاقاً ، والتي كانت تحمل بين طياتها أهدافاً شريرة ، القصد منها الإساءة للإسلام ولرسوله ولسائر الأنبياء<sup>٧</sup> ، كما ساهم في تضعيف التفسير بالمأثور أيضاً حذف الأسانيد من الروايات ، وخاصة بعد

١. السيد الخليل ، نشأة التفسير في القرآن والكتب المقدسة ، ص ٣٤ .

٢. الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ١٥٢ .

٣. محمود بسيوني فودة ، التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية ، ص ٢١ .

٤. السيد خليل ، نشأة التفسير ، ص ٥٤ .

٥. ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٦٧ ، السيد خليل ، نشأة التفسير ، ص ٣٤ .

تفسير الطبري<sup>١</sup> ، وهو مجالاً إليه بعض المفسرين بقصد الاختصار كما حدث للبغوي الفراء ( ت ٥١٠ هـ ) وابن كثير ( ت ٧٧٤ هـ ) والسيوطي ( ت ٩١١ هـ ) الذي يقول في مقدمة الدر المنثور :

فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن ، وهو التفسير المسند عن رسول الله ٩ وأصحابه رضي الله عنهم ، وتم بحمد الله في مجلدات ، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة منها ورأيت قصور أكثر المهمم عن تحصيله ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله فلخصت منه هذا المختصر مقتصرًا فيه على متن الأثر مصدرًا بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر وسميته بالدر المنثور في التفسير بالمأثور<sup>٢</sup> .

ويقف مفسرو الإمامية من المأثور ولا يعتبرون إلا بما جاء في القرآن الكريم من بيان وتفصيل ، وماروي عن النبي ٩ وعن الأئمة من أهل البيت : ، وهذا ما أشار إليه الشيخ الطوسي في تفسيره فقال :

إنّ الرسول ٩ حث على قراءة القرآن والتمسك بما فيه ، ورد إليه ما يرد من اختلاف الاخبار في فروع ، ثم اردف قائلاً :

إنّ أصحابنا . يعني الإمامية . ذكروا بأنّ تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي ٩ وعن الأئمة ٧ الذين هم قولهم حجة كقول النبي ٩<sup>٣</sup> .

وفيما عدا ذلك فالإمامية لاتعتبر أي نقل حجة ، وفي ذلك يقول السيد محمد تقي الحكيم : وأما ما نقل عن الصحابة والتابعين فليس بحجة في ذاته<sup>٤</sup> ، ولدى الإمامية تفاسير عديدة عنيت بالمأثور منها :

١ . تفسير العياشي لمحمد بن مسعود بن عياش ، وهو من فقهاء الشيعة الإمامية في

القرن

١ . الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

٢ . السيوطي ، الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٣ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٣ .

٤ . الحكيم ، الأصول العامة للفقهاء المقارن ، ص ١٣٥ .

الثالث الهجري ، وللعياشي هذا أكثر من مائتي مصنف<sup>١</sup> .

٢. تفسير فرات لفرات بن محمد بن فرات الكوفي ، وهو من علماء القرن الثالث للهجرة

٢.

٣. تفسير القمي لعلي بن إبراهيم بن هاشم القمي ، وهو من رجال القرن الثالث والرابع

للهجرة النبوية الشريفة<sup>٣</sup> .

٢ . التفسير بالرأي : ويعني تفسير القرآن بالاجتهاد<sup>٤</sup> ، والرأي لغة هو الاعتقاد والقياس

والاجتهاد ، ويعتبر أصحاب القياس من أصحاب الرأي ، لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثاً أو أثراً<sup>٥</sup> ، واعتماد الرأي في التفسير جاء متأخراً ، وان كانت هناك محاولات تفسيرية من قبل بعض المسلمين في عصر النبوة ، حيث كانوا يعملون نظرهم في القرآن ، عندما لم يتيسر لهم لقاء الرسول<sup>٩</sup> ، فوجد في تلك الفترة من كان يفسر القرآن برأيه<sup>٦</sup> .

وهذا اللون من التفسير قد تعرض إلى هجوم شديد من قبل بعض المسلمين ، حتى كان

بعضهم يجرمونه وينهون عنه<sup>٧</sup> مستندين في ذلك إلى قول الرسول<sup>٩</sup> :

من قال في القرآن برأيه فإصاب فقد أخطأ<sup>٨</sup> ، بينما أجاز هذا النوع من التفسير قوم

آخرون مستدلين بما جاء في القرآن الكريم من دعوة وحث على النظر في كتاب الله ، كما في

قوله تعالى ( **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ** )<sup>٩</sup> .

١. الأميني ، أعيان الشيعة ، ج ١ ، ص ٣٦٦ .

٢. نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٦٦ ، الخوانساري ، روضات الجنات ، ج ٥ ، ص ٣٥٣ .

٣. الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

٤. نفس المصدر .

٥. القاموس المحيط ، فصل الرء باب الواو والباء .

٦. الشحات زغلول ، الاتجاهات الفكرية في التفسير ، ص ٨١ .

٧. نفس المصدر .

٨. انظر سنن الترمذي ، أبواب تفسير القرآن ، باب ماجاء في الذي يفسر القرآن برأيه .

٩. ص ( ٣٨ ) الآية : ٢٩ .

وقوله تعالى ( **أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** )<sup>١</sup>.

وقد فسر المجوزون نهي الرسول<sup>٩</sup> بأنه واقع على صاحبه من غير دليل يقوم عليه أو مجمل النهي ، ومتشابهه ، أو أريد بالرأي الذي يغلب على صاحبه من غير دليل يقوم عليه أو مجمل النهي ، أو من يقول في القرآن بظاهر العربية دون أن يرجع إلى المأثور ، وبالتالي فإنّ المفسر بالرأي الذي يستعين بالمأثور وأدوات التفسير الأخرى من اللغة العربية وعلومها وعلوم القرآن والتاريخ والفقه وأصوله وعلى العقائد وغيرها ، مما ذكرها الباحثون شروطاً للمفسرين<sup>٢</sup> لا يمكن أن يكون مشمولاً بالنهي الوارد في الحديث<sup>٣</sup> ، وهذا يعنى . حسب رأي هذا الفريق . أن هناك نوعين من التفسير بالرأي : أحدهما جائز معتبر ، وهو الذي تراعى فيه الأصول والمعايير المعتبرة لدى المفسرين ، والتي لا يخرج منها المفسر من أحكام الشريعة وروح القرآن الكريم ، والنوع الآخر هو النوع المنهي عنه والذي لا يلتزم فيه المفسر بالمعايير والضوابط المعروفة التي درج عليها المفسرون ، وبالتالي فسوف تأتي تفسيراتهم ، وهي تحمل معها بذور التناقض والخلاف مع الأحكام الإسلامية والمنطق القرآني .

هذا وإن التفسير بالرأي قد اتخذ مسارات وطرقاً مختلفة تناسب ونوع الثقافة التي حصل عليها المفسر وطريقة التفكير في المدرسة التي ينتمي إليها ، ويمكن ذكر أهم المناحي التفسيرية في هذا المجال وهي :

١. المنحى الفقهي في التفسير : وهو المنهج الذي سلكه المفسرون في بيان آيات الأحكام ، وتوضيح المراد منها ، وقد اتسع هذا الإتجاه من التفسير بعد أن ظهرت المذاهب الإسلامية المختلفة ، والتي اختلف معها المفسرون كل حسب ما يعتقده وما يتبناه من أفكار ومفاهيم ، فلأهل السنة بمذاهبهم الأربعة تفسير فقهي متنوع تبعاً لهذه المذاهب الفقهية ، وكذلك الظاهرية والخوارج<sup>٤</sup> ، وآخرون غيرهم .

١. محمد ( ٤٧ ) الآية : ٢٤ .

٢. السيوطي ، الإتقان ، ج ٤ ، ص ٢٠٠ .

٣. الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ٢٥٣ وما بعدها .

٤. نفس المصدر ، ص ٤٣٢ وما بعدها .

فللحنفية كتاب أحكام القرآن لأبي بكر الرازي المعروف بالخصاص ( ت ٣٧٠ هـ ) ،  
وعند الشافعية كتاب أحكام القرآن لأبي الحسن الطبري ( ت ٥٤٠ هـ ) ، ولدى المالكية  
كتاب ( أحكام القرآن ) لأبي بكر بن العربي ( ت ٥٤٣ هـ ) .

٢. المنحى العقيدي : والذي نشأ بسبب اتجاه رجال كل فرقة إلى أعمال عقولهم في  
تأويل النص القرآني ، وتحكيم معتقداتهم فيه ، ومن ثم استخراج الأدلة منه على سلامة اتجاههم  
١ .

وقد كان هذا المنحى خطيراً جداً حيث ظهرت امتدادات الصراع الفكري والعقائدي  
بشكل مؤثر حاول الكثير من الفرق تسخير كتاب الله وجره بما ينسجم ومتبنياتها واتجاهاتها ،  
فتأولت آيات الكتاب بشكل قسري ، وكثيراً ما كانت تتعد فيه عن الروح الموضوعية والنزاهة ،  
وقد كان للمعتزلة دور كبير في هذا الميدان ، حيث إنهم حاولوا تطويع النص القرآني لما يخدم  
أفكارهم ، وركبوا عامل اللغة للوصول إلى هذا الهدف ، وتفسير الكشاف للزمخشري<sup>٢</sup> حافل بهذا  
النوع من التأويل والتفسير الذي تطفح فيه النزعة الاعتزالية بشكل جلي ، يقابله في الجانب  
الأخر الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب ، والذي دافع فيه عن أهل السنة وأبرز النزعة  
الأشعرية ، وهاجم المعتزلة ، وأشبع تفسيره نقداً لهم واحتجاجاً عليهم ، كما ودخل علماء  
المدرسة الإمامية حلبة الصراع وطرحوا آراءهم ومعتقداتهم في كتب التفسير ، حيث لم يكونوا  
متفقين مع المعتزلة في جميع معتقداتهم ، وكذلك مع أهل السنة<sup>٣</sup> ، إلى جانب ذلك فقد ظهرت  
فرق أخرى عديدة أخذت تتوسل بالقرآن في إثبات عقائدها وأفكارها كالخوارج والجهمية  
والمرجئة وغيرهم<sup>٤</sup> .

١. الشحات زغلول ، الاتجاهات الفكرية في التفسير ، ص ١٨٤

٢. نفس المصدر .

٣. شرح المفسرون من الإمامية أفكارهم في مسألة الصفات ورؤية الله وخلق القرآن والعدل والحسن والقبح والعصمة  
والتقية والرجعة إلى غير ذلك من المسائل المختلف عليها مع الفرق الإسلامية الأخرى .

٤. علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .

٣. المنحى الفلسفي : وقد نشأ هذا المنهج بعد اتصال المسلمين بغيرهم فيما بعد عصر الفتوحات ، وكذلك بعد أن نشطت حركة الترجمة من الكتب والثقافات الأخرى كاليونانية والفارسية والهندية<sup>١</sup> ، فقام الفلاسفة المسلمون بمحاولة التوفيق بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات الأخرى ، كما حاولوا التوفيق بين الفلسفة وبين الدين الإسلامي من خلال تأويل النصوص الدينية ، وحملها على معان تتفق وماتقول به الفلسفة<sup>٢</sup>.

فالغرابي فسر الملائكة بأنها صور علمية ، جواهرها علوم ابداعية قائمة بذواتها ، تلحظ الأمر الأعلى فينطبع في هوياتها ماتلحظ ، وهي مطلقة لكن الروح القدسية تخاطبها في اليقظة ، والروح النبوية تعاشرها في النوم<sup>٣</sup> وفسر ابن سينا قوله تعالى ( **اللَّهُ الصَّمَدُ** ) فقال : للصمد في اللغة تفسيران : أحدهما الذي لا جوف له ، والثاني : السيد ، فعلى التفسير الأول معناه سلمي ، وهو إشارة إلى نفي الماهية ، فإن كان ماله ماهية فله جوف وباطن ، وهوتلك الماهية ، وما لبطن له ، وهو موجود فلاجهة ولا اعتبار في ذاته إلا الوجود ، والذي لا اعتبار له إلا الوجود فهو غير قابل للعدم ، فإن الشيء من حيث هو هو موجود غير قابل للعدم ، إذ الصمد الحق واجب الوجود مطلقاً من جميع الوجوه ، وعلى هذا التفسير الثاني معناه إضافي ، وهو كونه سيّداً للكُلِّ أي مبدأ للكُلِّ<sup>٤</sup>.

٤. المنحى الباطني : وأصحاب هذا المذهب هم من الإسماعيلية الذين قالوا بإمامة إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق ، والباطنية كانت قد ظهرت أيام حكم الأمون العباسي ، وانتشرت في زمان المعتصم<sup>٥</sup>.

وقد أسرفت هذه الفرقة في التمسك بباطن الآيات القرآنية دون ظاهرها المعلوم من اللغة ، وقالوا : إنّ نسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشور متشبهين بقوله تعالى :

١. السيد خليل ، نشأة التفسير ، ص ٥٥.

٢. الشحات زغلول ، الاتجاهات الفكرية في التفسير ، ص ٣٠١.

٣. نفس المصدر ، ص ٣١٧.

٤. الشحات زغلول ، الاتجاهات الفكرية في التفسير ، ص ٣٢٧.

٥. عبدالقاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، وبيان الفرقة الناجية منهم ، ص ١٧٠.

### ( فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ )<sup>١</sup>

وقد أفرد الغزالي كتاباً خاصاً لنقض أفكارهم والتشهير بهم سماه فضائح الباطنية ، يقول

في بعض فقراته :

ولما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها ، واستفادوا  
إبطال معاني الشرع ، وكل ماورد من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية ، فكلها أمثلة  
ورموز إلى بواطن<sup>٢</sup> .

وذكر بعضاً من نماذجهم التفسيرية منها :

الذي هو القاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد.  
والاحتلام : هو أن يسبق لسانه إلى إفشاء السر في غير محله ، فعلية الغسل ، أي تجديد المعاهدة.  
أما نار إبراهيم فهي غضب نمرود لا النار الحقيقية.  
وذبح إسماعيل معناه أخذ العهد عليه<sup>٣</sup> .

ومثل هذا التفسير لم يجد رواجاً واسعاً ، خاصة وأنه يخالف النصوص القرآنية مخالفة صريحة ، كما ولم يدعمه أصحابه بما يوثقه من أحاديث النبي ٩ ، أو أحاديث الأئمة من أهل البيت باعتبارهم من القائلين بإمامة علي والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق .:

٥. المنحى الصوفي : وأصحاب هذا المذهب من المتصوفة الذين عرفوا بالاتجاه الروحي ، والذين يغلب عليهم طابع الزهد والتقشف ، وقد حاول هؤلاء إخضاع القرآن الكريم إلى مايعتقدونه ، شأنهم بذلك شأن غيرهم من أصحاب المذاهب المختلفة ، وقد جاء تفسيرهم لآيات القرآن الكريم متميزاً بالرمزية واستعمال الإشارة في التعبير ، وهم في ذلك يلتقون مع الباطنية في بعض المواقف التفسيرية إزاء النصوص ، وهم في منحاهم هذا

١. نفس المصدر ، ص ١٨١ ، مناهل العرفان للزرقاني ، ج ٢ ، ص ٧٤ والآية : الحديد ( ٥٧ ) ١٣ .

٢. الغزالي ، فضائح الباطنية ، تحقيق عبدالرحمن بدوي ، ص ٥٥ .

٣. الغزالي ، فضائح الباطنية ، ص ٥٥ ومابعدها .

يستندون إلى ما في القرآن من دعوة للتأمل والتدبر ، وإلى ماروي عن رسول الله ٩ : لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع و ... ١ ، وبذلك تأولوا آيات القرآن الكريم ، وفسروها بما يتناسب ورؤاهم ، ومن ذلك تفسير قوله تعالى ( **وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ) ٢ ، فذكروا أن مراتب القلوب في القسوة مختلفة فالتى يتفجر منها الأنهار قلوب يظهر عليها الغليان أنوار الروح بترك الملذات والشهوات وبعض الأشياء والمشبهة بخرق العادات ، كما يكون لبعض الرهبانيين واليهود.

والتي تشقق ( **فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ** ) هي التي يظهر عليها في بعض الأوقات عند انخراق الحُجُب البشرية من أنوار الروح فيريه بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء والتي ( **يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ) ما يكون لبعض أهل الأديان والملل من قبول عكس أنوار الروح من وراء الحُجُب ، فيقع فيها الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين وغيرهم ٣ .

٣ . التفسير اللغوي : وقد تبني أصحاب هذا المنهج استخدام اللغة كأداة أساسية في فهم النص القرآني واستخلاص معاني الآيات منه باعتباره نصاً أدبياً معجزاً ، ومن أشهر أصحاب هذا الاتجاه الفراء ( ت ٢٠٧ ) ، ومن ثم جاء أبو عبيده ( ت ٢١٠ ) ، وبعقبهم في ذلك ثعلب ( ت ٢٩١ ) ، وغيرهم ممن كتبوا في معاني القرآن ، وقد أوجد هذا الاتجاه حركة واسعة في مجال الدراسات اللغوية ، فظهرت بعد ذلك آثار علمية في غريب القرآن وأمثال القرآن ومصادرها وغيرها ٤ ، وقد أكثر أصحاب هذا الاتجاه من الاستشهاد بالشعر العربي على الآيات القرآنية ، وعنوا عناية خاصة باللغة صرفتهم عن الاشتغال بالقصص القرآني وتفصيل القول فيه ٥ ،

١ . الشاطبي ، الموافقات ، ج ٣ ، ص ٣٨٢ .

٢ . البقرة ( ٢ ) الآية ٧٤ .

٣ . نظام الدين النيسابوري ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

٤ . السيد خليل ، نشأة التفسير ، ص ٥٨ .

٥ . أبوعبيدة ، مجاز القرآن ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

وقد أثر هذا الاتجاه تأثيراً خاصاً في استحصال التحليل الذي لا يدع النص مخلقاً أو مطوياً على نفسه دون الاستفادة بكل ما فيه من إيثار لفظية على أخرى أو حرف على آخر<sup>١</sup> ، ولعل أول من حفز على انتهاج هذا السبيل هو ابن عباس حينما قال : إذا سالتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإنّ الشعر ديوان العرب<sup>٢</sup> .

### وصف مجمل للتيان

يقع التبيان في عشرة مجلدات ضخمة تحتوي على (٥٣١٢) صفحة ، وقد افتتح الشيخ الطوسي تفسيره بمقدمة قصيرة أشار فيها إلى الأسباب التي دعت به أن يكتب هذا التفسير ، حيث قال :

ان الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب ، إني لم أجد أحداً من أصحابنا . قديماً وحديثاً . من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن ، ويشتمل على فنون معانيه ، وإنما سلك جماعة منهم في جميع مارواه ونقله وانتهى إليه في الكتب المروية في الحديث ، ولم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلك وتفسير ما يحتاج إليه ، فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة ، بين مطيل في جميع معانيه ، واستيعاب ما قيل فيه من فنونه كالطبري وغيره ، وبين مقصّر اقتصر على ذكر غريبه ومعاني ألفاظه ، وسلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ماقويت فيه منتهم ، وتركوا مالا معرفة لهم به ، فإنّ الزجاج والفراء ومن اشبههما من النحويين افرغوا وسعهم في الإعراب والتصريف ، ومفضل بن سلمة وغيره استكثروا من علم اللغة واشتقاق الألفاظ ، والمتكلمين كأبي علي الجبائي وغيره صرفوا همتهم إلى ما يتعلق بالمعاني الكلامية ، ومنهم من أضاف إلى ذلك الكلام في فنون علمه ، فأدخل فيه مالا يلبق به من بسط فروع الفقه واختلاف الفقهاء كالبلخي وغيره ، وأصلح من سلك في ذلك مسلماً جميلاً مقتصداً محمد بن بحر أبو مسلم الإصفهاني وعلي بن عيسى الرماني ، فإنّ كتابيهما أصلح ما صنّف في هذا

١ . السيد خليل ، دراسات في القرآن ، ص ٧٠ .

٢ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ط ٢ ، ج ١ ، ص ٢٤ .

المعنى ، غير أنهما أطلا الخطب فيه ، وأوردا فيه كثيراً مما لا يحتاج ، وسمعت جماعة من أصحابنا . قديماً وحديثاً . يرغبون في كتاب مقتصد يجتمع على جميع فنون علم القرآن من القراءة والمعاني والإعراب والكلام على المتشابه والجواب عن مطاعن الملحددين فيه وأنواع المبطلين كالمجبرة والمشبهة والمجسمة وغيرهم ، وذكر ما يختص أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة مذاهبهم في أصول الديانات وفروعها.<sup>١</sup>

بناءً على ذلك كتب الشيخ الطوسي تفسيره الذي يمكننا أن نصفه بما يلي :

١ . من حيث المنهج استطاع المفسر أن يأتي بتفسير يعتمد على الأثر والمنقول كما يعتمد على المعقول ، واعتماده الأثر كان يتم وفق ضوابط ومعايير خاصة ، أساسها النقد والمحكمة والترجيح وفي خصوص التفسير يشترط الطوسي مراعاة الأدلة الصحيحة العقلية والشرعية ، وبذلك رسم الخطوط العامة لهذا المنهج التفسيري الذي لم يتجاوزها أثناء التفسير ، بل ظل ملازماً لها وملتزماً بها في تبيانه.

٢ . في بداية كلِّ سورة يريد تفسيرها يشيرُ الطوسي إلى عدد آياتها وينبه إلى الاختلاف الحاصل بين القراء في العدد إن وجد.

ففي سورة الحج قال : وهي ثمان وسبعون آية في الكوفي ، وست في المدنيين ، وخمس في المكي<sup>٢</sup>

بينما أكد عدم وجود الخلاف في عدد آيات سورة الزخرف فقال : وهي تسع وثمانون آية بلاخلاف<sup>٣</sup>.

وهكذا يعمل في بداية كلِّ سورة.

٣ . ينبه المفسر إلى المكي والمدني من الآيات في كل سورة ، مع ذكر أسماء بعض المفسرين وآراءهم بذلك.

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٢

٢ . انظر التبيان ، ج ٧ ، ص ٢٥٥ .

٣ . نفس المصدر ، ج ٩ ، ص ١٧٧ .

ففي سورة المنافقون قال : مدنية بلاخلاف ، وهو قول ابن عباس وعطاء والضحاك<sup>١</sup>.  
وعن سورة عبس قال : مكية في قول ابن عباس والضحاك<sup>٢</sup>.  
كما يبين الشيخ الطوسي الأقوال المختلفة في كون الآيات مكية أم مدنية ، كما في  
سورة الأنفال حيث قال : هذه السورة مدنية في قول قتادة وابن عباس ومجاهد وعثمان ، وقال  
: هي أول ما نزل على النبي ٩ ، وحكى عن ابن عباس أنها مدنية إلا سبع آيات أولها ( **وَإِنْ  
يَمْكُرْ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا** ) إلى آخر سبع آيات بعدها<sup>٣</sup>.

ومثل هذا الاختلاف بين المفسرين ذكره الطوسي عند تفسيره لسورة النحل فقال :

وهي مكية إلا آية هي قوله ( **وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا** ).

وقال الشعبي : نزلت النحل كلها بمكة إلا قوله ( **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ** ) ... إلى آخرها.

وقال قتادة : من أول السورة إلى قوله ( **كُنْ فَيَكُونُ** ) مكِّي والباقي مدني.

وقال مجاهد : أولها مكِّي وآخرها مدني<sup>٤</sup>.

٤ . يشير المفسر في أوائل السور أحياناً إلى وجود النسخ أو عدمه في السورة ، فهو في  
تفسيره لسورة السجدة قال : ليس فيها نسخ ولا منسوخ<sup>٥</sup> ومثل ذلك قاله في تفسيره لسورة  
الرعد<sup>٦</sup>.

بينما نجده في سورة الأعراف يذكر اختلاف المفسرين حول وقوع النسخ فيها فيقول :

وقال قوم : هي محكمة كلها ، وقال آخرون : حرفان منها منسوخان :

أحدهما : قوله ( **خُذِ الْعَفْوَ** ) يريد من أموالهم وذلك قبل الزكاة.

والآخر : قوله ( **وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ) نسخ بآية السيف<sup>٧</sup>.

١ . نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٧١ .

٢ . نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٣٥٧ .

٣ . نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٧١ .

٤ . نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٣٥٧ .

٥ . نفس المصدر ، ج ٩ ، ص ١٠١ .

٦ . نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٢١١ .

٧ . يريد بها الآية ٥ من سورة التوبة ( ٩ ) : ( **فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ  
وَخُذُواهُمْ** )

وقال قوم : ليس واحد منهما منسوخاً ، بل لكلٍ منهما موضع والسيف له موضع.

وهنا قال الطوسي مرجحاً للرأي الثاني : وهو الأقوى ، لأن النسخ يحتاج إلى دليل <sup>١</sup> .  
 ٥ . يشرح المفسر آراء اللغويين والاختلافات الواردة في آرائهم ، وقد يرد على بعضها ، ويرجح البعض الآخر ، كما يطرح رأياً خاصاً به مخالفاً بذلك كل الآراء المطروحة <sup>٢</sup> وقد يستعين الشيخ الطوسي بذكر الآراء اللغوية لكشف المقصود من الآية وليبين المعنى المستودع فيها.

٦ . يذكر المفسر من الأعراب وآراء النحاة ما يعينه على استيضاح معنى الآية ، وفهم المراد منها ، وهو في هذا المجال يناقش آراء النحاة ، ويرد على بعضهم ، وقد يرجح آراء البعض الآخر ، كما يورد أحياناً آراء خاصة به مما يؤكد قدرته العالية في هذا الباب <sup>٣</sup> .

٧ . لا يخطئ الشعر عند الطوسي بأهمية خاصة في تفسيره ، وإن أكثر من الاستشهاد به ، كما وأنه لا يرقى لأن يكون حجة لإثبات حقيقة دينية ، وإنما يذكره لتأكيد المعنى ، أو تاييد الاستعمال لغوي ضمن السياق القرآني ، وقد لا يذكر أسماء الشعراء الذين يستشهد بشعرهم ، وربما يعود ذلك إلى قلة إكترائه بهم <sup>٤</sup> .

٨ . استخدم عدداً من الأمثال مما قالته العرب في استيضاح بعض المعاني أو المفاهيم ، ولكنه لم يكثر منها <sup>٥</sup> .

٩ . أكثر من الحديث حول القراءات وبين آراء جمع من القراء والاختلاف في قراءتهم ولكنه أجاز القراءة بأي من القراءات المشهورة ، ولم يعترض على واحدة منها <sup>٦</sup> .

**وَإِخْصُرُوهُمْ وَأَفْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ .)**

١ . انظر التبيان ، ج ٤ ، ص ٣٤٠ .

٣ . انظر صفحة ١٧٥ وما بعدها من هذه الرسالة .

٣ . انظر صفحة ١٨٩ وما بعدها من هذه الرسالة .

٤ . انظر صفحة ٢١٩ وما بعدها من هذه الرسالة .

٥ . انظر صفحة ٢١٧ وما بعدها من هذه الرسالة .

٦ . انظر صفحة ٢٠٦ وما بعدها من هذه الرسالة .

١٠ . تحقّف الشيخ الطوسي في تفسيره من البلاغة ، ولم يسهب في الكلام حولها ، وربما كان يشير إليها أحياناً دون عناية مشهودة ، ولم احد في التبيان ما يؤكّد اهتمام المفسر بها ، كما هو الحال في القراءة أو اللغة والإعراب ، وقد ذكرها في موارد معدودة كما في تفسيره لقوله تعالى :

( وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ )<sup>١</sup>

فقال :

والمكر وان كان قبيحاً ، فإنّما أضافه تعالى إلى نفسه لمزاوجة الكلام ، كما قال : ( فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ )<sup>٢</sup> وليس باعتداء ، وإنما هو جزء ، وهذا أحد وجوه البلاغة ، لأنه على أربعة أقسام :

أحدها : المزاوجة نحو ( وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ ) .

والثاني : المجانسة نحو قوله : ( يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ )<sup>٣</sup> بالنصب على مجانسة الجواب للسؤال .

والثالث : المطابقة نحو قوله ( مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا )<sup>٤</sup> وبالنصب على مطابقة يتبع الجواب للسؤال .

والرابع : المقابلة نحو قوله : ( وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وَوَجُودٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَطُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ )<sup>٥</sup> .<sup>٦</sup> و<sup>٥</sup> و<sup>٦</sup>

١١ . استعان الشيخ الطوسي في تفسير الآيات بذكر آيات أخرى ليفسر بعضها

بالبعض الآخر وفقاً لمبدأ تفسير القرآن بالقرآن<sup>٧</sup> كما واستفاد من السياق والنظم بين الآيات

١ . آل عمران ( ٣ ) الآية ٥٤ .

٢ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٩٤ .

٣ . النور ( ٢٤ ) الآية ٣٧ .

٤ . النحل ( ١٦ ) الآية ٣٠ .

٥ . القيامة ( ٧٥ ) الآية ٢٢ . ٢٥ .

٦ . التبيان ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ ،

٧ . انظر صفحة ١٣٣ وما بعدها من هذه الرسالة .

لاستجلاء الكثير من المعاني من خلال ربط الآيات القرآنية بما قبلها من آيات كريمات.

١٢. يكثر الشيخ الطوسي من ذكر آراء المفسرين ، فيفند بعضها ويناقش بعضها الآخر ، ليردّ ما يردُّ عن بيّنة ، ويقبل ما يقبل عن بيّنة ، وقد كانت الثقة العالية بالنفس تدعوه أحياناً ، لأنّ يخالف جمهور المفسرين داعماً رأيه بالدليل والبرهان.

١٣. ردّ الشيخ الطوسي على أهل الكتاب وناقشهم في معتقداتهم ، كما ناقش أصحاب المدارس الكلامية من الإسلاميين ، واعترض على الكثير من مقولاتهم ، كما هو الحال في رده على المعتزلة والأشاعرة والخوارج والمجبرة والمشبّهة والمجسمة والقائلين بأن المعارف ضرورية وما شاكلهم ، كما ودافع بحماس منقطع النظير عن الإمامية ومعتقداتهم<sup>١</sup>.

١٤. عند تفسيره للآية القرآنية كان يذكرها ثم يورد ما يتعلّق بها من القراءة وأسباب النزول. إن وجدت. واللغة ومن ثمّ المعنى ، وهنا نورد هذا النموذج من تفسيره :

قوله تعالى :

( وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا )<sup>٢</sup>

القراءة :

قرأ ابن كثير والكسائي ( وسلوا ) بغير همزة ، وكذلك كلّما كان أمر للمواجهة<sup>٣</sup> في جميع القرآن ، الباقون بالهمزة ، ولم يختلفوا في ( **وَلَيْسَأَلُوا مَا أَنْفَقُوا** )<sup>٤</sup> ، لأنّه أمرٌ لغائبٍ ، قال أبوعلي الفارسي : كلاهما جيد ، إن ترك الهمزة أو أثبتها<sup>٥</sup>.

النزول :

وقيل في سبب نزول هذه الآية إنّ أم سلمة قالت : يا رسول الله لانغزو مع الرجال ولنا نصفُ الميراث ، يا ليت كُنّا رجالاً ، فكنا نقاتل معهم ، فنزلت هذه الآية في قول مجاهد.

١. انظر الشيخ الطوسي وعقائده الإمامية ، ص ٢٧٩ ، وما بعدها من هذه الرسالة.

٢. النساء ( ٤ ) الآية ٣٢.

٣. في المصدر للمواجه.

٤. الممتحنة ( ٦٠ ) الآية ١٠.

٥. في المصدر وثباتها.

وقال الزجاج : قال الرجال ليتنا كنا فضلنا في الآخرة على النساء ، كما فضلنا عليهن في الدنيا ، وبه قال السدي .

اللغة :

والتعني هو قول القائل : ليت كان كذا لِمَا لم يكن ، وليت لم يكن كذا لِمَا كان ، وفي الناس من قال : هو معنى في القلب ، وقال الرماني : هو ما يجب على جهة الاستمتاع به . ومن قال : هو معنى في القلب ، قال : ليس هو من قبيل الشهوة ، ولا من قبيل الإرادة ، لأنَّ الإرادة لاتتعلق إلا بما يصح حدوثه ، والتعني قد يتعلق بما مضى ، والشهوة أيضاً كالإرادة في أنها لاتتعلق بما مضى .

المعنى :

وظاهر الخطاب يقتضي تحريم تمنى ما فضل الله به بعضنا على بعض ، وقال الفراء : هو على جهة الندب والاستحباب ، والأول هو حقيقة التمني ، والذي قلناه هو قول أكثر المفسرين ووجه تحريم ذلك أنه يدعو إلى الحسد ، وأيضاً فهو من دنايا الأخلاق ، وأيضاً فإنَّ تمنى الإنسان لحال غيره ، قد يؤدي إلى تسخط ما قسم الله له ، ولايجوز لأحدٍ أن يقول ، ليت مال فلان لي ، وإنما يحسن أن يقول : ليت مثله لي . وقال البلخي : لايجوز للرجل أن يتمنى إن كان امرأة ، ولا للمرأة أن تتمنى لو كانت رجلاً بخلاف ما فعل الله ، لأنَّ الله لايفعل من الأشياء إلا ما هو أصلح ، فيكون قد تمنى ما ليس بأصلح ، او ما يكون مفسدة ، ويمكن أن يقال : إنَّ ذلك يحسن بشرط أن لا يكون مفسدة ، كما يقول في حسن السؤال سواء .<sup>١</sup>

ومثل هذا الطرح في التفسير نجده في أغلب صفحات التبيان عند تفسيره آيات القرآن

الكريم .

١٥ . تجنب الطوسي التكرار الممل والاختصار المخل ، وكذلك الاسهاب من غير ضرورة

، وبهذا كان المفسر معتدلاً مقتصداً في كلِّ ما طرح .

ويبقى الشيخ الطوسي أحد أولئك الرواد في التفسير الذين أسدوا خدمةً جُلِّى لتوضيح

معاني الكتاب العزيز واستجلاء أسراره ، وفي ذلك يصرح أبوعلي الفضل بن الحسن

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ١٨٣ .

الطبرسي (٥٤٨) ، الذي هو أحد تلامذة الشيخ الطوسي وصاحب تفسير مجمع البيان ، حيث يقول في معرض وصفه للتبيان :

إنه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ويلوح عليه رواء الصدق ، قد تضمن من المعاني الأسرار البديعة ، واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة ، ولم يقتنع بتدوينها دون تبينها ، ولا بتعميقها دون تحقيقها<sup>١</sup> .

وبهذا يكون التبيان أوّل محاولة تفسيرية كاملة عند الشيعة الإمامية التي لازالت موضع

تقدير العلماء وإجلالهم.

---

١. الطبرسي. مجمع البيان ، ج ١ ، ص ١٠ .



## الفصل الثاني :

### الجانب العقلي في التبيان

إنّ معرفة الطرق التي يسلكها المفسر . أي مفسر . لتبيان المعنى المراد من النص القرآني ، تسهم مساهمة حادة وفعالة في استيضاح منهجه في التفسير ومنحاه في استنطاق آيات الكتاب العزيز .

ولعل الحديث حول مسلكي الرأي والأثر عند الشيخ الطوسي ، والمحصلة النهائية التي نستخلصها من طبيعة التفاعل القائم بين المسلكين ، والعلاقة الناشئة من خلال ربط احدهما بالآخر ، سوف تسلط الأضواء على منهجية مفسرنا ، وتُعيننا بالتالي على تحديد تلك المنهجية ، والتعرف على خصائصها ومميزاتها الأساسية ، ولذلك جهدت في أن أعرض للجانب العقلي في التبيان بفصل خاص ، ثم خصصت الحديث في الفصل التالي للجانب الأثري من التفسير عند الطوسي ، مبيّناً طريقتة في تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسنة ، بعدها تحدثت عن استخدام الشيخ الطوسي للجانب اللغوي في الكشف عن مدلول الآيات القرآنية ومعانيها ، والصفحات التالية في هذا الباب ستوضح منهج الطوسي في التفسير وأسلوب تناوله للآيات القرآنية الكريمة وطريقته في التعامل مع النص القرآني لمعرفة معناه .

أكد الشيخ الطوسي على أهمية التفكير ، واعتمد أسلوب النظر في فهم النصوص القرآنية

واستعمال العقل في معرفة آيات الله وأحكامه ، وقد حفل التبيان بالعديد من الإشارات التي تنم عن المنهجية العقلية التي كان يتبعها مفسرنا في تصديده لتفسير آيات الكتاب العزيز والتي يمكن تلخيصها فيما يلي :

### موقف الطوسي من النظر والاستدلال في آيات الله

تبنى الشيخ الطوسي موقفاً مؤيداً لاستخدام العقل والنظر في فهم أمور الشريعة ، وقد أورد الكثير من الردود في تفسيره على الذين يقولون بحرمة النظر ، كما استدل بالقرآن على صحة رأيه القائل بضرورة النظر وإعمال العقل ، وهنا نورد بعض الأمثلة التي امتلأ بها تفسير التبيان منها :

مثال :

في تفسيره للآية الكريمة :

( **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** )<sup>١</sup> قال

الشيخ الطوسي :

والمثلُ ذكْرُ سائر يدل على أنّ سبيل الثاني سبيل الأول ، فذكر الله آدم بأن أنشأه من غير والدٍ ، يدل على أنّ سبيل الثاني سبيل الأول في باب الإمكان والقدرة ، وفي ذلك دلالة على بطلان قول من حرم النظر ، لأنّ الله تعالى احتج به على المشركين ، ولا يجوز أن يدلهم إلا بما فيه دليل ، فقياس خلق عيسى من غير ذكر كقياس خلق آدم ، بل هو فيه أوجب ، لأنّه في آدم من غير أنثى ولا ذكر<sup>٢</sup>.

مثال : وعند تفسيره لقوله تعالى :

( **أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** )<sup>٣</sup>

قال الطوسي :

١. آل عمران ( ٣ ) الآية ٥٩ .

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٤٨٢ .

٣. الملك ( ٦٧ ) الآية ٢٢ .

وفي الآية دلالة على وجوب النظر في الدين لأنه تعالى ضرب المثل بالناظر في ما يسلكه ، حتى خالص إلى الطريق المستقيم ، فمدحه بهذا ، ودم التارك للنظر مكباً على وجهه ، لا يثق بسلامة طريقه<sup>١</sup> .

مثال : وعند تفسيره لقوله تعالى :

( **أَوْلَمَ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ** )<sup>٢</sup>

قال الطوسي :

وفي الآية دلالة على صحة استعمال النظر ، لأن الله ( تعالى ) أقام الحجة على المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الأولى ، وأنه يلزم من أقر بالأولى أن يقر بالثانية<sup>٣</sup> .

كما وقد تبني الشيخ الطوسي مبدأ الأخذ بالقياس العقلي واعتباره حجة ، كما في

تفسيره لقوله تعالى :

( **أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى** )<sup>٤</sup>

فقال : وفي الآية دلالة على صحة القياس العقلي ، وهو أنّ من قدر على إحياء الإنسان قادر على إحيائه بعد الإماتة<sup>٥</sup> .

وفي الوقت الذي نجد الشيخ الطوسي يدلل على صحة القياس العقلي ، نجد لا يقر

بصحة القياس في الشريعة ، فيقول عند تفسيره لقوله تعالى :

( **... فَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ**

**بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ** )<sup>٦</sup>

ومن استدلل بهذه الآية على صحة القياس في الشريعة فقد أبعده ، لأنّ الاعتبار ليس من القياس في شيء وإما معناه الاعتاض ولا يليق بهذا الموضع قياس في الشرع ، لأنّه لو قال

١. الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٦٨ و٦٩ .

٢. يس ( ٣٦ ) الآية ٧٧ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٤١٨ .

٤. القيامة ( ٧٥ ) الآية ٤٠ .

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٢٠٣ .

٦. الحشر ( ٥٩ ) الآية ٢ .

بعد قوله : ( **يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ** ) فقيسوا الأرز على الحنطة لما كان كلاماً صحيحاً ، ولا يليق بما تقدم ، وإنما يليق بما تقدم الاعتاظ والانزجار عن مثل أفعال القوم من الكفر بالله .<sup>١</sup>

## ٢ . رفضه للفكرة القائلة بأن المعارف ضرورية

وقد استدلل المفسر بأسلوب عقلي رائع على القائلين بما وفند مزاعمهم ، ومن ذلك قوله عند تفسيره للآية الكريمة :

( **إِنَّمَا يَأْتُرِكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** )<sup>٢</sup>

فقال :

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال : إنَّ المعارف ضرورية ، لأنها لو كانت ضرورة لماجاز أن يدعواهم إلى خلافها ، كما لا يدعواهم إلى خلاف ما هم مضطرون إليه من أن السماء فوقهم والأرض تحتهم ، وما جرى مجراه مما يعلم ضرورة<sup>٣</sup> .

كما ورد الشيخ الطوسي على القائلين بأنَّ المعارف ضرورية عند تفسيره لقوله تعالى :

( **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ** )<sup>٤</sup> .

فقال : وفي قوله اشْمَأَزَّتْ قلوبهم دليل على فساد قول من يقول : المعارف ضرورية .

وقال الطوسي عند تفسيره لقوله تعالى :

( **وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ**

**لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ** )<sup>٥</sup>

وفيها دلالة على وجوب المعرفة ، وأنها ليست ضرورية ، لأنَّ الله تعالى بيّن الحجاج

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٥٥٨ .

٢ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٦٩ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

٤ . الزمر ( ٣٩ ) الآية ٤٥ .

٥ . المائدة ( ٥ ) الآية ١٠٤ .

عليهم في هذه الآية ، ليعرفوا صحة ما دعا الرسول إليه ، ولو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلدين لأبائهم ، وكان يجب أن يكون آباؤهم أيضاً عارفين ضرورة ولو كانوا كذلك لماصح الإخبار عنهم بأنهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ، وإتّما نفى عنهم الاهتداء والعلم معاً ، لأن بينهما فرقاً ، وذلك أنّ الاهتداء لا يكون إلا عن بيان وحجة<sup>١</sup> .

### ٣. رفضه التقليد في أصول الدين

رفض الشيخ الطوسي التقليد في الأمور الاعتقادية شأنه في ذلك شأن كل أتباع المذهب الإمامي القائل بعدم صحة الاعتقاد المبني على التقليد والاتكال على تقليد المرين أو الآباء : بل يجب على الإنسان بحسب الفطرة العقلية المؤيدة بالنصوص القرآنية أن يفحص ويتأمل في أصول اعتقاداته المسماة بأصول الدين ، التي أهمها التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد ، ومن قلد آباءه أو نحوهم في اعتقاده هذه الأصول فقد ارتكب شططاً وزاغ عن الصراط المستقيم ، ولا يكون معذوراً أبداً<sup>٢</sup> .

وقد أكد الشيخ الطوسي رفضه التقليد في ثنايا تفسيره ، ورد على القائلين به في أكثر من مناسبة ، فهو عند تفسيره لقوله تعالى :

(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ)<sup>٣</sup>

قال :

والتقليد قبيح بموجب العقل ، لأنه لو كان جائزاً للزم فيه أن يكون الحق في الشيء ونقيضه ، فيكون عابد الوثن يقلد أسلافه ، وكذلك يقلد أسلافه اليهودي والنصراني والمجوسي ، وكل فريق يعتقد أنّ الآخر على خطأ وضلال ، وهذا باطل بلاخلافٍ ، فإذاً

- 
١. الطوسي ، التبيان ج ٤ ، ص ٣٩ ٤٠ .
  ٢. المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٣٢ .
  ٣. الزخرف ( ٤٣ ) الآية ٢٣ .

لابد من الرجوع إلى حجة عقل أو كتاب منزل من قبل الله تعالى<sup>١</sup>.

وعند تفسيره لقوله تعالى :

(وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ

أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)<sup>٢</sup>

قال :

وفي الآية حجة على أصحاب المعارف وأهل التقليد لأنه ذم الفريقين ، ولو كان الأمر على ما يقولون لما توجه

عليهما الذم<sup>٣</sup>.

وفي تفسيره قوله تعالى :

(قُلْ هَلْ مِمَّ شُهَدَاءِكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَيَنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا

تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)<sup>٤</sup>

قال :

معنى هذه الآية أن الحجاج بأن الطريق الموصل إلى صحة مذهبهم غير مسند .... ؟ إذا لم يثبت من جهة

حجة عقل ولا سمع ، وما لم يصح أن يثبت من أحد هذين الوجهين باطل لاحتمال<sup>٥</sup>.

ثم يردف الطوسي قائلاً :

وفي الآية دلالة على فساد التقليد ، لأنه لو كان التقليد جائزاً لما طالب الله الكفار بالحجة على صحة

مذهبهم ، ولما كان عجزهم على الإتيان بما دلالة على بطلان ما ذهبوا إليه<sup>٦</sup>.

وعند تفسيره لقوله تعالى :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ١٩٠.

٢. الأعراف ( ٧ ) الآية ٢٨.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٣٨٣.

٤. الأنعام ( ٦ ) الآية ١٥٠.

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٣١٢.

٦. نفس المصدر ، ص ٣١٣.

( وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا

... ) قال الطوسي : وفي الآية دلالة على فساد قول من يقول بالتقليد وتحريم النظر والحجاج.

وقد هاجم الشيخ الطوسي من يرفض المناظرة والحجاج في الدين والدعوة إلى توحيد الله

تعالى فقال :

أخبر الله تعالى أن الحجاج التي ذكرها إبراهيم لقومه آتاه الله إياه ، وأعطاه إياه بمعنى أنه هداه لها ، فإنه

احتج بما أمر الله ورضيها منه وصوبه فيها ، ولهذا جعلها حجة على الكفار ... وفي ذلك دلالة على

صحّة المحاجة والمناظرة في الدين والدعاء إلى توحيد الله والاحتجاج على الكافرين لأنه تعالى مدح ذلك

واستصوبه ومن حرم الحجاج فقد ردّ صريح القرآن <sup>٢</sup>.

#### ٤ . تأكيده على أهمية العقل واعتباره حجة

أكد الشيخ الطوسي من خلال تفسيره لآيات الكتاب العزيز على أهمية العقل واعتباره

الحجة الأقوى فيما يعتقد الإنسان ويعتد به. وهو ما يراه الإمامية ، حيث يقولون :

إنّ عقولنا هي التي فرضت علينا النظر في الخلق ومعرفة خالق الكون ، كما فرضت علينا

النظر في دعوى من يدعي النبوة وفي معجزته <sup>٣</sup>.

ومن هنا نجد الشيخ الطوسي يقول عند تفسيره الآية الكريمة :

( أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ) <sup>٤</sup>

هذه الآية الكريمة تدل على أشياء :

أحدها : على بطلان التقليد وصحة الاستدلال في أصول الدين ، لأنه حث ودعا إلى

١ . الأنعام ( ٦ ) الآية ٨١ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١٩٢ .

٣ . المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٣١ .

٤ . النساء ( ٤ ) الآية ٨٢ .

التدبر ، وذلك لا يكون إلا بالفكر والنظر .

الثاني : يدل على فساد مذهب من زعم أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول من الحشوية والمجبرة لأنه تعالى حث على تدبره ليعملوا به <sup>١</sup> .

وعند تفسيره للآية الكريمة :

(رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا) <sup>٢</sup>

أكد الشيخ الطوسي على حجية العقل وأهميته ، فقال :

فأما من لم يعلم من حاله أن له في إنفاذ الرسل إليه لطفاً فالحجة قائمة عليه بالعقل ، وأدلتته على توحيده وصفاته وعدله ، ولو لم تقم الحجة بالعقل ولا قامت إلا بانفاذ الرسل لفسد ذلك من وجهين : أحدهما : إن هدف الرسل لا يمكن العلم به إلا بعد تقدم العلم بالتوحيد والعدل ، فإن كانت الحجة لم تقم عليه بالعقل ، فكيف الطريق له إلى معرفة النبي <sup>٩</sup> وصدقته؟ والثاني : إنه لو كانت الحجة لاتقوم إلا بالرسول لاحتاج الرسول أيضاً إلى رسول آخر ، حتى تقوم عليه الحجة ، والكلام في رسوله كالكلام في هذا الرسول ، ويؤدي ذلك إلى مالا يتناهى ، وذلك فاسد <sup>٣</sup> .

ويصرح الشيخ الطوسي على ضرورة التدبر في القرآن الكريم فيقول عند تفسيره لقوله

تعالى :

( أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ) <sup>٤</sup>

معناه أفلا يتدبرون القرآن بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به ، أم على قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك تنبيهها لهم على أن الأمر بخلافه ، وليس عليها ما يمنع من التدبر والتفكير والتدبر في النظر في موجب الأمر وعاقبته وعلى ذلك دعاهم إلى تدبر القرآن .

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

٢ . النساء ( ٤ ) الآية ١٦٥ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

٤ . محمد ( ٤٧ ) الآية ٢٤ .

وفي ذلك حجة على بطلان قول من يقول : لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلا بخبر وسمع<sup>١</sup> .  
وهذا مما يؤكد وبشكل جلي أنّ الشيخ الطوسي يتبنى منهجية عقلية في تفسيره ، إضافة  
إلى اعتماده على المأثور الصحيح.

### ٥ . وجود بعض الإشارات العلمية في تفسير التبيان

فقد تضمن التبيان على إشارات علمية تنم عن الروح العلمية التي اتسمت بها ثقافة  
الشيخ الطوسي ، وتوحي بانتهاجه منهجاً عقلياً منفتحاً على ما في الكون من معارف وعلوم ،  
ومن ذلك قبوله لفكرة كروية الأرض.

فعند تفسيره لقوله تعالى : ( **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا** )<sup>٢</sup>

قال :

واستدل أبو علي الجبائي بهذه الآية ، على أنّ الأرض بسيطة ليست كرة ، كما يقول المنجمون والبلخي بأنّ  
قال : جعلها فراشاً ، والفراش البساط ، بسط الله تعالى إياها ، والكرة لا تكون مبسوطاً ، قال : والعقل  
أيضاً يدل على بطلان قولهم ، لأنّ الأرض لا يجوز أن تكون كروية مع كون البحار فيها ، لأنّ الماء لا يستقر  
إلا فيما له جنبان يتساويان ، لأنّ الماء لا يستقر فيه كاستقراره في الأواني ، فلو كانت له ناحية في البحر  
مستعلية على الناحية الأخرى لصار الماء من الناحية المرتفعة إلى الناحية المنخفضة ، كما يصير كذلك إذا  
إمتلأ الإناء الذي فيه الماء.

وهنا رد الشيخ الطوسي على الجبائي قائلاً :

وهذا لا يدل على مقاله ، لأنّ قول من قال : الأرض كروية ، معناه أنّ لجميعها شكل الكرة.<sup>٣</sup>

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٣٠١ .

٢ . البقرة ( ٢ ) الآية ٢٢ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى :

( ... ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ )<sup>١</sup> قال :

وقال الرماني :

السموات غير الأفلاك ، لأنّ الأفلاك تتحرك وتدور ، وأما السماوات لاتتحرك ولاتدور لقوله تعالى : ( **إِنَّ**

**اللَّهُ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا** ) وهذا لبس ، لأنّه يمتنع أن تكون السماوات هي

الأفلاك ، وإن كانت متحركة ، لأنّ قوله تعالى : ( **يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا** )

معناه لاتزول عن مراكزها التي تدور عليها ، ولولا إمساكها لهوت...؟ بما فيها من الإعجازات سفلأ<sup>٢</sup>.

مثال ثالث :

لم يستبعد الشيخ الطوسي فكرة نشوء السحاب من تبخر مياه الأرض ، ويتضح ذلك

من تفسيره لقوله تعالى :

( ... وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ... )<sup>٣</sup> فقال في

معرض طرحه لآراء المفسرين :

فإن قيل : هل السحاب بخارات تصعد من الأرض؟

قلنا : ذلك جائز لايقطع به ، ولا مانع أيضاً من صحته من دليل عقل.<sup>٤</sup>

## ٦ . موقف الشيخ الطوسي من عقائد الإمامية

استطاع الشيخ الطوسي أن يدعم مذهبه الإمامي بكل ما أُوتي من حول وقوة وقدرة

علمية ومنهج عقلي رصين مستفيداً من آيات الكتاب العزيز لبيان صواب وجهات النظر

١ . البقرة ( ٢ ) الآية ٢٩ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

٣ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٦٤ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

التي يؤمن بها الإمامية في التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد وكل ما يتصل بها من فروع ومسائل كالتقية وعصمة النبي ٩ والأئمة والمنفعة ، وكذلك مسألة خلق القرآن وغيرها ، وقد دافع الشيخ الطوسي عنها دفاعاً متمسكاً بالحماس والقناعة الثابتة ، ورد كل الإشكالات والأقوال التي كانت تثار حول تلك المسائل ، وبما يؤكد منهجه المتطور وإبداعه والقدرة على المناظرة والحوار ، فاعطى كل موضوع من موضوعات العقائد لدى الإمامية ما يستحقه من الحديث ، وكانت النزعة العقلية بارزة إلى حد كبير في كل ما تحدث به الشيخ الطوسي ، وقد أفردنا لموقف الشيخ الطوسي من عقائد الإمامية فصلاً خاصاً وبشيء من التفصيل تحت عنوان ( الشيخ الطوسي وعقائد الإمامية ).

### ٧ . ردوده على المفسرين ومناقشته لآرائهم

تعرض الشيخ الطوسي لآراء جملة من المفسرين ، وأشكل على الكثير من آرائهم وأقوالهم التي عرضوها في تفاسيرهم ، وقد تناول في التبيان كلاً من تفسير البلخي والطبري والرماني والجبائي ، وبين الأخطاء التي وقعوا فيها عند تفسيرهم آيات القرآن الكريم ، وردهم رداً عقلياً هادئاً ، وقد يتضح لنا . من خلال متابعتنا لتصديده لهم . منهجه العقلي في التفسير حيث كان يعرض رأي المفسر ، ثم يأتي عليه بالنقد فيسندده بالدليل والحجة ، ثم يعرض رأيه مدعوماً بالدليل والحجة أيضاً.

وقد كان يعمد أحياناً إلى ترجيح رأي لأحد المفسرين على آراء غيره ، ويدعم الرأي الذي يميل إليه بما يملكه من حجة ودليل ، وبهذا يكون الشيخ الطوسي قد أتخف المكتبة الإسلامية بالعديد من الآراء التي قالها المفسرون القدامى ، والتي لولا ذكره لها لضاعت مع ماضع من تراث فكري وثقافي إسلامي ، ولم نحصل على شيء منها بغير ذكره لها .  
وهنا نورد بعضاً من ردوده ومناقشاته لآراء جملة من المفسرين :

### الطوسي والبلخي

رد الشيخ الطوسي على البلخي في مواضع كثيرة من التبيان نعرض بعضاً منها : ففى

تفسيره لقوله تعالى :

( ... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ... ) قال <sup>١</sup> :

كان يجوز ان يؤاخذ الله العبد بما يفعله ناسياً أو ساهياً ، ولكن تفضل بالعفو في قوله تعالى ( لَا يُكَلِّفُ

اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ) <sup>٢</sup> ، ذكر ذلك البلخي وهذا غلط ، لأنه كما لم يجز تكليف فعله ولا تركه لم

يجز أن يؤاخذ به ولا يشبه ذلك المتولد الذي لا يصح تكليفه بعد وجود سببه لأنه لا يجوز أن يتعمد سببه

وليس كذلك ما يفعله من جهة السهو والنسيان <sup>٣</sup>

وعند تفسيره لقوله تعالى : ( وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ) <sup>٤</sup>

قال الطوسي :

واستدل أبو القاسم البلخي بهذه الآية على أن العوض دائم بأن قال : بين الله تعالى أنه يحشر الحيوان كلها

ويعوضها ، فلو كان العوض منقطعاً لكان إذا أماتها استحقت أعضاً أخر على الموت وذلك بتسلسل ،

فدل على أنه دائم ، وليس هذا بشيء ، لأنه يجوز أن يميت الله الحيوان على وجه لا يدخل عليهم الألم ،

فلا يستحقون عوضاً ثانياً ، فالأولى أن يقول : إن دام تفضلاً منه تعالى <sup>٥</sup> .

وفي تفسيره لقوله تعالى :

( وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ) <sup>٦</sup>

قال الطوسي :

وقال البلخي : في الآية دلالة على أنه لا ينصرف أحد عن المعصية إلا بلطف الله عز وجل ،

١ . البقرة ( ٢ ) الآية ٢٨٦ .

٢ . البقرة ( ٢ ) الآية ٢٨٦ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ و ٣٨٦ .

٤ . فاطر ( ٣٥ ) الآية ٢٤ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١٣ .

٦ . يوسف ( ١٢ ) الآية ٣٣ .

لأنه لو لم يعلم ذلك لماصح خبره به ، وليس في الآية ما يدل على ذلك ، بل فيها ما يدل على أن منع يوسف كان لطف ، ولولاه لفعل المعصية ، وأما أن يدل على أنه لا أحد ينتهي عن معصية إلا بلطف ، فلا<sup>١</sup>.

وفي معرض تفسيره لقوله تعالى : **(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)**  
قال الطوسي :

وسأل البلخي نفسه فقال : إذا قلت : إن من اعتقد الشيء على ما هو به تقليداً أو تحميناً أو تنجيماً يكون عالماً ، فلو أن الإنسان اعتقد أن امرأة تلد ذكراً أو أنثى أو رجلاً يموت في بلد بعينه ، ويكسب في الغد كذا ، فوافق ذلك اعتقاده فيجب أن يكون عالماً ، ويبطل الاختصاص في الآية.

وأجاب : إن ذلك وإن كان جائزاً فإنه لا يقع لظاهر الآية.

فرده الطوسي بقوله :

وهذا غير صحيح ، لأن من المعلوم ضرورة أن الإنسان يخبر شيئاً فيعتقده فيكون على ما اعتقد من هذه الأشياء الخمسة ، وإنما لا يكون عالماً ، لأنه لا تسكن نفسه إلى ذلك ، فأما المنع من وقوعه فمعلوم خلافه

٣

## ٢ . الطوسي والطبري

كما رد الشيخ الطوسي في التبيان على الطبري وآرائه في التفسير ومن ذلك نذكر ماياتي

:

قال الشيخ الطوسي عند تفسيره للآية الكريمة :

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ١٣٥ .

٢ . لقمان ( ٣١ ) الآية ٣٤ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

### (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) <sup>١</sup>

وقال ابن عباس : نزلت في قوم بأعيانهم من أحبار اليهود ذكرهم بأعيانهم من اليهود الذين حول المدينة ، وقال قوم : نزلت في مشركي العرب . واختار الطبري قول ابن عباس والذي نقوله : إنه لا بد أن تكون الآية مخصوصة ، لأن حملها على العموم غير ممكن ، لأننا علمنا أنّ في الكفار من يؤمن ، فلا يمكن العموم ، وأما القطع على واحدٍ مما قالوه فلا دليل عليه. <sup>٢</sup>

وقد لا يردّ الشيخ الطوسي أحياناً بنفسه على الطبري ، وإتّما يكتفي بذكر ما رده به غيره

من المفسرين ، كما هو الحال في تفسير قوله تعالى :

### (وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) <sup>٣</sup>

فقال الطوسي :

وقال الأخفش وعد بإتمام أربعين ليلةً أو انقضاء أربعين ليلةً كقولك :

اليوم أربعون يوماً منذ خرج فلان واليوم يومان ، أي تمام يومين.

وقال الطبري : لا يجوز ما قاله الأخفش ، لأنّه خلاف ظاهر التلاوة وما جاءت

به الرواية.

وهنا نجد الشيخ الطوسي يتبنى رأياً للرماني ويستشهد به للرد على ما قاله الطبري في رده

على الأخفش فيقول مفسرنا :

قال الرماني : في هذا . أي رأي الطبري . غلط ظاهر ، إنّ الوعد لا يتصل وقوعه في الأربعين كلها ، اذا كان

الوعد هو الإخبار الموعود بما فيه النفع ، فلم يكن ذلك الخبر في أول تلك المدة ، فلا يدل على ذلك أن

يكون التقدير على ما قاله الأخفش ، أو على وعدناه إقامة أربعين ليلة للمناجاة أو غيبته أربعين ليلة من

قومه للمناجاة ، وما أشبه ذلك من التقدير <sup>٤</sup>.

وردّ الطوسي رأياً للطبري كان قد أورده عند تفسيره لقوله تعالى :

١. البقرة ( ٢ ) الآية ٦ .

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٦١ .

٣. البقرة ( ٢ ) الآية ٥١ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .

**(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا) <sup>١</sup>**

فقال : وقال ابن زيد والبلخي والجبائي والرماني : المراد به مشركي العرب ، وضعف هذا الوجه الطبري من بين المفسرين بأن قال : إنَّ مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب مسجد الحرام ، وهذا ليس بشيء ، لأنَّ عمارة المساجد بالصلاة فيها ، وخرابها بالمنع من الصلاة فيها. <sup>٢</sup>

ورد عليه أيضاً عند مروره على ذكر الشهادة في قوله تعالى :

**( ... وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ... ) <sup>٣</sup>**

فقال وهو يعرض الآراء التي قيلت فيها :

الثالث في رواية عن ابن عباس والحسن وأبي عبد الله <sup>٧</sup> لإقامتها وإثباتها ، وهو أعم فائدة. وقال الطبري : لا يجوز إذا دعوا لإقامتها ، لأنَّ قبل أن يشهدوا لا يوصفون بأنهم شهداء ، وهذا باطل ، لأنه تعالى قال : **( وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ )** فسامها شاهدين قبل إقامة الشهادة <sup>٤</sup>.

ورد الشيخ الطوسي في موضع آخر على الطبري وهو يفسر قوله تعالى :

**( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ )**

<sup>٥</sup> فقال :

وقال الطبري : أنه لا يجوز تأويل من قال : أن تقبل توبتهم عند حضور موتهم. قال : لأنه لاختلاف بين الأمة ، إنَّ الكافر إذا أسلم قبل موته بطرفة عين في أن حكمه حكم الإسلام في وجوب الصلاة عليه وموارثته ودفنه في مقابر المسلمين وإجراء جميع أحكام الإسلام عليه ، ولو كان إسلامه غير صحيح كما جاز ذلك.

١. البقرة ( ٢ ) الآية ١١٤ .

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٤١٦ .

٣. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٨٢ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ ، الآية : البقرة ( ٢ ) ٢٢٨ .

٥. آل عمران ( ٣ ) الآية ٩٠ .

وهنا رد الشيخ الطوسي عليه بقوله :

وهذا الذي قاله ليس بصحيح ، لأنه لا يمتنع أن تتعبد بإجراء أحكام الإسلام عليه ، وإن كان إسلامه على وجه من الاجراء لا يثبت معه استحقات الثواب عليه ، كما أننا تعبدنا بإجراء أحكام الإسلام على المنافقين وإن كانوا كفاراً. وإنما لم يجر قبول التوبة في حال الإلجاء إليه لأن فعل الملجأ كفعل المكره في سقوط الحمد والذم ،<sup>١</sup> وقد قال الله تعالى :

( **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ** )<sup>٢</sup>.

### ٣. الشيخ الطوسي والرماني

وقد تصدى الشيخ الطوسي للرد على الرماني في آرائه التي كان يتبناها ، ومن ذلك نور

الأمثلة التالية :

قال الرماني : النسخ الرفع لشيء قد كان يلزمه العمل به إلى بدل ، وذلك كنسخ الشمس بالظل ، لأنه يصير بدلاً منها في مكانها.

فرد الطوسي عليه بقوله :

وهذا ليس بصحيح ، لأنه ينتقض بمن تلزمه الصلاة قائماً ، ثم يعجز عن القيام فإنه يسقط عنه القيام لعجزه ، ولا يسمى العجز ناسخاً ولا القيام منسوخاً وينتقض بمن يستبيح بحكم العقل عند من قال بالاباحة ، فإذا ورد الشرع بحظره لا يقال الشرع نسخ حكم العقل ، ولا حكم العقل يوصف بأنه منسوخ.<sup>٣</sup>

واعترض الطوسي على فصل الرماني بين العلم والمعرفة بأن قال :

المعرفة هي التي يتبين بها الشيء من غيره على جهة التفصيل ، والعلم قديتميز به الشيء عن طريق الجملة دون التفصيل كعلمك بأن زيداً في جملة العشرة ، وإن لم تعرفه بعينه وإن فصلت بين الجملة التي هو فيها والجملة التي ليس هو فيها.

فاعترضه الشيخ الطوسي قائلاً :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٥٢٧.

٢. النساء ( ٤ ) الآية ١٨.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٣٩٣.

وهذا غير صحيح ، لأنّ المعرفة أيضاً قد يتميز بها الشيء على طريق الجملة ، فلا فرق بينهما<sup>١</sup>.

كما خطأ الشيخ الطوسي الرماني عند تفسيره لقوله تعالى :

**(وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)<sup>٢</sup>**

حيث يقول :

ومعنى إله : إنّه يحقّ له العبادة ، وغلط الرماني ، فقال : هو المستحق للعبادة ، ولو كان كما قال لما كان تعالى لهاً فيما لم يزل ، لأنّه لم يفعل ما يستحق به العبادة ، ومعنى ما قلناه : إنّه قادر على ما إذا فعله استحق به العبادة<sup>٣</sup>.

كما إنّنا نجد الشيخ الطوسي في موضع آخر يرد على الرماني حين أشكل على البلخي وهويقول : « لا يجوز الوعد والوعيد بغير شرط ، لأنّ فيه يأساً من الإيمان أو الكفر ، وذلك بمنزلة الصد عنه ».

وقال الرماني :

وهذا لا يصح من قبل أنّ السورة قد دلت على معنى الوعد من غير شرط يوجب الشك ، فلو كان في قطع الوعيد يأس بمنزلة الصد عن الإيمان لكان في قطع الوعد بأمان ما يوجب الاتكال عليه دون ما يلزم من الاجتهاد ، والذي يخرجه من ذلك أنّ العقاب من أجل الكفر كما أن الثواب من أجل الإيمان.

فرد الشيخ الطوسي على الرماني قائلاً :

وهذا ليس بشيء ، لأنّ للبلخي أن يشترط الوعد بالثواب بانتفاء ما يبطله من الكبائر ، كما أنّه شرط الوعيد بالعقاب بانتفاء ما يبطله من التوبة فقد سوى بين الأمرين<sup>٤</sup>.

كما اعترض الشيخ الطوسي على الرماني وهو يتحدث عن قبح الجهل فقال :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٢١ ، ٢٢.

٢. البقرة ( ٢ ) الآية ١٦٣.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٥٣.

٤. نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٠٦.

وقال الرماني : إنما يكون قبيحاً . يعني الجهل . إذا وقع عن تعمد ، فأما إذا وقع غلطاً أوسهواً لم يكن قبيحاً ولا حسناً .

فرد عليه الطوسي بقوله :

وهذا ليس بصحيح ، لأنَّ استحقاق الذم عليه يشترط بالعمد فأما قبحه فلا كما نقوله في الظلم سواء .<sup>١</sup>

#### ٤ . الشيخ الطوسي والجبائي

هذا وقد أكثر الشيخ الطوسي من ردوده واعتراضاته على الجبائي ، وهو يطرح آراءه في

جملة من المسائل المختلفة ، نذكر هنا بعضها :

في مسألة صاحب موسى قال الجبائي :

لا يجوز أن يكون صاحب موسى الخضر ، لأنَّ خضراً كان من الأنبياء الذين بعثهم الله من بني إسرائيل بعد موسى .

قال : ولا يجوز أيضاً أن يبقى الخضر إلى وقتنا هذا ، كما يقوله من لا يدري ، لأنَّه لاني بعد نبينا ، ولأنَّه لو كان لعرفه الناس ولم يخف مكانه .

وقد ردَّ عليه مفسرنا بقوله :

وهذا الذي ذكره ليس بصحيح ، لأننا نعلم أولاً أنَّ خضراً كان نبياً ، ولو ثبت ذلك لم يمتنع أن يبقى إلى وقتنا هذا ، لأنَّ تبقيته في مقدور الله تعالى ، ولا يؤدي إلى أنه نبي بعد نبينا ، لأن نبوته كانت ثابتة قبل نبينا ، وشرعه . إن كان شرعاً خاصاً . فإنه منسوخ بشرع نبينا ٩ ، وإن كان يدعو إلى شرع موسى ٧ ، أو من تقدم من الأنبياء ، فإنَّ جميعه منسوخ بشرع نبينا ٩ ، فلا يؤدي ذلك إلى ما قال ، وقوله لو كان باقياً لرؤي ولعرف غيرصحيح ، لأنَّه لا يمتنع أن يكون بحيث لا يتعرف إلى أحد منهم ، وإن شاهدوه لا يعرفونه .<sup>٢</sup>

وفي تفسيره لقوله تعالى :

١ . نفس المصدر ، ص ٤٩٦ .

٢ . الطوسي ، التبيان ج ٧ ، ص ٧٣ .

( وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ )<sup>١</sup>

اعترض شيخنا الطوسي على الجبائي عندما قال :

إنه خاف عليهم حسد الناس لهم ، وأن يبلغ الملك قوتهم وشدة بطشهم ، فيقتلهم خوفاً على ملكه ، وأنكر العين وقال : لم تثبت بحجة ، وإنما هو شيء يقوله الجهال العامة.

فرد الطوسي عليه قائلاً :

والذي قال غير صحيح في أمر العين ، بل غير منكر أن يكون ما قال المفسرون صحيحاً ، وقد روي عن النبي ٩ أنه قال : العين حق وأنه عوذ الحسن والحسين ٨ ، فقال في عودته : « وأعيد كما من كل عين لامة » ، وقد رويت فيه أخبار كثيرة ، وقد جرت العادة به.<sup>٢</sup>

وعند تفسيره لقوله تعالى :

( أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ... )<sup>٣</sup>

قال :

وقوله ( فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ) قال أبو علي : لا يجوز أن يكون الذي أماته ثم أحياه نبياً ، لأن الله تعالى عجب منه ، ولولا ذلك لجاز أن يكون نبياً على أنه شك في ذلك قبل البلوغ لحال التكليف ، ثم نُبئ فيما بعده ، وعلى هذا لا يمنع أن يكون نبياً في ما تقدم ، والأول أقوى وأقرب ، ويجوز هذه الآية أن تكون في غير زمان نبي.

وقال الجبائي : لا يجوز ذلك ، لأن المعجزات لا تجوز إلا على الأنبياء ، لأنها دالة عليهم فلو وقعت المعجزة في غير زمن نبي لم يكن وقوعها دليلاً على النبوة ، وهذا ليس بصحيح عندنا . لأن المعجزات تدل على صدق من ظهرت على يده ، وربما كان نبياً ، وربما كان إماماً أو ولياً لله.<sup>٤</sup>

١. يوسف ( ١٢ ) الآية ٦٧.

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ١٦٧.

٣. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٥٩.

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٢٣.

كما وردّ الشيخ الطوسي على مجاهد لقوله : إنّ الحدّ كفارة.

فقال مفسّرنا :

وهذا غير صحيح ، لأنّ الله ( تعالى ) دل على معنى الأمر بالتوبة وإنّما يتوب المذنب من ذنبه ، والحد من فعل غيره ، وأيضاً فمتى كان مصراً كان إقامة الحد عليه عقوبة ، والعقوبة لا تكفر الخطيئة ، كما لا يستحق بها الثواب<sup>١</sup> .

وخطأ الشيخ الطوسي رأي السدي عند تفسيره لقوله تعالى :

( وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ )<sup>٢</sup>

فقال :

وقوله ( وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ) فيه وجوه :

أحدها : ما قال قتادة وأبو العالية : وأشربوا في قلوبهم حب العجل .

وقال السدي : لما رجع موسى إلى قومه أخذ العجل الذي وجدتهم عاكفين عليه فدبحه ، ثم حرقه بالمبرد ، ثم ذراه في اليم ، فلم يبق بحر يجري يومئذ إلا وقع فيه شيء منه ، ثم قال : أشربوا فاشربوا ، فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب .

ثم قال الشيخ الطوسي :

والأول عليه أكثر محصلي المفسرين وهو الصحيح ، لأنّ الماء لا يقال فيه : أشرب منه فلان في قلبه وإنّما يقال ذلك في حب الشيء<sup>٣</sup> .

## ٥ . مناقشته لأهل الكتاب والفرق الإسلاميّة

أسهب الشيخ الطوسي في مناقشته مع اليهود والنصارى وأظهر ما هم عليه من تناقض واختلاف ، كما وردّ على الكثير من آراء الفرق والمذاهب الإسلاميّة المختلفة كالمعتزلة والأشاعرة والخوارج والمجبرة والمفوضة والمشبهة وغيرهم ، وقد اتسعت ردوده

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٥١٦ .

٢ . البقرة ( ٢ ) الآية ٩٣ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .

وإشكالاته التي أوردتها عليهم بالصرحة والموضوعية والدقة العلمية التي أظهر فيها مفسرنا قدرة فائقة في المحاججة والمناظرة والحوار بأسلوب علمي ومنهج عقلائي رائع يتجلى للقارئ من يتجلى خلاله كفاءة الشيخ العلمية ومنهجه الرصين الذي لا يدع مجالاً أمام الخصم فلا يقوى معه على الرد ولا يملك بعدها إلا الإذعان والإقرار ومن ذلك :

رده على ما أدعاه اليهود والنصارى ووصمهم بالتناقض فقال في تفسيره للآية الكريمة ( **قَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** )<sup>١</sup> روي عن عبد الله بن عباس ، أنه قال :

قال عبد الله بن سوريا الأعور لرسول الله ٩ : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تتمد ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل الله تعالى : ( **وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا** ) .

فقال الشيخ الطوسي :

وكان في اليهودية والنصرانية تناقض وذلك لا يكون من عند الله فصارت ملة إبراهيم أحق بالإتباع من غيرها .

والتناقض في اليهودية مثل منحهم من جواز النسخ مما في التوراة ، وفي التوراة ما يدل على جواز ذلك ، وامتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة في التوراة من اتباع النبي الأُمي ، مع إظهارهم التمسك بها وامتناعهم من الإذعان ، لمادلت عليه المعجزة من نبوة محمد ٩ ، مع إقرارهم بنبوة موسى من أجل المعجزة إلى غير ذلك من أنواع التناقض<sup>٢</sup> .

وأما النصارى فقد قالوا : أب وابنٌ وروحٌ قدوسٌ إلهٌ واحدٌ مع زعمهم أنّ الأب ليس هو الابن وأنّ الأب إلهٌ والابن إلهٌ وروح القدس إلهٌ ، فاذا قيل لهم قولوا ثلاثة آلهة امتنعوا من ذلك ، إلى ما يصفون به الباري تعالى مما يوجب الحاجة والحدث ، ويقولون مع ذلك : إنّه قسّم لم يزل ، إلى غير ذلك من مناقضاتهم التي لا تحصى<sup>٣</sup> .

وعند تفسيره لقوله تعالى :

١ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٣٥ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٤٧٩ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٤٧٩ .

( قُلْ أَنَحَا جُؤُنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ )

(

قال :

وكانت محاجتهم له ٩ أنهم زعموا أنهم أولى بالحق ، لأنهم راسخون في العلم وفي الدين ، ولتقدم النبوة فيهم ، والكتاب ، فهم أولى بأن يكون الرسول منهم ... وغرضهم بذلك الاحتجاج بأن الدين ينبغي أن يلتمس من جهتهم ، وأن النبوة أولى أن تكون فيهم ، وليس الأمر على ما ظنوا ، لأن ( اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ )<sup>٢</sup>.

ومن الذي يقوم باعبائها ويتحملها على وجه يكون أصلح للخلق وأولى بتدبيرهم<sup>٣</sup>.

وعند تفسيره لقوله تعالى :

( وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ )<sup>٤</sup>

قال :

وفي هذه الآية دلالة على أنه لا يجوز له الولد على وجه من الوجوه ، لأنه إذا كان جميع ما في السموات والأرض ملكا له ، فالمسيح عبد مريبوب ، وكذلك الملائكة المقربون ، لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد ولا يكون المفعول من جنس الفاعل ، وكل جسم فعل لله فلامثل ولا نظير على وجه من الوجوه<sup>٥</sup>.

وعند تفسيره للآية الكريمة :

( إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ )<sup>٦</sup>.

قال الطوسي :

وفي الآية حجة على النصارى بما قال له المسيح مما يقرون به أنه في الإنجيل من نحو

١. البقرة ( ٢ ) الآية ١٣٩.

٢. الأنعام ( ٦ ) الآية ١٢٤.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٤٨٧.

٤. البقرة ( ٢ ) الآية ١١٦.

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٤٢٧.

٦. آل عمران ( ٣ ) الآية ٥١.

هذا الكلام لأنّ فيه ( أذهبُ إلى إلهي وإلهكم ) كقوله هاهنا : ( **إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ** )<sup>١</sup>

في تفسيره لقوله تعالى :

( **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ** )<sup>٢</sup>

قال الطوسي :

وفي الآية دلالة على أن الوعيد بالنار قد كان في زمن آدم بخلاف ما يدعيه جماعة من اليهود والنصارى<sup>٣</sup>.

من كل هذا تبين لنا أمور عدة كان الشيخ المفسر يمتازها في تفسيره منها :

١. سعة اطلاعه على ما في كتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، حيث كان يقارن ما فيها مع ما في القرآن الكريم ، ويحتج عليهم بما احتوته كتبهم ، حتى أصبح يرد أهل الإنجيل بأنجيلهم وأهل التوراة بتوراتهم.

٢. تمكنه من المحاججة والمناظرة بالدرجة التي لا يترك للخصم فرصة الدفاع بها عن آرائه ، ويأتي عليها وفق أسس منطقية مثبتة ، فينسفها نسفاً ، ويقوم عليها الحجة ، ويدعم رأيه بالدليل القاطع الذي لا ينكره إلا مكابر أو معاند.

٣. استخدامه للأسلوب العقلي في المناقشة والحجاج ، الأمر الذي يفحم فيه الخصم

ولا يقوى معه على الرد.

كل هذه المميزات جعلت من الشيخ الطوسي جديراً بأن يتربع على كرسي الكلام في بغداد ، ومن ثمّ مدافعاً عن مذهبه وآرائه ومعتقداته ، وإذا ما حُرم الشيخ الطوسي من المناظرة مع الخصوم مشافهة بسبب الفتن الطائفية التي عصفت به في مركز الخلافة ، فإنّه قد وجد له في التبيان متنفساً لعرض آرائه وأفكاره ، وسبيلاً للدفاع عن مذهبه ومعتقداته ، لذلك جاء تفسيره مشحوناً بروح المناظرة والجدل العلمي الرفيع ، ليناقش من يرى ضرورة مناقشته من أصحاب الديانات الأخرى ، أو حتى المنتمين للفرق الإسلامية المختلفة ، بل والملحدين

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٤٧٢.

٢. المائدة ( ٥ ) الآية ٢٩.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٤٩٦.

والكفار أيضاً.

وقد ردّ الشيخ الطوسي على المجسمة الذين قالوا : إنّ الوجه في خلق الله للكرسي أنّ  
يجلس عليه فقال :

إنّ عز وجل يتعالى عن ذلك ، لأنّ ذلك من صفات الأجسام ، ولواحتاج إلى الجلوس عليه لكان جسماً  
ومحدثاً وقد ثبت قدمه<sup>١</sup>.

كما فنّد مزاعم الغلاة الذين تعلقوا بقوله تعالى :

(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) <sup>٢</sup> فرعموا أنّ الله حال بمحمد <sup>٩</sup> فقالوا : لما قال

(وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) - وكان النبي هو الرامي - دل ذلك على أنّ الله تعالى ، فردّ عليهم الطوسي  
معنعاً ، ووصفهم بالجهل وقلة المعرفة بوجوه الكلام فقال :

لو كان ماقالوه لكان الكلام متناقضاً ، لأنّه خطاب للنبي <sup>٩</sup> بأنّه لم يرم ، فإن كان هو الله تعالى فيأى من  
توجه الخطاب؟ وإن توجه إليه الخطاب دل على أنّ الله غيره ، وأيضاً فإذا كان هو الله فقد نفى عنه الرمي  
، فإذا أضافه إلى الله بعد ذلك كان متناقضاً ، على أنه قد دلت الأدلة العقلية على أنّ الله ليس بجسم ،  
ولاحال في جسم ، فبطل قول من قال : إنّ الله حل في محمد <sup>٩</sup> .<sup>٣</sup>

وقد ردّ الشيخ الطوسي على المشبهة الذين قالوا : إنّ معنى قوله تعالى :

(إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ) <sup>٤</sup> إنّهم يشاهدونه ، فقال مفسرنا :

وهذا فاسد ، لأنّ المشاهدة لا تجوز إلا على الأجسام أو على ما هو حال في الأجسام وقد ثبت حدوث  
ذلك أجمع ، فلا يجوز أن يكون تعالى بصفة ما هو محدث.

ثم قال :

وقد بينا أن المراد بذلك : وقوفهم على عذاب ربهم وثوابه وعلمهم بصدق ما أخبرهم به

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣١٠.

٢. الأنفال ( ٨ ) الآية ١٧.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٩٣.

٤. الأنعام ( ٦ ) الآية ٣٠.

في دار الدنيا دون أن يكون المراد به رؤيته تعالى ومشاهدته ، فبطل ما ظنوه <sup>١</sup>.

واستدل الشيخ الطوسي بقوله تعالى : ( **اللَّهُ أَحَدٌ** ) على فساد مذهب المجسمة قائلاً بأنّ الجسم ليس بأحد ، إذ هو أجزاء كثيرة ، وقد دلّ الله بهذا القول على أنّه أحد ، فصح أنّه ليس بجسم <sup>٢</sup>.

وأنكر الشيخ الطوسي على الخوارج قولهم : إنّ مرتكب الكبيرة كافر ، فقال عند تفسيره لقوله تعالى :

( **فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ) <sup>٣</sup>

الإنذار بنار هذه صفتها وهي درك مخصوص من أدراك جهنم ، فهي تختص بهذا المتوعد الذي كذب بآيات الله وحده توحيده ( **وتَوَلَّى** ) عنها بأن لم ينظر فيها ، أو رجع عنها بعد أن كان نظر فيها ، فصار مرتدّاً. والثاني محذوف لما صحبه من دليل الآي الآخر ، كأنه قال ومن جرى مجراه ممن عصى ، فعلى هذا لا متعلق للخوارج في أنّ مرتكب الكبيرة كافر <sup>٤</sup>.

كما واعترض الشيخ الطوسي على التناسخية الذين استدلوا بقوله تعالى :

( **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ** ) <sup>٥</sup> ليقولوا إنّ البهائم

والطيور مكلفة ، فرد الشيخ قائلاً :

وهذا باطل ، لانا قد بينا من أي وجه قال : إنّها ( **أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ** ) ولو وجب حملها على العموم لوجب أن تكون أمثالنا في كونها ناساً وفي مثل صورتنا وأخلاقنا فمتى قالوا لم يقل أمثالنا في كل شيء ؟ قلنا : وكذلك الامتحان والتكليف ، على أنهم مقرّون بأنّ الأطفال غير مكلفين ولا ممتحنين ، فما يحملون به امتحان الصبيان بعينه نحمل بمثله امتحان البهائم ، وكيف يصح تكليف البهائم والطيور ، وهي غير عاقلة ، والتكليف لا يصح إلا

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١١٣ .

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٤٣٠ .

٣. الليل ( ٩٢ ) الآيات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٣٦٦ .

٥. الأنعام ( ٦ ) الآية ٣٨ .

لعقل ، على أنّ الصبيان أعقل من البهائم ، ومع هذا فليسوا مكلفين ، فكيف يصح تكليف البهائم؟<sup>١</sup>  
وقد تصدى الشيخ الطوسي للمعتزلة ، وناقشهم في الآراء التي يختلفون فيها مع الإمامية ، ودحض أدلتهم التي أقاموها ليستدلوا بها على بعض آرائهم ، وبين وجوه الخطأ في متبنياتهم بأسلوب عقلي ينم عن روح علمية نزيهة موضوعية متناهية ، حيث لا ينكر عليهم شيئاً إلا بدليل ، ولا يعرض رأياً إلا ويدعمه بحجة من القرآن أو العقل ، فقال عند تفسيره لقوله تعالى :

**(وَمَنْ يَعُصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)<sup>٢</sup>**

واستدلت المعتزلة بهذه الآية على أنّ فاسق أهل الصلاة مخلد في النار ومعاقب لامحالة.

فرد الشيخ الطوسي قائلاً :

وهذا لادلالة لهم فيه من وجوه ، لأنّ قوله **( وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ )** إشارة إلى من يتعد جميع حدود الله ، ومن كان كذلك فعندنا يكون كافراً ، وأيضاً فلا خلاف إنّ الآية مخصوصة بصاحب الصغيرة ، وإن كان فعل المعصية ، وتعدى حداً ، فإنه خارج منها ، فإنّ جاز لهم إخراج الصغيرة منها بدليل جاز لنا أن نخرج من يتفضل الله عليه بالعتو ، أو يشفع فيه النبي ٩ ، وأيضاً ، فإنّ التائب لا بد من إخراجها من هذه الآية ، لقيام الأدلة على وجوب قبول التوبة ، فكذلك يجب أن يشترط من يتفضل الله باسقاط عقابه ، فإنّ قالوا : قبول التوبة واجب ، والعتو ليس بواجب ، قلنا : قبول التوبة واجب إن حصلت ، وكذلك سقوط العقاب واجب إذا حصل العفو ، فإنّ قالوا : يجوز أن لا يختار الله العفو ، قلنا : وكذلك يجوز أن لا يختار العاصي التوبة ، فإن جعلوا الآية دالة على أن الله لا يختار العفو ، جاز لغيرهم أن يجعل الآية دالة على أن العاصي لا يختار التوبة على أن هذه الآية معارضة بايات كثيرة في وقوع العفو كقوله : **( وَيَغْفِرُ**

**مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ )<sup>٣</sup>** وقوله **(إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ**

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠.

٢. النساء ٤ الآية ١٤ .

٣. النساء ٤ الآية ٤٨ .

**جَمِيعاً** <sup>١</sup> وقوله : **( وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ )** <sup>٢</sup>.

فإن شرطوا في آياتنا التوبة شرطنا في آياتهم ارتفاع العفو <sup>٣</sup>.

وفي هذه المناظرة تتجلى قدرة الشيخ الطوسي على الحوار العلمي الهادئ المتين الذي يتلمس فيه الباحث سعة اطلاع المفسر وقدرته في استخدام الدليل العقلي في البرهنة السليمة الموفقة ، واستشهاده بالنص القرآني الجلي الواضح الذي يعكس المنهج العقلي بكل ما فيه من عمق وواقعية واستيعاب اذ لم يترك أمام محاوره باباً للاستدلال إلا وسده عليه بالحجة الدامغة والدليل القاطع الذي لا يملك معه الخصم إلا الإذعان لمنطق الحق وقوة الدليل.

وعند تفسيره للآية الكريمة :

**(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ**

**عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** <sup>٤</sup>

قال : وقال الرماني ومن تابعه من المعتزلة : لا يجب هذا الوعد إذا ارتكب صاحبها الكبيرة من الجرم ، كما لا يجب إن ارتد عن الإيمان إلى الكفر وإنما يجب لمن أخلصها مما يفسق بها.

فرد الطوسي قائلاً :

وهذا عندنا ليس بصحيح ، لأنّ القول بالإحباط باطل ، ومفارقة الكبيرة بعد فعل الطاعة لا تحبط ثواب الطاعة بحال ، وإنما يستحق بمعصيته العقاب ولله فيه المشيئة <sup>٥</sup>.

كما وأشكل الشيخ الطوسي على المعتزلة استدلالهم بالآية الكريمة :

١. الزمر ( ٣٩ ) الآية ٥٣.

٢. الرعد ( ١٣ ) الآية ٦.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ١٤١.

٤. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٧٤.

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤.

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ... )<sup>١</sup>

فقالوا بخلود مرتكب الكبيرة في النار ، وأنه إذا قتل مؤمناً فإنه يستحق الخلود ولا يعفى هذه بظاهر اللفظ فاحتج عليهم الطوسي بقوله :

وإنا إن نقول : ما أنكرتم أن يكون المراد بالآية الكفار ومن لاثواب له أصلاً فأما من هو مستحق للثواب ، فلا يجوز ان يكون مراداً بالخلود أصلاً.

ثم أكد ذلك بقوله وقد روي عن أصحابنا : أن الآية متوجهة إلى من يقتل المؤمن لإيمانه وذلك لا يكون إلا كافراً<sup>٢</sup>.

هذا وقد حضي المجبرة بالقسط الأوفر من ردود الشيخ الطوسي وإشكالاته عليهم حيث كان مرة يفند مزاعمهم ويدحض أقاويلهم ويسقط ما في أيديهم ، فقال عند تفسيره للآية الكريمة :

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)<sup>٣</sup>

وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة من ثلاثة وجوه :

أحدها : قوله ( هُدًى لِّلنَّاسِ ) فَعَمَ بذلك كلَّ إنسان مكلف ، وهم يقولون ليس يهدي الكفار.

الثاني : قوله تعالى ( يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ) والمجبرة تقول : قد أراد تكليف العبد ما لا يطيق مما لم يعطه عليه قدرة ولا يعطيه ، ولا عسر أعسر من ذلك.

الثالث : لو أنَّ الإنسان حمل نفسه على المشقة التي يخاف معها التلف في الصوم لمرض شديد لكان عاصياً ولكان قد حمل نفسه على العسر الذي أخبر الله : أنه لا يريد به العبد ، والمجبرة تزعم أن كل ما يكون من العبد من كفر أو عسر أو غير ذلك من أنواع الفعل

١. النساء ( ٤ ) الآية ٩٣.

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٢٩٥.

٣. البقرة ( ٢ ) الآية ١٨٥.

يريده الله<sup>١</sup>.

وعند تفسيره لقوله تعالى :

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)<sup>٢</sup>

قال الطوسي :

وفي الآية دليل على فساد قول المجبرة في المخلوق والإرادة لأنه تعالى نسب الإخراج من نور الهدى إلى ظلمة الكفر والضلال إلى الطاغوت منكرًا لتلك الحال ، ولم يكن لينكر شيئاً أراداه ولا يعيب شيئاً عنه فعَلَهُ تعالى الله عن ذلك<sup>٣</sup>.

وعند تفسيره لقوله تعالى :

(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)<sup>٤</sup>

قال المفسر :

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في أن الله تعالى يريد الظلم ، لأنه قال : (لَا يُحِبُّ

الظَّالِمِينَ) وإذا لم يحب الظالم لم يحب فعل الظلم ، لأنه إنما لم يجز محبة الظالم لظلمه<sup>٥</sup>.

وعند تفسيره للآية الكريمة :

(يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)<sup>٦</sup>

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، ١٢٦.

٢. البقرة ( ٢ ) الآية ١٨٥.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣١٥.

٤. آل عمران ( ٣ ) الآية ٥٧.

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٤٨٠.

٦. الأعراف ( ٧ ) الآية ٥٢.

### قال مفسرنا :

وفي الآية دلالة على فساد مذهب المجرة من وجهين :  
أحدهما : إثم كانوا قادرين على الإيمان في الدنيا ، فلذلك طلبوا تلك الحال ، ولولم يكونوا قادرين لما طلبوا الرد إلى الدنيا وإلى مثل حالهم الأولى .  
والآخر : بطلان مذهب المجرة في تكليف أهل الآخرة ... وهو خلاف القرآن والإجماع ، ولو كانوا مكلفين لما طلبوا الرجوع إلى الدنيا ، ليؤمنوا ، بل كانوا يؤمنون في الحال .<sup>١</sup>

وعند تفسيره لقوله تعالى :

**(كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ) <sup>٢</sup>**

قال الطوسي :

وقواه **(فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ)** دليل على بطلان مذهب المجرة في أن القدرة مع العقل ، وأن المؤمن لاقدرته له على الكفر ، وأن الكافر لا يقدر على الإيمان ، لأنه تعالى بيّن أن من شاء أن يذكره ذكره ، لأنه قادر عليه .<sup>٣</sup>

ولم يكتب الشيخ الطوسي بالرد على أصحاب الآراء من أتباع الفرق والمذاهب الإسلامية المختلفة ، وكذلك أهل الكتاب ، وإنما حاور الملحدين أيضاً ، وأبطل مزاعمهم فلنستمع إليه يقول :

وقصة أصحاب الفيل من الأدلة الواضحة والحجج اللائحة على الملحدين ومن أنكر الصانع ، لأنه لا يمكن نسب ذلك إلى طبيعة ولا موجب ، وكما تأولوا الزلازل والرياح والخسوف وغير ذلك مما اهلك الله به الأمم ، لأنه ليس في الطبيعة اقبال طير بأحجار ، وتقصد أقواماً دون غيرهم حتى تهلكهم بما ترميهم به ، ولا تعدى إلى غيرهم ، بل ذلك من أوضح الأدلة على أنه من فعل الله تعالى ، وليس لأحد أن يضعف ذلك ، وينكر الخبر به ، لأنّ النبي (ص) لما قرأ على أهل مكة هذه السورة ، كانوا قريبي العهد بالفيل ، فلو لم يكن كذلك ، ولم يكن له أصل لأنكروه ، فكيف وهم أرحوا به كما أرحوا بنيان الكعبة وموت

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ .

٢. عبس ( ٨٠ ) الآيات ١١ و١٢ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٢٧١ .

قصي وغيره؟ وقد نظم الشعراء في قصة الفيل الشعر ونقلته الرواة ، فلا يمكن جحد ذلك لأنه مكابرة<sup>١</sup> .  
ومثل هذه اللفظات الذكية نجدها ماثورة في تفسير الشيخ الطوسي ، ويزدحم بها تبيانها مما يؤكد انتهاجه نهجاً عقلياً متميزاً في التفسير ، حيث ترك هذا السلوك العقلي أثراً واضحاً على صفحات التبيان ، وما زخرت به بحوثه تشكل بمجموعها منهجاً عقلياً بحث المفسر فيه عن الحقيقة ، وظل ينشد مصاديقها ، ويتحرى الأدلة عليها ليحاوّر ويناقش من يختلف معه في الرأي بروية وهدوء وانضباط مما يدل على ثقة المفسر بنفسه وقوة الحجة التي يمتلكها ، الأمر الذي أضفى على تفسير التبيان صيغة موضوعية ومسحة عقلية تركت بصماتها الواضحة في ذهن كل من طالع التبيان وتدبر بحوثه ، فاستحق بذلك الشيخ الطوسي كل ما حصل عليه من مديح وثناء وإطراء ، إذ استطاع وبجدارة أن يسهم في عملية تطوير التفسير والانتقال به من التقليد والانشداد للأثر والرواية إلى حيث التدبر والنزعة العقلية ، مع الأخذ بالحديث الصحيح المعتمد ، فتمكن من أن يجمع ما في المنهجين ( النقلية والعقلية ) من مزايا ومحاسن .

---

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٤١١ .



## الفصل الثالث :

### الجانب الأثري في التبيان

#### تفسير القرآن بالقرآن

تشهد كتب التفسير القديمة والحديثة على أن هذا اللون من التفسير قد مارسه المفسرون القدامى والمحدثون ، بل واعتبره العلماء أول الطرق في تفسير القرآن الكريم التي ينبغي للمفسر أن يسلكها وينتهجها عند أية محاولة تفسيرية لكتاب الله ، وبذلك قالوا :  
من أراد تفسير الكتاب العزيز يطلبه أولاً من القرآن ، فإن أعياه ذلك طلبه من السنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له<sup>١</sup>.

وكان رسول الله ٩ أول من عمد إلى هذا السبيل ، فانتهجته ، حيث كان يستعين ببعض آيات القرآن الكريم ليشرح بها البعض الآخر ، ومن ذلك تفسيره ٩ للظلم في قوله تعالى : ( **وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** )<sup>٢</sup> بالشرك ، واستدل بقوله تعالى ( **إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** )<sup>٣</sup> .  
وبهذا يكون رسول الله ٩ قد أرسى لمن بعده قواعد منهج تفسيري لا يستغني عنه أي مفسر وعلى هذا النهج سار أئمة أهل البيت ٧ ، كما شهد عصر الصحابة مثل هذا اللون من

١. السيوطي ، الإتقان ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

٢. الأنعام ( ٦ ) الآية ٦٥ .

٣. الجامع الصحيح للبخاري بحاشية السندي ، كتاب تفسير القرآن ، لقمان ( ٣١ ) الآية ١٣ .

التفسير ، فيقول الذهبي :

« وهو يعني تفسير القرآن بالقرآن ما كان يرجع إليه الصحابة في تعرف بعض معاني القرآن »<sup>١</sup>.

وتذكر روايات عديدة أن عمر بن الخطاب أحضرت عنده امرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها ، فنهاه الإمام علي ٧ عن ذلك ، وأوضح أنّ مدة حملها جاء وفق أحكام القرآن ، واستدل بهاتين الآيتين ، فحلى سبيلها ، فقال : « لولا علي لهلك عمر ».

وإلى هذا أشار ابن كثير في تفسيره فقال في معنى قوله تعالى :

( **وَفَصَّالَةٌ فِي عَمَّالِينَ** ) إنّ جماعة من الصحابة استنبطوا أنّ أقل مدة للحمل ستة أشهر لقوله تعالى ( **وَحَمْلُهُ وَفَصَّالَةٌ ثَلَاثُونَ شَهْرًا** )<sup>٢</sup>.

ويقول ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى : ( **رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخِيَّتْنَا اثْنَتَيْنِ** )

بأنهم كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم ، أو كانوا تراباً قبل أن يخلقوا فهي ميتة ، ثم أحيائها فهذه إحياءة ، ثم يميتهم الميتة التي لا بد منها في الدنيا وهي ميتة أخرى ، ثم يحييهم ويعيهم يوم القيامة ، وهذه إحياءة أخرى ، وعلى هذا تحصل ميتتان وحياتان ، فهو قول الله تعالى ( **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** )<sup>٣</sup>.

بعد عصر الصحابة تابعهم التابعون على نفس المنهج التفسيري ، حيث كانوا يفسرون بعض آيات القرآن الكريم بايات كريمة أخرى ، ومن ذلك تفسير قوله تعالى : ( **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ** )<sup>٤</sup>.

فعن محمد بن كعب القرظي وسعيد بن جبير أنّ العاشية هي النار ، تغشى وجوه الكفار

٤

١. الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ط ٢ ، ج ١ ، ص ٤١ .

٢. ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ط ٣ ، ج ٣ ، ص ٤٤٥ ، الآيات : لقمان ( ٣١ ) ، ١٤ ، والأحقاف ( ٤٦ ) . ١٥ .

٣. محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ج ١ ص ٤١٨ ؛ الآيات : غافر ( ٤٥ ) ، ١١ ؛ والبقرة ( ٢ ) ، ٢٨ .

٤. العاشية ( ٨٨ ) الآية ١ .

وهو قوله تعالى : ( **تَغْشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ** )<sup>١</sup> .

ويأتي اهتمام المفسرين بهذا اللون من التفسير ، لأنّ القرآن وكما قال عنه الإمام علي<sup>٧</sup> :  
ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض<sup>٢</sup> .

وبهذا يقول الزمخشري مادحاً لهذا النوع من التفسير : « أسد المعاني ما دل عليه القرآن  
»<sup>٣</sup> .

ويقول ابن تيمية :

ان أصح الطرق في ذلك . يعني التفسير . أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجْمِلَ في مكان قد فسر في موضع  
آخر ، وما أُختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر<sup>٤</sup> .

والشيخ الطوسي اعتمد هذا الأسلوب في تفسيره لآيات الكتاب المبين ، فتراه أحياناً  
يفسر مفردة قرآنية بجمع القرائن الدالة على معناها ، من خلال إحضاره لعدد من الآيات التي  
تشكل بمجموعها دليلاً قاطعاً على المراد ، كما نجد أحياناً يثبت حكماً شرعياً تنص عليه آية  
بضمه آيات أخرى إليها فتتكامل الصورة الداخلة على الحكم من خلال آيات قرآنية متفرقة  
يعمل الطوسي على جمعها في المورد ، كما يستعين بالآيات القرآنية أحياناً في دعم رأي له ، أو  
رد آراء غيره من المفسرين عندما يراهم قد ابتعدوا في تفسيرهم عن الصواب ، كما يحاول في  
مناسبات عديدة من أن يحل إشكالاً ظاهرياً أو تناقضاً بدوياً بين بعض الآيات القرآنية ، وبهذا  
يكون الطوسي قد استفاد من القرآن أيما استفادة في شرحه لمعاني الآيات ومفاهيمها ، وهنا  
نورد جملة من الشواهد التي تؤكد انتهاجه لهذا النوع من التفسير ، فهو عند تفسيره لكلمة الرب  
في قوله تعالى ( **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** )<sup>٥</sup> قال :

أما الرب فله معنيان في اللغة ، فيسمى السيد المطاع رباً ، ومنه قوله تعالى : ( **أَمَّا أَحَدُكُمْ** )

١ . الطبرسي ، مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٤٧٨ . والآية : إبراهيم ( ١٤ ) . ٥٠ .

٢ . محمد عبده ، شرح نخب البلاغة ، ج ٢ ، ص ١٧ ، بيروت .

٣ . الزمخشري ، الكشاف ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

٤ . ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق د. عدنان زرزور ، ص ٦٣ .

٥ . الفاتحة ١ . الآية ٢ .

**فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا**<sup>١</sup> يعني سيده ، ومنه قيل : رب ضيعة ، اذا كان يحاول اتمامها ، و ( **الربانيون**

(<sup>٢</sup> من هذا من حيث كانوا مدبرين لهم.

وقوله : ( **رب العالمين** ) اي المالك لتدبيرهم والمالك للشيء يسمى ربه ، ولا يطلق هذا الاسم إلا

على الله ، أما في غيره فيقيد ، فيقال : رب الدار ، وقيل : انه مشتق من التربية ، ومنه قوله :

**(وَرَبَائِكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ)**<sup>٣</sup>.

ومتى قيل في الله : انه رب بمعنى انه سيد فهو من صفات ذاته ، واذا قيل بمعنى انه مدبرمصلح ، فهو من

صفات الافعال<sup>٤</sup>.

وعند تفسيره للختم في قوله :

**(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**<sup>٥</sup>

قال الشيخ الطوسي :

**(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ)** اي شهد عليها بأنها لاتقبل الحق يقول القائل : أراك تختم على كل

مايقول فلان ، أي تشهد به وتصدقه.

وقيل : المعنى في ذلك إنه ذمهم بأنها كالمختوم عليها في أنها لايدخلها الإيمان ولايخرج منها الكفر.

والختم احر الشيء ومنه قوله تعالى **(خِتَامُهُ مِسْكٌ)**<sup>٦</sup> ومنه **(خَاتَمَ النَّبِيِّينَ)**<sup>٧</sup> أي احرهم<sup>٨</sup>.

وعند تفسيره لكلمة ( استوى ) في قوله تعالى : **( ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ**

**سَمَاوَاتٍ )**<sup>٩</sup>

١. يوسف ( ١٢ ) الآية ٤٤ .

٢. المائدة ( ٥ ) الآية ٦٦ .

٣. النساء ( ٤ ) الآية ( ٢٢ ) .

٤. انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٣٢ .

٥. البقرة ( ٢ ) الآية ٧ .

٦. المطففين ( ٨٣ ) الآية ٢٦ .

٧. الاحزاب ( ٣٣ ) الآية ٤٠ .

٨. انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٦٤ .

٩. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٩ .

قال المفسر :

وقال قوم : معنى (اسْتَوَى) اي استولى على السماء بالقهر كما قال (لِئَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ) <sup>١</sup> أي تفهروه.

ومنه قوله تعالى (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) <sup>٢</sup> أي تمكن من أمره وقهر هواه بعقله فقال (ثم

استوى إلى السماء) في تفرد بملكها ، ولم يجعلها كالأرض ملكا لخالقه <sup>٣</sup>.

وعند تفسيره ( للظلم ) في قوله تعالى (فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) <sup>٤</sup>.

قال الطوسي :

وأصل الظلم انتقاص الحق لقوله تعالى : (كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا) <sup>٥</sup>

أي لم تنقص ، وقيل : أصله وضع الشيء في غير موضعه من قولهم : من يشبه أباه فما ظلم أي فما وضع الشبه في غير موضعه ، وكلاهما مطرد وعلى الوجهين فالظلم اسم ذم ، ولا يجوز أن يطلق إلا على مستحق

اللعن لقوله : (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) <sup>٦</sup>.

وقوله (إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) <sup>٧</sup> حكاية عن يونس من حيث بحس نفسه الثواب بترك

المندوب إليه <sup>٨</sup>.

وعند تفسيره لقوله تعالى :

(وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) <sup>٩</sup>. قال في معنى

الفرق :

والفرق : الطائفة من كل شيء ، ومن الماء إذا انفرق بعضه عن بعض ، وكل طائفة من ذلك

١. الزخرف ( ٤٣ ) الآية ١٣.

٢. القصص ( ٢٨ ) الآية ١٤.

٣. انظر التبيان ، ج ١ ، ص ١٢٦.

٤. البقرة ( ٢ ) الآية ٣٥.

٥. الكهف ( ١٨ ) الآية ٣٣.

٦. هود ( ١١ ) الآية ١٨.

٧. الانبياء ( ٢١ ) الآية ٨٧.

٨. انظر التبيان ، ج ١ ، ص ١٦٠.

٩. البقرة ( ٢ ) الآية ٥٠.

فرق ، وقوله : ( **فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** )<sup>١</sup> يعني الفرق من الماء ، والفريق الطائفة من الناس ، والفرقان : اسم للقرآن ، وكل كتاب انزل الله ، وفرق به بين الحق والباطل فهو فرقان ، وسمى الله التوراة فرقانا ، وقوله : ( **يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ** )<sup>٢</sup> كان يوم بدر ويوم احد ، فرق الله بين الحق والباطل.

وقوله : ( **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ** )<sup>٣</sup> معناه احكمناه كقوله : ( **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** )<sup>٤</sup> وتقول :

مفرق ما بين الطرفين .<sup>٥</sup>

وعند تفسيره لكلمة العقاب في قوله تعالى : ( **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** )<sup>٦</sup> حاول الشيخ الطوسي ان يجمع ما تشابه في اللفظ مع العقاب ، واستشهد لبيان ذلك بايات من القرآن الكريم ، فقال في معرض شرحه لمعنى العقاب :

عقب الشيء بمعنى خلف بعد الاول ، واعقب اعقابا ، وتعقب الراي تعقبا ( **وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** )<sup>٧</sup> اي الاحرة. ( **وَنُزِدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا** )<sup>٨</sup> اي نعقب بالشر بعد الخير ، والعقبة : ركوب اعقبه المشي و ( **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ** )<sup>٩</sup> : ملائكة الليل تخلف ملائكة النهار ، وعقب الإنسان : نسله ، وعقبه مؤخر قدمه ... والعقاب : الطائر ... ( **لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ** )<sup>١٠</sup> اي لاراد لفضائه<sup>١١</sup> .

١ . الشعراء ( ٢٦ ) الآية ٦٣ .

٢ . الانفال ( ٨ ) الآية ٤١ .

٣ . الاسراء ( ١٧ ) الآية ١٠٦ .

٤ . الدخان ( ٤٤ ) الآية ٤ .

٥ . انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

٦ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٩٦ .

٧ . الأعراف ( ٧ ) الآية ١٢٧ .

٨ . الأنعام ( ٦ ) الآية ٧١ .

٩ . الرعد ( ١٣ ) الآية ١٢ .

١٠ . الرعد ( ١٣ ) الآية ٤١ .

١١ . انظر التبيان ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .

وقد يتوسع الشيخ الطوسي ويسهب في شرح بعض المفردات القرآنية ، وياتي بالشواهد القرآنية العديدة على توضيح المعنى المراد كما في قوله تعالى : **(وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)** <sup>١</sup> .  
فقال :

يعني في العدل من غير حاجة إلى خط ولا عقد ، لانه . عز وجل . عالم به ، وانما يحاسب العبد مظهرة في العدل ، واحالة على ما يوجبه الفعل من خير او شر ... ونقول من الحساب : حسب الحساب يحسبه حسبا ... واحسبني من العطاء احسابا اي كفاني **(عَطَاءٌ حِسَابًا)** <sup>٢</sup> اي كافيا .

والحسبان : سهام قصار ومنه **(وَيُرْسِلُ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ)** <sup>٣</sup> .

**(يُرْزَقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)** <sup>٤</sup> اي بغير تضيق .

**(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)** <sup>٥</sup> اي قدر لها مواقيت معلومة لا يعدونها <sup>٦</sup> .

وهكذا نجد ياتي بكل لفظ مشابه او قريب من الحساب ، فيعطيه ما يستحقه من التوضيح والبيان ، وبهذا يكون الشيخ الطوسي ، قد منح قارئ التبيان اوسع فرصة للاستفادة من المفردة القرآنية من خلال ربطها بغيرها ، فتتكامل الصورة عن الكلمة ومشتقاتها ، وما يقرب منها في الذهن مع شد القارئ لاستحضار العديد من الآيات القرآنية ، والتي من شأنها ان تخلق في ذهنه نوعا من المران ، يستطيع من خلالها ان يربط بين المتشابه في الالفاظ القرآنية ، ويخلق منها وحدة متكاملة ، لاشباع الموضوع واغنائه ، وهو اسلوب عملي عال لا يستبعد ان يكون الشيخ الطوسي هادفا لخلق هذه ، سيما وانه قد مارس طريقة الحوار ردحا من الزمن ، واعطته المناظرات العقائدية المستمرة مع علماء عصره مثل هذه

١ . البقرة ( ٢ ) الآية ٢٠٢ .

٢ . النبا ( ٧٨ ) الآية ٣٦ .

٣ . الكهف ( ١٨ ) الآية ٤١ .

٤ . البقرة ( ٢ ) الآية ٢١٢ .

٥ . الرحمن ( ٥٥ ) الآية ٥ .

٦ . انظر التبيان ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .

التجربة التي ربما حاول تعميمها وترويجه عبر تداول مثل هذا الطرح الشمولي في الفاظ الكتاب العزيز.

وهذا الاسهاب المقصود والربط الهادف بين آيات القرآن الكريم نجد في أكثر من مكان بين صفحات التبيان فهو في تفسيره لقوله تعالى :

(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) <sup>١</sup> . وضح المعنى

لكلمة (رَبَّنَا أَفْرِغْ) بشيء من التفصيل : فقال :

وقوله : (أَفْرِغْ) فالافراغ : صب السيل على جهة اخلاء المكان منه ، واصله الخلو ، وانما قيل :

(أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) تشبيها بتفريغ الاناء من جهة انه تحاية ماتوجه الحكمة ، كما انه تحاية ما في

الواحد من الانية.

وقوله : (سَنَفِرُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ) <sup>٢</sup> معناه سنعمد ، لانه عمل مجرد من غير شاغل.

ومنه قوله تعالى : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) <sup>٣</sup> اي خاليا من الصبر ، والفرغ مفرغ الدلو <sup>٤</sup> .

ومثل هذه الاطالة النافعة نجدها في تفسير الشيخ الطوسي لكلمة الاعصار في قوله تعالى

:

(أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ

كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ) <sup>٥</sup> فقال :

وقوله : (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ) فالعصر عصر الثوب ونحوه من كل شيء رطب

عصرته عصرا فهو معصور.

والعصر : الدهر وفي التنزيل (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) <sup>٦</sup> والعصر ، العشي ، ومنه صلاة

١. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٥٠

٢. الرحمن ( ٥٥ ) الآية ٣١.

٣. القصص ( ٢٨ ) الآية ١٠.

٤. انظر التبيان ج ٢ ، ص ٢٩٨.

٥. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٢٦.

٦. العصر ( ١٠٣ ) الآيات ١ و٢.

العصر ، لأنها تعصر اي تؤخر الشيء بالتعصر فيه .

والعصر النجاة من الجذب ، ومنه قوله تعالى : **( فِيهِ يُعَاتُّ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ )**<sup>١</sup> ، لانه كعصر

الثوب في الخروج من حال إلى حال .

والاعصار غبار يلتف بين السماء والارض كالتفاف الثوب في العصر ، والمعصرات السحاب ، ومنه قوله

تعالى **( وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَّاجًا )**<sup>٢</sup> .

كما ونجد شيخنا الطوسي يطيل في توضيحه كلمة **( الهوى )** في قوله تعالى : **( كُلَّمَا**

**جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ )**<sup>٣</sup> .

فقال :

والهوى هو لطف محل الشيء من النفس مع الميل إليه بما لا ينبغي ، فلذلك غلب على الهوى صفة الدم ،

كما قال تعالى : **( وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ )**<sup>٤</sup> .

ويقال : منه هوى يهوى ، ويقال : هوى يهوي هويًا ، اذا انحط في الهواء ... **( فَأَمَّهُ هَاوِيَةً )**<sup>٥</sup> أي

جهنم ، لانه يهوي فيها .

وقوله **( وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً )**<sup>٦</sup> قيل : فيه قولان :

احدهما : انها منحرفة لاتقي شيئًا كهواء الجو .

والاخر : انه قد اطارها الخوف .

ومنه قوله : **( كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ )**<sup>٧</sup> أي استهوته من هوى النفس

<sup>٨</sup> .

١ . يوسف ( ١٢ ) الآية ٤٩ .

٢ . انظر التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ والاية : النبا ( ٧٨ ) الآية ( ١٤ ) .

٣ . المائدة ( ٥ ) الآية ٧٠ .

٤ . النازعات ( ٧٩ ) الآيات ٤٠ و ٤١ .

٥ . القارة ( ١٠١ ) الآية ٩ .

٦ . إبراهيم ( ١٤ ) الآية ٤٣ .

٧ . الأنعام ( ٦ ) الآية ٧١ .

٨ . انظر التبيان ، ج ٣ ، ص ٥٨٢ .

وقد يعتمد المفسر احيانا إلى تسليط الاضواء على جوانب من المفردة القرآنية ، ويشبعها بحثاً بعد ان يجمع الاشتات ، فيكون منها صوراً مختلفة ، قد تتباين احيانا لتؤدي أكثر من معنى من خلال استعمالات متعددة ، تقتضيها طبيعة السياق والصياغة القرآنية ، كما في قوله تعالى : **( فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ )** <sup>١</sup> . اذ نجد الشيخ الطوسي يفترض اشكالا على النص بغية استجلاء الحقيقة و ابرازها فيقول :

فان قيل : كيف يجمع بين قوله : **( وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ )** <sup>٢</sup> وقوله :

**( فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ )** ؟ ثم يجيب الطوسي على هذا الاشكال الذي افترضه

بقوله :

قلنا فيه قولان :

احدهما : انه نفى ان يسألهم سؤال استرشاد واستعلام ، وانما يسألهم سؤال توبيخ وتبكيث .

الثاني : تنقطع المسألة عند حصولهم على العقوبة ، كما قال : **( فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ )** وقال في موضع اخر : **( وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ )** <sup>٣</sup> والوجه ما قلناه : انه يسألهم سؤال توبيخ قبل دخولهم في النار ، فاذا دخلوها انقطع سؤالهم <sup>٤</sup> .

ثم يأتي الشيخ الطوسي بالعديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تعرضت لموضوع السؤال فيصنفها تصنيفاً رائعاً ويضع كلا منها في مكانه الطبيعي الذي تتجلى من خلاله روعة النص القرآني واسلوب التعبير الفني الذي جاءت به الآيات البينات فيقول :

وقوله : **( وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ )** <sup>٥</sup> المراد به لا يسألون سؤال استعلام واستخبار ليعلم ذلك من قولهم ، لانه تعالى عالم باعمالهم قبل خلقهم ، واما قوله : **( فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ )** وقوله : **( فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ )** <sup>٦</sup> فهو

١ . الأعراف ( ٧ ) الآية ٦ .

٢ . القصص ( ٢٨ ) الآية ٧٨ .

٣ . الصفات ( ٣٧ ) الآية ٢٤ .

٤ . انظر التبيان ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ .

٥ . القصص ( ٢٨ ) الآية ٧٨ .

٦ . الحجر ( ١٥ ) الآية ٩٢ .

مسألة توبيخ وتقرير كقوله : ( **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ** )<sup>١</sup> وسؤاله للمرسلين ، ليس للتوبيخ ولالتقرير ، لكنه توبيخ للكفار ، وتقرير لهم أيضاً ، واما قوله : ( **فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ** )<sup>٢</sup> فمعناه سؤال تعاطي واستخبار عن الحال التي جعلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك ، وقوله ( **وَأَقْبَلِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ** )<sup>٣</sup> فهو سؤال توبيخ وتقرير وتلاوم ، كما قال : ( **فَأَقْبَلِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ** )<sup>٤</sup> .

وهكذا نجد الشيخ الطوسي يعطي الكلمة القرآنية حقها من التوضيح ، كما ويجل اي تناقض بدوي يتوهمه القارئ لهذه الآيات المباركة ، وقد يستعين مفسرنا ببعض الآيات القرآنية الكريمة ، ليفرق بين كلمتين متشابهتين في اللفظ ومتغايرتين في المعنى ، كما في كلمتي الريح والرياح ، فيورد الطوسي حديثا شريفا يوضح الفرق بينهما ، ثم يردف ذلك بعدد من النصوص القرآنية التي تفيد التمييز بين هذين اللفظين فيقول :

ان النبي<sup>٩</sup> كان يقول اذا هبت ريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا.

وهذا يوضح ان لفظ الرياح دلالة على السقيا والرحمة كقوله : ( **وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ** )<sup>٥</sup> .

وقوله : ( **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ** )<sup>٦</sup> .

وقوله : ( **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا فَيَنْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ** )<sup>٧</sup> وما جاء بخلاف

ذلك كقوله : ( **وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ** )<sup>٨</sup> وقوله : ( **وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكُوا**

**بِرِيحٍ صَرْصَرٍ** )<sup>٩</sup>

١. يس ( ٣٦ ) الآية ٥٩ .

٢. المؤمنون ( ٢٣ ) الآية ١٠١ .

٣. الصافات ( ٣٧ ) الآية ٢٧ .

٤. انظر التبيان ، ج ٤ ، ص ٣٥٠ والاية : القلم ( ٦٨ ) ٣٠ .

٥. الحجر ( ١٥ ) الآية ٢٢ .

٦. الروم ( ٣٠ ) الآية ٤٦ .

٧. الروم ( ٣٠ ) الآية ٤٨ .

٨. الذاريات ( ٥١ ) الآية ٤١ .

٩. الحاقة ( ٦٩ ) الآية ٦ .

وقوله : ( **بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** )<sup>١</sup> .

كما يستعين المفسر بايات القرآن الكريم لحل اشكال ، قد يرد في عدد من الآيات وتبدو وكأنها متناقضة او مختلفة النتائج ، ومن ذلك قوله في تفسيره للآية الكريمة ( **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنٍ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** )<sup>٢</sup> .

قال الطوسي :

فان قيل : قوله : ( **خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ** )<sup>٣</sup> ( **وَخَلَقَ الْجِبَالَ وَالْأَقْوَاتِ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ** )<sup>٤</sup> وخلق السماوات في يومين يكون ثمانية ايام ، ذلك مناف لقوله : ( **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ**

**السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** )<sup>٥</sup> .

قلنا : لاتناهي بين ذلك ، لانه خلق السماوات والارض ، وخلق الجبال والاشجار والاقوات في اربعة ايام ، منها اليومان المتقدمان ، كما يقول القائل : خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة ايام ، ثم إلى الكوفة في خمسة عشر يوما ، اي في تمام هذه العدة ، ويكون قوله :

( **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ** ) تمام ستة ايام ، وهو الذي ذكره في قوله : ( **فِي سِتَّةِ**

**أَيَّامٍ** ) وزال الاشكال<sup>٦</sup> .

وهكذا نجد الشيخ الطوسي يجمع الاشتات ، فيوحد بينها ، ويعطي السورة القرآنية وجهها الصحيح مزبلا لما يعلق في الذهن من لبس او اشكال ، وهو منهج سليم يفسر فيه الطوسي القرآن بالقرآن ، ويوضح معاني آياته بايات اخر.

مثل هذه التوضيح كان الطوسي ، قد بينه على قوله تعالى : ( **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ**

**قُلُوبُهُمْ**

١. انظر التبيان ، ج ٤ ، ص ٤٢٨ الاحقاف ( ٤٦ ) الآية : ٢٤ .

٢. فصلت ( ٤١ ) الآية ١٢ .

٣. فصلت ( ٤١ ) الآية ٩ .

٤. يشير إلى قوله تعالى : ( **وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسانين** ) فصلت ( ٤١ ) الآية ١٠ .

٥. الأعراف ( ٧ ) ، الآية ٥٤ ، يونس ( ١٠ ) ، الآية ٣ .

٦. انظر التبيان ، ج ٩ ، ص ١١٠ .

### بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) <sup>١</sup> . فقال :

ووصف الله تعالى . ها هنا . المؤمن بانه يطمئن قلبه إلى ذكر الله ، ووصفه في موضع آخر بانه اذا ذكر الله وجل قلبه <sup>٢</sup> ، لان المراد بالاول انه يذكر ثوابه وانعامه فيسكن إليه ، والثاني يذكر عقابه وانتقامه فيحافه ، ويجل قلبه <sup>٣</sup> .

وبذلك ابعد الشيخ الطوسي اي منافاة بين الايتين الكريمتين ، كما ويستعين الشيخ الطوسي بالقرآن الكريم في رده على اقوال المفسرين والفرق الاخرى كأهل الحشو ، حينما يوردون شبهة او وجها لا يرى فيه صوابا ، عندها يستشهد بايات من القرآن الكريم ، فيدحض كل ما اوردوه ومن ذلك قوله في (عَبَسَ وَتَوَلَّى) <sup>٤</sup> بعد مافسرهما البعض بان المراد به النبي <sup>٩</sup> يوم جاءه الاعمى عبد الله بن ام مكتوم ، فردهم الطوسي قائلا :

وهذا فاسد ، لان النبي <sup>٩</sup> قد اجل الله قدره عن هذه الصفات ، وكيف يصفه بالعبوس والتقطيب ، وقد وصفه بانه (لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) <sup>٥</sup> وقال : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفَقَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ) <sup>٦</sup> .

وكيف يعرض عن تقديم وصفه مع قوله تعالى (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) <sup>٧</sup> .

وهكذا يستشهد الطوسي بالقرآن لينفي شبهة ، او يدحض رايا فاسدا ، لان القرآن اقوى حجة يمتلكها مناظر او مجادل .

وقد يستدل الشيخ الطوسي بايات القرآن الكريم لاثبات حكم شرعى ، او موقف

١ . الرعد ( ١٣ ) الآية ٢٨ .

٢ . مشيرا إلى قوله تعالى : ( انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا

وعلى ربهم يتوكلون ) الانفال ( ٨ ) الآية ٢ .

٣ . انظر التبيان ، ج ٦ ، ص ٢٥٠ .

٤ . عبس ( ٨٠ ) الآية ١ .

٥ . القلم ( ٦٨ ) الآية ٤ .

٦ . آل عمران ( ٣ ) الآية ١٠٩ .

٧ . انظر التبيان ، ج ١٠ ، ص ٢٦٨ الأنعام ( ٦ ) الآية : ٥٢ .

اسلامي تشير إليه اية ما ، كما فعل مع قوله تعالى : ( **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** )<sup>١</sup> .

فقال :

وفي الآية دلالة على انه لا يجوز ملاطفة الكفار .

قال ابن عباس : نهي الله سبحانه المؤمنين ان يلاطفوا الكفار ، قال تعالى : ( **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا** )<sup>٢</sup> . وقال :

( **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** )<sup>٣</sup> وقوله تعالى : ( **فَلَا تَتَّعَدُ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** )<sup>٤</sup> . وقال : ( **وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** )<sup>٥</sup> . وقال تعالى : ( **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** )<sup>٦</sup> .

وقال تعالى : ( **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** )<sup>٧</sup> . وكل ذلك يدل على انه ينبغي ان يعاملوا بالغلظة والنفوة دون الملاطفة ، والملاينة الا ما وقع من النادر لعارض من الامر<sup>٨</sup> .

والطوسي هنا يسوق العديد من الآيات القرآنية الكريمة دون تعليق مفصل ، لان جملة الآيات تعطي تصورا واضحا عما يجب ان تكون عليه العلاقة بين المؤمنين والكفار ، وبهذا المنهج استطاع المفسر ان يوضح الكثير من المفاهيم ، ويحدد جملة من الأحكام الشرعية ، ومثل ذلك تجده يصنع في تفسيره لقوله تعالى : ( **وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ** )

١ . آل عمران ( ٣ ) الآية ٢٨ .

٢ . آل عمران ( ٣ ) الآية ١١٨ .

٣ . المجادلة ( ٥٨ ) الآية ٢٢ .

٤ . الأنعام ( ٦ ) الآية ٦٨ .

٥ . الأعراف ( ٧ ) الآية ١٩٨ .

٦ . التوبة ( ٩ ) الآية ٧٣ .

٧ . المائدة ( ٥ ) الآية ٥١ .

٨ . انظر التبيان ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤

## فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ )<sup>١</sup>.

فيقول :

قال : ( جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ ) قال ابو نجیح والسدي : معناه اذا قال اخراه الله متعديا قال له مثل ذلك

اخراه الله ، ويحتمل ان يكون المراد ماجعل الله لنا الا الاقتصاص منه من ( النَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ

بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا )<sup>٢</sup>.

فان للمجني عليه ان يفعل بالجاني مثل ذلك من غير زيادة وسمه سيئة للازدواج ، كما قال :

( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ )<sup>٣</sup>. وقال :

( فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ )<sup>٤</sup>.

وقد أكثر الشيخ الطوسي من الاستشهاد بالآيات القرآنية في تفسيره لآيات اخرى ومن

خلال قراءتنا لتفسير التبيان ، لم نجده يفوت فرصة الا ويستثمر بها آية قرآنية لشرح اخرى.

### اعتماده مبدا السياق والنظم في القرآن

استعان الشيخ الطوسي بنظم الآيات القرآنية والعلاقة القائمة بين الآيات السابقة

والآيات اللاحقة لاستجلاء الكثير من المعاني ، واستطاع من خلال عملية الربط بين الآيات

المتجاورة ضمن السياق القرآني ان يبرز مفهوما ما كان بمقدوره ان يوصل إلى ذهن القارئ بغير

عملية الربط هذه بين الآية وماسبقها من الآيات ، وهذا ما يؤكد اهتمام المفسر بمبدا السياق

باعتباره احد القرائن الحالية في فهم الكلام<sup>٥</sup>.

اذن لا بد للمفسر من ان يبحث عن كل مايكشف اللفظ الذي يؤيد فهمه من دوال

اخرى

١. الشورى ( ٤٢ ) الآية ٤٠.

٢. المائدة ( ٥ ) الآية ٤٠.

٣. النحل ( ١٦ ) الآية ١٢٦.

٤. انظر التبيان ، ج ٩ ، ص ١٦٧ ، البقرة ( ٢ ) الآية : ١٩٤.

٥. رمضان ، الطباطبائي ومنهجه في تفسير القرآن ، ص ١٦٣.

سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي يريد فهمه كلاما مترابطا او حاليا كالظرف والملايسات التي تحيط بالكلام ، وتكون ذات دلالة في الموضوع <sup>١</sup> .

وحيثما يغفل المفسر سياق الآيات القرآنية وطريقة الصياغة والنظم المسلسل الذي جاءت به تلك الآيات فمن الطبيعي ان يقع في مطبات ضخمة اثناء تفسيره للنصوص القرآنية ، وكما حصل للمجبرة حين اقتطعوا نصا قرآنيا وفسروه بعيدا عن مبدا الاخذ بالسياق فقالوا في تفسير قوله تعالى ( **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ) <sup>٢</sup> : ان ذلك يدل على ان الله خالق لافعالنا <sup>٣</sup> .

في حين ان الملاحظ في السياق انها جاءت حكاية لقول إبراهيم مع قومه واستنكاره لعبادتهم الاصنام والتي هي اجسام ، والله تعالى هو المحدث لها <sup>٤</sup> .

وكذلك الحال في قوله تعالى : ( **ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ) <sup>٥</sup> .

اذ كانت تدل بسياقها على انه الدليل الحقيق <sup>٦</sup> .

من هنا فان ملاحظة السياق والتناسب والترابط بين الفصول والمجموعات القرآنية ضرورة ومفيدة جدا في فهم مدى القرآن ومواضيعه واهدافه <sup>٧</sup> .

ولذلك فان الشيخ الطوسي يستعين بنظم الآيات القرآنية واسلوب صياغتها لتعيين بعض المعاني والكشف عن المقاصد والنكات القرآنية او دعم ما يتبناه من رأي تفسيري ، وقد احتوى التبيان على شواهد عديدة كان يؤكد فيها المفسر على العلاقة القائمة بين الآيات ويستخرج منها معنى او مفهوما فقال :

١. الصدر ، دروس في علم الاصول ، الحلقة الاولى ، ص ١٣٠ .

٢. الصافات ( ٣٧ ) الآية ٩٦ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٤٧٠ .

٤. نفس المصدر .

٥. الدخان ( ٤٤ ) الآية ٤٩ .

٦. عبدالرحمن الملك ، اصول التفسير ، ص ٧١ .

٧. دروزه ، القرآن المجيد ، ص ٢٠٤ .

ان وجه اتصال قوله تعالى : ( **وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا** ) بما قبله انه لما قال : ( **بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي مَن**

**يَشَاءُ** )<sup>١</sup> نفى عن نفسه الظلم لئلا يظن ان الامر بخلافه<sup>٢</sup>.

وقال أيضاً : عند ما قرا ( **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ**

**حَفِيظًا** )<sup>٣</sup>.

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ، انه لما ذكر الحسنة التي هي نعمة من الله ، بيّن ان منها إرسال نبي الله ، ثم بيّن ان منها طاعة الرسول التي هي طاعة الله فهي في ذكر نعم الله مجملة ومفصلة ، وفيها تسليّة للنبي<sup>٩</sup> في تولي الناس عنه وعن الحق الذي جاء به مع تضمنها تعظيم شأنه تكون طاعته طاعة الله<sup>٤</sup>.

وذكر الطوسي بعد قراءته للآية الكريمة :

( **وَإِذْ أَخْبَرْنَا نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ**

**قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّٰهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** )<sup>٥</sup>

ان وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى اراد ان يبين ان حال اليهود في الظلم ونقض العهد وارتكاب الفواحش من الامور كحال ابن ادم قايل في قتله اخاه هابيل ، وما عاد عليه من الوبال بتعديه ، فامر نبيه ان يتلو عليهم اخبارهما ، وفيه تسليّة للنبي<sup>٩</sup> لما ناله من جهلهم بالتكذيب في جحوده وتبكيته اليهود<sup>٦</sup>.

وعندما قرا قوله تعالى :

( **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ** )<sup>٧</sup>

قال :

١. النساء ( ٤ ) الآية ٤٩ .

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ .

٣. النساء ( ٤ ) الآية ٨٠ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٢٦٨ .

٥. المائدة ( ٥ ) الآية ٢٧ .

٦. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٤٩١ .

٧. الأعراف ( ٧ ) الآية ٩٦ .

هذا عطف على الآية الاولى ، فكأنه قال : قل : وليي الله القادر على نصرتي عليكم وعلى من اراد بي ضرا ، والذين تتخذوهم انتم الهة لا يقدرون على ان ينصرونكم ولا ان يدفعوا عنكم ضررا ، ولا يقدرون ان ينصروا انفسهم أيضاً لو ان انسانا اراد بهم سوء من كسر او غيره .  
 وانما كرر هذا المعنى ، لانه ذكره في الآية التي قبلها على وجه التقرير ، وذكره هاهنا على وجه الفرق بين صفة من تجوز له العبادة ممن لا تجوز ، كانه قال :  
 ان ناصرِي الله ولا ناصر لكم ممن تعبدون<sup>١</sup> .

وقال أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى :

**(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ**

**عَلِيمٌ)**<sup>٢</sup> قال :

قال مجاهد : وجه اتصال هذه الآية بما قبلها هو انه لما حرم الله تعالى على المؤمنين الاستغفار للمشركين بين انه لم يكن الله ليؤاخذكم الا بعد ان يدلکم على تحريمه وانه يجب عليكم ان تتقوه<sup>٣</sup>

وعند ذكره لقوله تعالى :

**(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي**

**جَنَّاتٍ النَّعِيمِ)**<sup>٤</sup>

قال :

لما ذكر الله تعالى الكفار وما يستحقونه من المصير إلى النار في الآيات الاول ذكر في هذه **(إِنَّ الَّذِينَ**

**آمَنُوا)** يعني صدقوا بالله ورسوله ، واعترفوا بهما ، و اضافوا إلى ذلك الاعمال الصالحات ، **( يَهْدِيهِمْ**

الله تعالى جزاء بما عملوا إلى الجنة **(تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي**

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٦١ .

٢ . التوبة ( ٩ ) الآية ١١٦ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٣١١ .

٤ . يونس ( ١٠ ) الآية ٩ .

**جَنَاتِ النَّعِيمِ** يعني البساتين التي تجري تحت اشجارها الانهار التي فيها النعيم<sup>١</sup>.

وعند تفسيره لقوله تعالى :

**(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)**

قال الطوسي<sup>٢</sup> :

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما بين عظيم اياته بما في مقدوراته مما لا يقدر عليه سواه ، دل على

انه ينبغي ان تكون الرغبة في ماعنده وعند اوليائه من المؤمنين دون اعدائه الكافرين ، فنهى عن اتخاذهم

اولياء دون أهل التقوى الذين سلكوا طريق الهدى<sup>٣</sup>.

وفي ذكره لقوله تعالى : **(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)**

٤ .

قال :

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجه اتصال الدليل بالمدلول عليه ، لانه لما قال :

**(وما الله يريد ظلما)** وصله بذكر غناه عن الظلم ، اذ الغني عنه العالم بقبحة ، ومعناه لا يجوز

وقوعه منه<sup>٥</sup>.

### التفسير بالسنة

تعني السنة عند الإمامية الاثني عشرية قول المعصوم وفعله وتقريره ، ولا فرق بين ان يكون

المعصوم النبي<sup>٩</sup> او الائمة الاثني عشر<sup>٦</sup>.

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ .

٢ . آل عمران ( ٣ ) الآية ٢٨ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ .

٤ . آل عمران ( ٣ ) الآية ١٠٩ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ .

٦ . الحكيم ، الاصول العامة للفقهاء المقارن ، ط ١ ، ص ١٤٧ ، وما بعدها بيروت .

والعصمة عند الإمامية تشمل النبي والائمة الاثني عشر ، حيث قالوا :

ان الامام كالنبي ، يجب ان يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش مظهر منها وما يطن ، كما يجب ان يكون معصوما من الخطا والسهو والنسيان ، لان الائمة حفظة الشرع والقوامون عليه ، حالهم في ذلك حال النبي ، والدليل الذي اقتضانا ان نعتقد بعصمة الانبياء هو نفسه يقتضينا ان نعتقد بعصمة الائمة<sup>١</sup> .

وقد حظي الائمة من أهل البيت على هذه المنزلة باعتبارهم احد الثقلين اللذين تركهما رسول الله ﷺ في الامة ، وامر باتباعهما حينما قال ٩ :

« يا ايها الناس اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي »<sup>٢</sup>.

وقد استدلل الشيخ الطوسي بهذا الحديث في كون العترة حجة كما ان الكتاب حجة<sup>٣</sup> لياخذ برواياتهم بعد ثبوت صحة نسبتها اليهم : شانته في ذلك شان سائر العلماء الإمامية في اخذهم عن الائمة : والذين قيدوا ما يروى عنهم : بموافقتهم للكتاب عطفاً على الحديث النبوي الشريف اذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فاقبلوه ، وما خالفه فاضربوه به عرض الحائط كما وانه قد روي مثل هذا الحديث عن ائمتنا :<sup>٤</sup> .

وقد حدد الشيخ الطوسي اسس منهجه الاثري في التفسير ، وفقاً لما كان يراه من ان معاني القرآن على اربعة اقسام :

احدها : ما اختص الله تعالى بالعلم به فلا يجوز لاحد تكلف القول فيه ولا تعاطي معرفته وذلك مثل قوله

تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا

لَوْ قُتِلَتْهَا

١ . المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٦٧ .

٢ . انظر سنن الترمذي ، ابواب المناقب ، مناقب أهل البيت ، والمراجعات للسيد عبدالحسين شرف الدين ، ط ١٩ ، ص ١٤ . ١٥ ، القاهرة .

٣ . انظر التبيين ، ج ١ ، ص ٥ .

٤ . نفس المصدر .

**إِلَّا هُوَ** <sup>١</sup> ومثل قوله تعالى : **(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ)** <sup>٢</sup>.

وفي مثل هذا القسم لا يميز الشيخ الطوسي لاحد ان يقول فيه شيئا حيث يؤكد ذلك بقوله : فتعاطي معرفة ما اختص الله تعالى به خطأ.

وثانيها : ما كان ظاهره مطابقا لمعناه فكل من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناه ، مثل قوله تعالى :

**(وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)** <sup>٣</sup>.

ومثل قوله تعالى :

**(فُلٌ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)** <sup>٤</sup> وغير ذلك.

وثالثها : ما هو مجمل لا يبيئ ظاهره عن المراد به مفسلا ، مثل قوله تعالى :

**(أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)** <sup>٥</sup>.

وقوله : **(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)** <sup>٦</sup> وقوله : **(وَآتُوا حَقَّهُ**

**يَوْمَ حَصَادِهِ)** <sup>٧</sup> وقوله : **(فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ)** <sup>٨</sup> وما شبه ذلك.

فان تفصيل اعداد الصلاة وعدد ركعاتها ، وتفصيل مناسك الحج وشروطه ومقاديرالنصاب في الزكاة ، لا يمكن استخراجها الا ببيان النبي <sup>٩</sup> ووحى من جهة الله تعالى ، ولهذا أكد الطوسي منع القول فيه بقوله : فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع منه ويمكن ان تكون الاخبار متناولة له.

١. الأعراف ( ٧ ) ، الآية ١٨٧.

٢. لقمان ( ٣١ ) ، الآية ٣٤.

٣. الأنعام ( ٦ ) ، الآية ١٥١.

٤. التوحيد ( ١١٢ ) الآية ١.

٥. البقرة ( ٢ ) الآيات ٤٣ و ٨٣ ، النساء ( ٤ ) الآية ٧٦ ، الحج ( ٢٢ ) الآية ٧٨ ، النور ( ٢٤ ) الآية ٥٦ ؛

المجادلة ( ٥٨ ) الآية ١٣ ؛ المزمل ( ٧٣ ) الآية ٢٠.

٦. آل عمران ( ٣ ) الآية ٩٧.

٧. الأنعام ( ٦ ) الآية ١٤١.

٨. المعارج ( ٧٠ ) الآية ٢٤.

ورابعها : ماكان اللفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عنهما ، ويمكن ان يكون كل واحد منهما مراداً ، فانه لاينبغي ان يقدم احد به فيقول :  
ان مراد الله فيه بعض مايحتمل الا بقول نبي او امام معصوم ، بل ينبغي ان يقول :  
ان الظاهر يحتمل لامور ، وكل واحد يجوز ان يكون مراداً على التفصيل .  
ومتى كان اللفظ مشتركاً بين شيئين ، او مازاد عليهما ، ودل الدليل على انه لايجوز ان يريد الا وجهها واحداً ، جاز ان يقال : انه هو المراد<sup>١</sup> .

لذا يذكر الشيخ الطوسي ان مثل هذا التقسيم يُبرز لنا قبول الاخبار ، ولم نردها على وجه يوحش نقلتها والمتمسكين بها<sup>٢</sup> .

ثم يضع مفسرنا شروطه لقبول الاخبار والتي هي : الاجماع او النقل المتواتر عمن يجب اتباع قوله ، ولا يقبل في ذلك خبر واحد<sup>٣</sup> .

... ثم قال :

واما طريقة الاحاد من الاخبار الشاردة والالفاظ النادرة فانه لايقطع بذلك ، ولايحمل شاهداً على كتاب الله ، وينبغي ان يتوقف فيه ، ويذكر مايحتمله ، ولايقطع على المراد فيه بعينه ، بانه متى قطع بالمراد كان مخطئاً ، وان اصاب الحق كما روي عن النبي<sup>٩</sup> ، لانه قال تخميناً وحدها ، ولم يصدر ذلك عن حجة قاطعة وذلك باطل بالاتفاق<sup>٤</sup> .

ويبدو ان المفسر كان متشدداً في قبول الرواية ، لذلك اشترط ان يكون الحديث متواتراً اي ما بلغت رواته في الكثرة مبلغاً احوالت العادة تواطؤهم على الكذب واستمر ذلك الوصف في جميع الطبقات ، حيث تتعدد فيكون اوله كاخره ووسطه كطرفيه ، وهو يقيد العلم ويجب

١ . انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٥٠٦ .

٢ . انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٦٠٦ .

٣ . نفس المصدر .

٤ . عدة الاصول ، المقدمة .

العمل به <sup>١</sup>.

كما بين موقفه من اخبار الاحاد الشاردة ، وينبغي ان نشير هنا إلى ان الشيخ الطوسي يذهب إلى ان خبر الاحاد لا يوجب العلم غير انه حجة يجب العمل به وفق شروط محدودة ، لوجود ادلة قطعية على ذلك.

وقد ذهبت الحنفية والشافعية وجمهور المالكية إلى وجوب العمل به وفق جملة من الشروط ، فيشترط في الراوي لصحة التحمل والتميز والضبط ، كما يشترط فيه لصحة الاداء البلوغ والإسلام والعدالة والضبط ، واما بالنسبة إلى لفظ الخبر ، فيشترط فيه الا يحذف الراوي منه ما يتوقف تمام المعنى عليه ، ويشترط في معناه الا يعارضه ما هو اقوى منه ، واشترط الكرخي وبعض الحنفية الا يكون موضوع الحديث مما تعم به البلوى ، اذا لو كان كذلك لذاع واشتهر فعدم ذبوعه حينئذ يورثه شكاً.

وقيل :

ان خبر الواحد العدل يوجب العلم ، لانه يوجب العمل بالدليل ، ولاعمل الا عن علم ، وهو مذهب داود الظاهري ، وحكي عن مالك ، وروي عن احمد ، واختاره ابن حزم ، واطال الاحتجاج له ، وقال الخوارج والمعتزلة : انه لا يوجب العمل ، لانه لا يوجب العلم ، ولاعمل الا عن علم <sup>٢</sup>.

والذي عليه الإمامية هو الاخذ بحجية خبر الواحد في الأحكام العملية فقط <sup>٣</sup> وهذا ما أكدده أيضاً السيد الطباطبائي صاحب الميزان بقوله :

واما الشيعة ، فالذي ثبت عندهم في علم اصول الفقه حجية خبر الواحد الموثوق

---

١ . الشهيد العاملي ، الدراية في علم مصطلح الحديث ، ص ١٢ .

٢ . زكي الدين شعبان ، اصول الفقه ، ط ٢ ، ص ١٤٧ وما بعدها ، محمد ابو زهرة ، اصول الفقه ، ص ١٠٣ وما بعدها ، علي حسب الله ، اصول التشريع الإسلامي ، ص ٤٣ .

٣ . الخوئي ، البيان في تفسير القرآن ، ص ٣٩٩ . ٤٠٠ .

الصدر في الأحكام الشرعية ولا يعتبر في غيرها<sup>١</sup>.

وقد تضمن التبيان عددا لا بأس به من الاحاديث والروايات والاختبار عن النبي<sup>٩</sup> والائمة من أهل البيت ليستعين بها المفسر في شرحه لاية ، او توضيحه لمفهوم او طرحه لراي ، وهنا نورد بعضا من تلك الاحاديث والاختبار التي اعتمدها الطوسي في تفسيره ، فمثلا اورد ،  
ثلاثة اقوال في معنى العفو وهي :

قال ابن عباس ، وقتادة : هو ما فضل عن الغنى.

وقال الحسن وعطاء : هو الوسط من غير اسراف ولا اقتار.

وقال مجاهد : هو الصدقة المفروضة.

ثم ذكر مفسرنا ما روي عن الائمة من أهل البيت : لتفسير معنى العفو فقال :

وروي عن ابي جعفر<sup>٧</sup> ان العفو مفضل عن قوت السنة. فسخ ذلك بآية الزكاة.

وروي عن ابي عبد الله<sup>٧</sup> ان العفو ها هنا : الوسط<sup>٢</sup>.

وهكذا يستعين المفسر بروايات عن الائمة سلام الله عليهم لشرح معنى او تأكيد قول من الاقوال التي اوردها المفسرون بهذا الشأن.

مثال اخر :

وقال عند تفسيره لكلمة الاعسار الذي تضمنته الآية الكريمة :

**(وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)<sup>٣</sup>**

وروي عن ابي عبد الله<sup>٧</sup> هو . اي الاعسار . اذا لم يقدر على ما يفضل من قوته وقوت

عياله على الاقتصاد<sup>٤</sup>

وقد نقل قول الجبائي في بيان معناه ، فقال :

١ . الطباطبائي ، القرآن في الإسلام ، ص ٧٤.

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٢١٤.

٣ . البقرة ( ٢ ) الآية ٢٨٠.

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٦٩.

« قال الجبائي التعذر بالاعدام او بكساد المتاع وغيره »<sup>١</sup>.

وهذا يعكس لنا ما يتحلى به الشيخ الطوسي من سعة افق واستفادة مما عند الاخرين وان اختلفوا معه في الراي والمعتقد وهو ما اعطى تفسير التبيان ميزة اضافية فضلا عما فيه من المزايا والمواصفات.

ومثل هذا المنهج تجده في مكان اخر من التبيان حيث يستعين المفسر في شرح معنى السحت بروايات متعددة ، واحدة عن النبي ٩ ، وثانية عن الامام علي ٧.

كما يورد أيضاً تفسيراً عن ابي هريرة وعبد الله بن عمر ، ويبقى الطوسي مع الكلمة ، ليوفيقها حقها من التوضيح والبيان ، اذ لا بد للمفسر . بحكم منهجيته ذات الطابع الاستقصائي - ان يذكر الروايات والآراء المتعلقة بالايضاح ، ليضع القارئ امام جملة من المعاني خالية من المتناقضات والاختلافات ، لذلك لا يرى الشيخ المفسر ضييراً من الجمع بين الروايات في تفسيره ثم يعرض ماتوصل إليه من معنى اجمالي لكلمة ( السحت ) حيث قال :

وقوله : **(أَكْأَلُونَ لِلْسُّحْتِ)**<sup>٢</sup> معناه انه يكثر اكلهم للسحت وهو الحرام ، ثم

يسرد الروايات التي اعتمدها فيقول :

وروي عن النبي ٩ انه قال : السحت الرشوة في الحكم ، وروي عن علي ٧ انه قال : السحت الرشوة في الحكم ، ومهر البغي ، وعمسب الفحل ، وكسب الحمام ، وثن الكلب ، وثن الخمر ، وثن الميتة ، وحلوان الكاهن ، والاستعجال في المعصية.

وروي عن ابي هريرة مثله.

وقال مسروق :

سالت عبد الله عن الجور في الحكم قال :

ذلك كفر ، وعن السحت ، فقال الرجل يقضي لغيره الحاجة فيهدي له الهدية<sup>٣</sup>

وعند تفسيره لكلمة ( انحر ) في قوله تعالى :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٦٩.

٢. المائدة ( ٥ ) الآية ٤٢.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٥٢٣.

### (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ) ١

قال معنى : (وَأَنْحَرْ) ٢ انحز البدن متقرباً إلى الله لنحرها خلافاً لمن نحرها للاوثان وقيل : استقبل القبلة بنحرك.

ثم يروي المفسر ما يستعين بها على توضيح المعنى فيقول :

وروي عن علي ٧ ، ان معناه ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر . وهذه الرواية غير صحيحة . والمروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ٨ ، ان معناه وانحر البدن والاضاحي ٣ .

وهكذا نجد الشيخ الطوسي يقف ناقداً للرواية التي رويت عن علي ٧ ، ويصفها بأنها غير صحيحة ، لشكها في صحة سندها ، مما يؤكد تحريمه للحقيقة ورفضه لكل ما لا يتفق والمنهج الموضوعي الذي تبناه في تفسيره .

ويبدو ان الشيخ الطوسي كان يعطي لمتن الرواية أكبر الأهمية في فحص ما يروى عن النبي والأئمة : وسائر الصحابة ، ولن يجعل من روايات النبي ٩ والأئمة شاهداً على التفسير الا بعد ثبوت صحتها وذلك فقد كان متقيداً بالمبدأ القائل بضرورة عرض الاخبار على الكتاب فما وافقه يؤخذ به وما خالفه فهو زخرف ومطروح ٤ .

ولذلك لم يتحرج الشيخ الطوسي في رفضه لما روي عن علي ٧ في معنى قوله تعالى :

### (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ) .

مثال اخر :

عند تفسيره لقوله تعالى :

### (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) ٥ .

يذكر الشيخ الطوسي اراء المفسرين المختلفة في معنى الانفال فيقول :

١ . الكوثر ( ١٠٨ ) الآية ٢ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٤١٨ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٤١٨ .

٤ . الطباطبائي ، القرآن في الإسلام ، ص ٦٧ .

٥ . الانفال ( ٨ ) الآية ١ .

اختلف المفسرون في معنى الانفال . ها هنا . فقال بعضهم :  
هي الغنائم التي غنمها النبي ٩ يوم بدر فسأله لمن هي؟ وقال قوم :  
وهو ماشد من المشركين إلى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما اشبه ذلك .  
وعن ابن عباس : انه ماسقط من المتاع بعد قسمة الغنائم <sup>١</sup> .

وهكذا يورد الشيخ المفسر اقوال وازاء جملة من المفسرين ، ثم يذكر الطوسي رواية عن  
الباقر والصادق <sup>٨</sup> فيقول :

وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله <sup>٨</sup> ، ان الانفال كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال اذا انجلى عنها  
اهلها <sup>٢</sup> ويسميه الفقهاء فينا ، وميراث من لاوارث له ، وقطائع الملوك اذا كانت بايديهم من غير غصب ،  
والاجام وبطون الاودية ، والموات <sup>٣</sup> .

ثم يعقب الطوسي بعد ذلك بعبارة وغير ذلك مما ذكرناه في كتب الفقه عملا برواية  
الامامين ابي جعفر وابي عبد الله <sup>٨</sup> وبهذا نجد الشيخ الطوسي حينما يطمئن للرواية يعتمدها في  
استنباط الحكم الشرعي ، فضلا عن كونها تفسيراً ، لماورد في القرآن الكريم من الفاظ خاصة ،  
وان مفسرنا فقيهه مجتهد <sup>٤</sup> .

### اعتماده للاحاديث في بيان الاحكام

استفاد الشيخ الطوسي من الاحاديث والاحبار التي تروى عن النبي ٩ او عن احد  
الائمة من أهل البيت : في بيان العديد من الأحكام الشرعية ، حيث كانت تلك الاحاديث  
والاحبار تؤدي غرضاً غاية في الاهمية عندما ياتي لبيان ما اجمل من آيات الأحكام ، او  
لتوضيح مقاصدها ومعانيها ، وهنا نورد بعض الامثلة التي تدلل على استخدام الطوسي

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٧١ .

٢ . نفس المصدر ، ص ٧٢ .

٣ . نفس المصدر .

٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ص ٩٧ ، الاتابكي ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٨٢ .

للاحاديث والروايات في فهم آيات الأحكام منها :

١. اعتمد المفسر رواية عن النبي ٩ لبيان حلية المتعة ، فقال :

وذكر البلخي عن وكيع عن اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن ابي حازم ، عن عبد الله بن مسعود : قال كنا مع النبي ٩ ونحن شباب ، فقلنا : يا رسول الله الا نستخصي ، قال : لا ، ثم رخص لنا ان ننكح المرأة بالثوب إلى اجل<sup>١</sup> .

وقد اورد الشيخ الطوسي هذه الرواية في معرض دفاعه عن المتعة عندما فسر قوله تعالى :  
( **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً** )<sup>٢</sup> .

٢. اعتمد الطوسي مارواه المثني عن النبي ٩ في بيان الرخصة باكل المحرم من الطعام حال الخوف على النفس ، فقال :

روى المثني قال : قلنا : يا رسول الله انا بارض يصيبنا فيها مخمصة ، فما يصلح لنا من الميتة؟

قال ٩ : اذا لم تصطحبوا او تعقبوا او تختفوا بها بقلا ،<sup>٣</sup> فشانكم بها<sup>٤</sup> .

وكان الشيخ الطوسي قد اورد هذه الرواية عن النبي ٩ ، واستند اليها في بيان حلية اكل الميتة عند الاضطرار ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :

( **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ** ) ... إلى قوله ( **فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** )<sup>٥</sup> .

٣. استفاد الشيخ الطوسي من حديث النبي ٩ الذي قاله عند نزول قوله تعالى ( **فَسَبَّحْ** )

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ١٦٧

٢. النساء ( ٤ ) الآية ٢٤ .

٣. تختفوا : اي تاكلوا ( الخفا ) وهو اصل البردي حيث كان يقشرونه وياكلونه عند الجماعة .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٤٣٨ .

٥. المائدة ( ٥ ) الآية ٣ .

**بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** <sup>١</sup> في تفسيره للآية الكريمة ، فقال :

وقوله : **(فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)** امر من الله تعالى لنبيه ان ينزه الله تعالى عما لا يليق به ، ويذكره باسمه العظيم ، وقيل : انه لما نزلت هذه الآية قال النبي <sup>٩</sup> ضعوها في ركوعكم وقولوا سبحان ربي العظيم <sup>٢</sup> .

٤ . اعتمد الروايات عن الائمة من أهل البيت في معرفة الحكم الشرعي الذي ورد في آيات الكتاب المجيد ، كما هو الحال مع رواية عن علي <sup>٧</sup> بخصوص حكم المحصن فقال الطوسي :

عند تفسيره لقوله تعالى :

**(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ)**

<sup>٣</sup> « روي عن علي <sup>٧</sup> : ان المحصن يجلد مائة مرة بالقرآن ، ثم يرحم بالسنة ، وانه امر بذلك .»  
كما واعتمد رواية عن الامام ابي جعفر الباقر <sup>٧</sup> في مسالة الزواج من الزانية فقال :  
عند تفسيره لقوله تعالى : **(الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ )** <sup>٤</sup> فقال الطوسي :

وعن ابي جعفر <sup>٧</sup> : ان الآية نزلت في اصحاب الرايات ، فاما غيرهن فانه يجوز ان يتزوجها ، وان كان الافضل غيرها ، ويمنعها من الفجور <sup>٥</sup> .

### اعتماده الاحاديث والاعبار في معرفة اسباب النزول

عول الشيخ الطوسي كثيرا على الروايات والاعبار لمعرفة اسباب نزول الآيات

١ . الواقعة ( ٥٦ ) الآية ٩٦ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٥١٣ . ٥١٤ .

٣ . النور ( ٢٤ ) الآية ٢ .

٤ . النور ( ٢٤ ) الآية ٣ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ٣٦١ .

القرآنية الكريمة ، ولذلك كان يعتمد الروايات التي تروى عن النبي ٩ او الائمة : والصحابة رضوان الله عليهم في هذا الخصوص ، وقد أكثر الشيخ المفسر من تلك الروايات في هذا الصدد واعتمدها اساسا في معرفة اسباب النزول وهنا نذكر بعض الامثلة التي اوردها في تفسيره :

فهو عندما ذكر قوله تعالى :

**(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ١ قال :**

ذكر ابن عباس ان هذه الآية نزلت في علي بن ابي طالب ٧ كانت معه اربعة دراهم ، فانفقها على هذه الصفة بالليل والنهار وفي السر والعلانية ، وهو المروي عن ابي جعفر وأبي عبد الله ٨ .

وعند تفسيره للآية الكريمة : **(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) ٣ .**

استند في معرفة سبب نزولها على

ماروي عن ابي عبد الله ٧ من انها نزلت في الحارث بن سويد الصامت ، وكان قد ارتد بعد قتله المخدر بن ديار البلوي غدرا في الإسلام وهرب ، ثم ندم فكتب قومه : سلوا رسول الله ٩ هل لي توبة؟ فنزلت الآيات إلى قوله **(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) ٤** فرجع واسلم .

ومثل ذلك ماروي عن ابي عبد الله ٧ واعتمده المفسر في معرفة سبب نزول قوله تعالى :

**(كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا**

١. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٧٤ .

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .

٣. آل عمران ( ٣ ) الآية ٨٣ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٥١٩ .

## يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) <sup>١</sup>.

فقال الطوسي :

نزلت هذه الآية في أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي <sup>٩</sup> قبل مبعثه بما يجدونه في كتبهم من صفاته ودلائله ، فلما بعثه الله جحدوا ذلك وانكروه ... وقال مجاهد والسدي : نزلت في رجل من الانصار يقال له : الحارث بن سويد ارتد عن الإسلام ، ثم تاب وحسن اسلامه ، فقبل الله اسلامه .

ثم ذكر الشيخ الطوسي عبارة وكذلك رويناها عن ابي عبد الله <sup>٧</sup> <sup>٢</sup>.

وعند تفسيره لقوله تعالى :

(أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) <sup>٣</sup>

قال الطوسي :

وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله <sup>٨</sup> ان الآية نزلت في امير المؤمنين والعباس .

وروى الطبري باسناده عن ابن عباس : انما نزلت في العباس حين قال يوم بدر :

ان سبقتونا إلى الإسلام والمهجرة لم تسبقونا إلى سقاية الحاج وسدنة البيت ، فانزل الله الاية .

وروى الطبري باسناده عن الحسن : انما نزلت في علي والعباس وعثمان وشيبة ، وقال الشعبي :

نزلت في علي والعباس ، وبه قال ابن وهب والسدي <sup>٤</sup>.

وهكذا نجد مفسرنا يتبع كل الروايات التي قيلت حول سبب نزول الآية مستفيدا من كل

أثر يسهم في استبيان الواقع واستجلاء الحقيقة صارفا نظره عن كل ما هو شاذ من الاراء

١ . آل عمران ( ٣ ) الآية ٨٦ .

٢ . انظر التبيان ، ج ٢ ، ص ٥٢١ .

٣ . التوبة ( ٩ ) الآية ١٩ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ١٩٠ .

والاقوال ، فلايكاد يذكر منه شيئاً في معرض حديثه عن اسباب النزول.

### اعتماده الحديث والاحبار في تفسيره للآيات القرآنية

حوى التبيان عدداً كبيراً من الاحاديث والاحبار التي رويت عن النبي الاكرم ٩ والائمة من أهل بيته : ، وقد اعتمدها الشيخ الطوسي عند تفسيره للآيات القرآنية ، واعطاها اهتماماً خاصاً ، سيما وان تلك الاحاديث والاحبار قد جاءت بصدد توضيح آيات الكتاب العزيز ، وتفسير معانيه وبيان مقاصده ومرامييه ، وقد انزل الشيخ الطوسي . شانه شان سائر الامامية . الاخبار التي رويت عن الائمة : منزلة الاحاديث المروية عن النبي الاكرم ٩ ، حيث أكد هذا المعنى في مقدمة تفسيره فقال :

واعلم ان الرواية ظاهرة في اخبار اصحابنا بان تفسير القرآن لا يجوز الا بالآثر الصحيح عن النبي ٩ وعن الائمة : الذين قولهم حجة كقول النبي ٩ .<sup>١</sup>

ولذلك أكثر الشيخ الطوسي من الاحاديث والاحبار المروية عن النبي ٩ واهل بيته : ليستعين بها في فهم المعنى لآيات القرآن الكريم ، وسنعرض لبعض ما اوردته . في تفسيره :

فقال :

وقوله : **(أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)** <sup>٢</sup> قيل في معناه قولان :

احدهما : قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن : ان الله تعالى انزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ، ثم انزل على النبي ٩ بعد ذلك نجوماً ، وهو المروي عن ابي عبد الله ٧ .<sup>٣</sup>

وعند تفسيره لقوله تعالى :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٤ .

٢. البقرة ( ٢ ) الآية ١٨٥ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ١٢١ . ١٢٢ .

(ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) <sup>١</sup>

قال :

قيل في معنى هذه الآية قولان :

احدهما . قال ابن عباس وعائشة وعطاء ومجاهد والحسن وقتادة والسدي والربيع ، وهو المروي عن ابي جعفر <sup>٧</sup> : انه امر لقريش وحلفائهم ، لانهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة ، ولا يفيضون منها ، ويقولون : نحن أهل حرم الله لانخرج عنه ، فكانوا يقفون بجمع ، ويفيضون منه دون عرفة ، فامرهم الله تعالى ان يفيضوا من عرفة بعد الوقوف بها <sup>٢</sup> .

وعند تفسيره للآية الكريمة :

(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) <sup>٣</sup>

قال الطوسي :

الظلم المذكور في الآية هو الشرك عند اكثر المفسرين ثم اكد هذا المعنى بذكره رواية عن

عبد الله بن مسعود انه قال :

لما نزلت هذه الآية شق على الناس ، وقالوا :

يا رسول الله وانا لا يظلم نفسه ، فقال : انه ليس الذي تعنون ، لم تسمعوا إلى ما قاله العبد الصالح <sup>٤</sup> (بَا

بُنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) <sup>٥</sup> .

وفي معنى (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ) <sup>٦</sup> قال الطوسي :

روي عن ابي جعفر <sup>٧</sup> في معنى قوله : (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) ان الشياطين يلتقى بعضهم بعضا

، فيلقى إليه ما يغوي به الخلق ، حتى يتعلم بعضهم من بعض <sup>٧</sup> .

١ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٩٩ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

٣ . الأنعام ( ٦ ) الآية ٨٢ .

٤ . انظر التبيان ، ج ٤ ، ص ١٩٠ ، ( والعبد الصالح هو لقمان ) .

٥ . لقمان ( ٣١ ) الآية ١٣ .

٦ . الأنعام ( ٦ ) الآية ١١٢ .

٧ . انظر التبيان ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ .

وفي معنى قوله تعالى :

**(وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) ١**

قال الطوسي :

روي انه قيل لرسول الله ٩ : ماغيثهم اسرار الندامة ، وهم في النار؟

قال : يكرهون شماتة الاعداء .

وروي مثله عن ابي عبد الله ٧ ٢ .

و عند تفسيره للآية الكريمة :

**(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ٣**

قال الشيخ الطوسي :

روي عن الحسين ٧ : انهم الذين ادوا فرائض الله واخذوا بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله ، وزهدوا

في عاجل الدنيا ورغبوا فيما عند الله ، واكتسبوا الطيب من رزق الله لمعايشهم ، لا يريدون به التفاخر

والتكاثر ، ثم انفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة ، فاولئك الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا ، ويثابون

على ماقدموا منه لآخرتهم ٤ .

وفي معنى قوله تعالى : **(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ٥**

قال الطوسي :

روي عن النبي ٩ في قوله **(وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ)** ان جبرئيل قال له : معناه تصل من قطعك وتعطي من

حرمك وتعفو عمن ظلمك ٦ .

وفي معنى قوله تعالى : **(إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) ٧** .

١. يونس ( ١٠ ) الآية ٥٤ .

٢. انظر التبيان ، ج ٥ ، ص ٣٩٣ .

٣. يونس ، ( ١٠ ) الآية : ٦٢ .

٤. انظر التبيان ، ج ٥ ، ص ٤٠١ . ٤٠٢ .

٥. الأعراف ( ٧ ) الآية ١٩٩ .

٦. انظر التبيان ، ج ٥ ، ص ٦٣ .

٧. الرعد ( ١٣ ) الآية ٧ .

### قال المفسر :

وماروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ٨ ان الهادي هو امام كل عصر معصوم يؤمن عليه الغلط وتعمد الباطل.

وروى الطبري باسناده عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : لما نزلت **(إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)** وضع رسول الله ٩ يده على صدره وقال :

انا المنذر **(وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)** واوما بيده إلى منكب علي ٧ فقال : انت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي<sup>١</sup>.

وعند تفسيره لقوله تعالى :

**(يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ)**<sup>٢</sup>.

قال : شيخنا الطوسي :

وروي عن النبي ٩ انه قال : ما يتجرعه يقرب إليه فيتركه ، فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروه راسه ، فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره<sup>٣</sup>.

وعند تفسيره لقوله تعالى :

**(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)**<sup>٤</sup>

قال مفسرنا : وقال ابو جعفر وابو عبد الله ٨ : الآية متناولة لمن يقوم إلى صلاة الليل عن لذيذ مضجعه وقت السحر<sup>٥</sup>.

وكما اخذ الشيخ الطوسي بروايات عن النبي ٩ وائمة أهل البيت : ، كذلك نجده ياخذ

برواية غيرهم ، اذا ما حصل عليها اجماع او تواتر ، ومثال ذلك نراه عند تفسيره لقوله تعالى :

**(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ**

١. انظر التبيان ، ج ٦ ، ص ٢٢٣.

٢. إبراهيم ( ١٤ ) الآية : ١٧.

٣. انظر التبيان ، ج ٦ ، ص ٢٨٤.

٤. السجدة ( ٣٢ ) الآية ١٦.

٥. انظر التبيان ، ج ٨ ، ص ٣٠٣.

### جَزَاءٌ وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوسًا قَمَطِرًا (١) فيقول :

وقد روت الخاصة والعامة ان هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين : ، فانهم اثروا المسكين واليتيم والاسير ثلاث ليال على افطارهم ، وطَوَّوْا ولم يفتروا على شيء من الطعام ، فاثى الله عليهم هذا الثناء الحسن ، وانزل فيهم هذه السورة<sup>٢</sup> .

ورغم الاهمية الكبرى التي اولهاها الشيخ الطوسي على النقل والاثر في تفسيره ، الا انه لم يكن ممن يتقبل الرواية والحديث دون تمحيص وتدقيق ومحكمة وترجيح ، لانه كان يرى ان من المفسرين من حمدت طرائقه ومدحت مذهبه ، كابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم ، ومنهم من ذمت مذهبه ، كابي صالح والسدي والكلبي وغيرهم<sup>٣</sup> .

وحتى اولئك الذين قال عنهم : ان طرائقهم محمودة ومذاهبهم ممدوحة لم يتلق سائرماروي عنهم بالقبول ولم يجز لنفسه الانسياق مع سائر مروياتهم ، الا بعد الاطمئنان لصحة مايروون ومن هنا نجده يضعف بعض اراء هولاء ، ويرد اقوالهم ، او يرجح غيرهم عليهم ، ومن ذلك ما فعله مع مجاهد وابن جريح ، حينما قالوا في تفسير قوله تعالى :

(وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ)<sup>٤</sup>

اراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم.

فقال الشيخ الطوسي : وقول ابن عباس اقوى<sup>٥</sup> .

وكان ابن عباس قد قال : اراد اعوانكم على ما انتم عليه.

كما ورد قولاً لقتادة وهو يفسر قوله تعالى :

١. الدهر ( ٧٦ ) الآيات ٨ . ١٠ .

٢. انظر التبيان ، ج ١٠ ، ص ٢١١ .

٣. انظر التبيان ، ج ١٠ ، ص ٦ .

٤. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٣ .

٥. التبيان ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

**(قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ)<sup>١</sup>**

عندما قال قتادة : معناه اي لانكاح الابوي وشاهدين وصادق ، والا يتجاوز الاربع

فرده الشيخ الطوسي قائلا :

وعندنا ان الشاهدين ليسا من شرط صحة انعقاد العقد ، ولا الوالي اذا كانت المرأة بالغة رشيدة ، لانها ولية نفسها<sup>٢</sup>.

وقد رد الشيخ الطوسي على الحسن ومجاهد ضعف قولهما في ابن نوح عند تفسيرهما

لقوله تعالى :

**(قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)<sup>٣</sup>**

فقال : قال الحسن ومجاهد : انه كان لغيره ، وولد على فراشه فسأل نوح على الظاهر فاعلمه الله باطن الامر ، فنفاه منه على ماعلمه ، فيكون على هذا هو نفسه عمل غير صالح ، كما يقولون : الشعر زهير .

فاستهجن الشيخ الطوسي هذا القول وردة قائلا :

وهذا الوجه ضعيف ، لان في ذلك طعنا على نبي واطافة مالا يليق به إليه<sup>٤</sup>.

كما ورد الطوسي على ابن عباس في نفس الموضوع حينما قال : ان المعنى : ان سؤالك

اياي هذا عمل غير صالح ، فاشكل عليه مفسرنا قائلا :

وهذا ضعيف : لان فيه اضافة القبيح إلى الانبياء :، وذلك لا يجوز عندنا على حال<sup>٥</sup>.

ومثل هذه الردود قد وردت كثيرا على صفحات التبيان ، مما يؤكد التزام الشيخ الطوسي

بمنهجه الذي تبناه والقائم على البحث عن الواقع والصواب ، ورد كل ما لم تتوفر فيه

المواصفات التي ذكرها الشيخ الطوسي شروطا لقبول الرواية والنقل المعتمد.

١. الاحزاب ( ٣٣ ) الآية ٥٠.

٢. انظر التبيان ، ج ٨ ، ص ٣١٩ . ٣٢٠.

٣. هود ( ١١ ) الآية ٤٦.

٤. انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٤٩٤.

٥. نفس المصدر.

ومن ذلك مقاله في تفسيره للآية الكريمة :

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) <sup>١</sup>

وقال ابن عباس : نزلت في قوم باعياهم من احبار اليهود ذكرهم باعياهم من اليهود الذين حول المدينة.

وقال قوم : نزلت في مشركي العرب.

فقال الشيخ الطوسي رافضاً لكل الاقوال التي قيلت في هذا المعنى :

والذي نقوله : انه لا بد من ان تكون الآية مخصوصة ، لان حملها على العموم غير ممكن ، لانا علمنا ان في

الكفار من يؤمن فلا يمكن العموم ، واما القطع على واحد مما قالوه ، فلا دليل عليه <sup>٢</sup>.

ولعل تردد الشيخ الطوسي في قبوله لاقوال ابن عباس يعود إلى ما قيل عن طرق الرواية

عنه من انها غير مرضية ورواها مجاهيل <sup>٣</sup>.

ومن تلك الطرق ، طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس.

وجويبر هذا شديد الضعف متروك <sup>٤</sup>.

وطريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة ، لان الضحاك لم يلقه <sup>٥</sup>.

وقد روى الطبري عن مشاش انه قال : قلت للضحاك : سمعت من ابن عباس شيئاً؟ قال

: لا <sup>٦</sup>.

ومن طرق ابن عباس ، مارواه المفسرون عن ابن جريح الذي يقول عنه السيوطي :

١ . البقرة ( ٢ ) الآية ٦ .

٢ . انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٦٠ .

٣ . السيوطي ، الإتقان ، ج ٢ ، ص ٣٢١ .

٤ . نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

٥ . نفس المصدر .

٦ . تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٤٠ .

لم يقصد الصحة ، وإنما روى ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم<sup>١</sup> .  
ومن تلك الطرق أيضاً : طريق العوفي عن ابن عباس : « والعوفي ضعيف وليس بواه<sup>٢</sup> » .  
« واوهن طرق ابن عباس طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ، فاذا انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب<sup>٣</sup> » .  
والى هذا المعنى اشار الشيخ الطوسي في مقدمة كتابه عندما قال :  
ولا ينبغي لاحد ان ينظر في تفسير آية لا يبيئ ظاهرها عن المراد تفصيلاً ، او يقلد احدا من المفسرين ، لان من المفسرين ... من ذمت مذاهبه كابي صالح ، والسدي ، والكلبي وغيرهم<sup>٤</sup> .  
وابو صالح هذا كان يمر به الشعبي : فيأخذ باذنه فيعركها ويقول :  
« تفسر القرآن وانت لاتقرا القرآن<sup>٥</sup> » .  
واما السدي فقد قيل فيه انه ضعيف وكذاب وشتام<sup>٦</sup> .  
وقد روى الطبري عن الشعبي انه مر يوماً على السدي وهو يفسر فقال :  
« لان يضرب على استك بالطبل خير لك من مجلسك هذا<sup>٧</sup> » .  
ومثل هذه العبارة القاسية تنبئ عن المرارة التي كان يعاني منها من عاصر السدي واطلع على احواله من المفسرين والعلماء .  
ولكننا مع ذلك نجد الشيخ الطوسي يأخذ عن السدي شيئاً كثيراً ، وان كان هذا لا يعني انه يأخذ منه كل شيء ودون محاكمة وتدقيق خاصة ، وانه قد سبق له ان ذم مذهبه في

١ . السيوطي ، الإتيان ، ج ٢ ، ص ٣٢١ .

٢ . نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

٣ . نفس المصدر .

٤ . انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٦ .

٥ . تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٤٠ .

٦ . دائرة المعارف الإسلامية ، تعليق امين الخولي ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ .

٧ . تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٤١ .

التفسير ، مما يدل على انه كان يراعي في النقل عنه ، وقد لا ينقل من اقواله الا ما يرى فيه وجهها حسناً.

واذا كان موقف الشيخ الطوسي من اقوال الطبقة الاولى على هذا النحو من الدقة في التحري والتمحيص والغريبة ، فان موقفه من اقوال المفسرين المتأخرين لا يقل شأنا عن موقفه ممن سبقهم ، لانه كان يتهمهم بالانحياز لمذاهبهم ، وهو امر غاية في الخطورة ، اذ لم يكن طلب الحقيقة هو المقصود في تفاسيرهم ، وانما كان كل واحد منهم قد نصر مذهبه وتناول على ما يطابق اصله ولهذا قال الطوسي فيهم : ولا يجوز لاحد ان يقلد احدا منهم<sup>١</sup> . لذلك نجد يقف من تفاسيرهم موقف المتأمل ، فيأخذ منها ما يأخذ بعد رؤية وتمعن ويرفض منها ما يستحق الرفض ، ويناقش ما ينبغي مناقشته من اقوالهم واراتهم ، وكما فعل مع الطبري<sup>٢</sup> والبلخي<sup>٣</sup> والجبائي<sup>٤</sup> والرماني<sup>٥</sup> .

ومن متابعة موقف الطوسي من الاعتماد على المآثور يتضح لنا ان للتفسير بالماثور لدى الشيخ الطوسي حدوداً ثابتة ، قائمة على تدقيق الروايات وتمحيصها وقبول الاثرالصحيح منها ، دون الشعور بضرورة السير وراء النقول والمرويات في كل الفروض ، وبهذا يكون الشيخ الطوسي قد ارسى قواعد اساسية في قبول الرواية لمن جاء بعده من المفسرين ، واسهم إلى حد كبير في عملية تطوير المنهج التفسيري المعتمد اساساً على النقل والاثار.

### موقفه من التوراة والانجيل

تطرق الشيخ الطوسي في معرض حديثه عن اليهود والنصارى ، وهو يفسر الآيات القرآنية التي ذكروهم بما هم عليه ، وقد رد عليهم كثيراً من اراءهم واقوالهم ، كما واستنكر

١ . انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٦ .

٢ . انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٦١ ، ص ٢٣٣ ، ٤١٦ ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ ، ٥٢٧ وغيرها .

٣ . انظر التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ . ٣٨٦ ، ج ٤ ، ص ١٢٠ ، ج ٦ ، ص ١٣٥ ، ج ٨ ، ص ٢٦٠ . ٢٦١ .

٤ . انظر التبيان ، ج ٧ ، ص ٧٣ ، ج ٦ ، ص ١٦٧ ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ .

٥ . انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٣٩٣ ، ج ٢ ، ص ٢١ . ٢٢ ، ج ٢ ، ص ٥٣ ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ، ج ٢ ، ص

مواقفهم من الدعوة الإسلامية ، ونبينا العظيم محمد ﷺ ، وكذلك تطرق إلى ذكر عقائدهم والانحرافات التي اتسمت بها حياتهم الفكرية والعقائدية ومنحاهم السلوكي الخاص ، وهو عبر كل تلك الملاحظات التي يوردها عليهم ، لم يعتمد نصا من كتبهم ، وإنما احتج عليهم بايات من القرآن ، كانت تحذرهم او توبخهم ، بشيء من التقرير واللوم ، وتصنفهم بما يستحقون من النعوت والصفات ، ولعل قلة اعتماد الشيخ الطوسي على ما تنص عليه كتبهم أي التوراة والإنجيل . ربما يكون ذلك ناجما عن عدم توفر القناعة لدى المفسر بصحة ما جاءت به تلك الكتب خاصة وأنها قد تعرضت إلى المزيد من التحريف والتزوير على ايديهم ، وصاغوها تبعا لاهوائهم ومصالحهم ، ومع ذلك نجد الشيخ الطوسي احيانا قد يستشهد ببعض النصوص من التوراة والإنجيل الواضحة الصحة عنده ، وكما ذكر عند تفسيره لقوله تعالى :

**(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ)**<sup>١</sup>

ومعنى (يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) أنهم يجدون نعتة وصفته ولأنه مكتوب

في التوراة ( اتانا الله من سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ) وفيها :

ساقيم لهم نبيا من اخوتهم ، مثلك واجعل كلامي في فمه ، فيقول لهم كل ما اوصيه به وفيها :

واما ابن الامة فقد باركت عليه جدا جدا ، وسيلد اثني عشر عظيما ، واؤخره لامة عظيمة.

وفي الانجيل بشارة بالفارقليط في مواضع منها : يعطيكم فارقليط اخر يكون معكم اخر الدهر كله.

وفيها : انه اذا جاء فند أهل العلم.

وفيها : انه يدبركم بجميع الخلق ويخبركم بالامور المزمعة ويمدحني ويشهد لي<sup>٢</sup> . وهكذا لم نجد الشيخ

الطوسي كثيرا من استشهاده بنصوص التوراة والإنجيل ولم يعرهما اهتماما خاصا في تفسيره ، ولم يلتفت

اليها الا نادرا.

١. الأعراف ( ٧ ) الآية ١٥٧.

٢. انظر التبيان ، ج ٤ ، ص ٥٦٠.



## الفصل الرابع :

### الجانب اللغوي في التبيان

#### اللغة

اظهر الشيخ الطوسي اهتماما خاصا باللغة في تفسيره ، حيث كان يستعين بها لتوضيح النص القرآني واستخراج المعنى المطلوب من المفردات التي احتواها القرآن الكريم ، ولما كان القرآن قد نزل بلغة العرب ، وهم أهل الفصاحة وارباب اللغة ، فمن الطبيعي جدا ان يكون لاستعمالاتهم اللغوية الخاصة ما يهيئ للمفسر . اي مفسر . مادة اساسية في فهم النصوص والايات القرآنية الكريمة ، ويمنحه الفرصة المناسبة في استنطاق آيات الكتاب العزيز ، واستجلاء اسرار معانيها ، ولذلك جهد الشيخ الطوسي في تعقب اقوال علماء اللغة البارزين وجملة من الشعراء الذين يحتج باشعارهم ، وهو ازاء تلك الاقوال كان يقف موقف الراصد الخبير ، فيناقشها ويرجح بعضها على بعض ، ويترك ما لا يصلح منها ولا يفيد.

كما نجده يسهب في التفاصيل احيانا لضرورة يراها ، وقد يوجز في موضع اخر من تفسيره ، فلا يذكر الا اشارات مقتضبة من اقوال علماء اللغة ورائهم.

كما نراه في مواقف عديدة يطرح رايه في الكلمة ، بينما يطرح اراء غيره فقط في مواضع اخرى ، او قد يجمع بين رايه ورائهم احيانا ، لينخرج من ذلك كله بما يعينه على معرفة النص واكتشاف ما فيه ، وبهذا يكون الشيخ الطوسي قد حفظ لنا في تفسيره ثروة لغوية كبيرة

لايستغني عنها متخصص او باحث ، حيث اسدى للعربية خدمة جلى تستحق كل الشاء والتقدير .

ونحن هنا نورد بعض الامثلة التي كان الشيخ الطوسي قد ذكرها في تبياناه بشيء من التفصيل :

١ . اورد في حد الكلام وتقسيمه عند تفسيره لقوله تعالى : ( **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**

**فَتَابَ عَلَيْهِ** ) ١ :

الكلمة : اسم جنس لوقوعها على الكثير والقليل ، يقولون : قال امرؤ القيس في كلمته يعني في قصيدته ، وقال قس في كلمته يعنون في خطبته ، فوقوعها على الكثير ، نحو ماقلناه ، ووقوعها على القليل قال سيبويه : ( قال ) قد اوقعها على الاسم المفرد والفعل المفرد ، والحرف المفرد ، فاما الكلام فان سيبويه قد استعمله فيما كان مؤلفا من هذه الكلم ، فقال : لوقلت : ان تضرب ناسا لم يكن كلاما ، وقال أيضاً : انما ، فقلت ، ونحوه ، ماكان كلاما ، بل قولاً ، ووقع الكلام على المتالف والذي صوره المتكلمون ، ان حد الكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المنقولة ، اذا وقع فمن يصح منه او من قبله الافادة ، ثم ينقسم إلى قسمين : مفيد ومهمل .

فالذي اراد سيبويه انه لا يكون كلاما ، انه لا يكون مفيدا ، وذلك صحيح ، فاما تسميته بانه كلام ، صحيح ، وكيف لا يكون صحيحا وقد قسموه إلى قسمين : مهمل ومفيد؟ فادخلوا المهمل الذي لا يفيد في جملة الكلام .

والكلمة والعبارة والابانة ، نظائر ، وبينهما فروق ، والفرق بين الكلمة والعبارة ان الاظهر في الكلمة هي الواحدة من جملة الكلام ، وان قالوا في القصيدة : انما الكلمة ، والعبارة تصلح للقليل والكثير ، واما الابانة فقد تكون بالكلام والحال ، وغيرهما من الادلة ، كالاشارة والعلامة وغير ذلك ، واما النطق فيدل على ادارة اللسان بالصوت وليس كذلك الكلام ولهذا يقولون : ضربته فما تكلم ، ولا يقولون فما نطق ، اذا كان صاح ، وكذلك لا يجوز ان يقال في الله : انه ناطق ، واما اللفظ فهو من قولك : لفظت الشيء : اذا اخرجته من فمك ، وليس في الكلام مثل ذلك ، ويقال : كلمته تكليما وكلاما . وتكلم تكلم

ولذلك لا يجوز ان يقال فيه تعالي لفظ ، ولا انه لافظ . والكلم : الجرح والجمع الكلوم .

يقال : كلمته اكلمه كلما ، فأنا كالم ، وهو مكلوم ، وكليمك الذي يكلمك .

ويقال : كلمة وكلمة لغة تميمية ، وقيل : انها حجازية وتميم حكي عنها كلمة . بالكسر الكاف وتسكين اللام . ، وحكي تسكين اللام مع فتح الكاف ، واصل الباب انه اثر دال ، والكلم اثر دال على الجراح ، والكلام اثر دال على المعنى الذي تحته ، والمتكلم من رفع ماسميناه كلاما بحسب دواعيه واحواله ، وربما عبر عنه بانه الفاعل للكلام ، وليس المتكلم من حله الكلام ، لان الكلام يحل اللسان والصدر ولا يوصفان بذلك<sup>١</sup> .

## ٢ . وورد قوله في بيان الفرق بين « إِنْ » و « أَنْ » :

والفرق بينهما ان المفتوحة موصولة والموصولة تقتضي صلتها فصارت لاقتضائها الصلة اشد اتصالا بما بعدها من المكسورة ، فقدر بعدها الضمير الذي هو من جملة صلتها وليست المكسورة كذلك ، لأنَّ « أَنْ » المفتوحة بمعنى المصدر ، فلا بد لها من اسم وخبر ، لانها تلتقي بان يكون دخولها كخروجها وليس كذلك « إِنْ » ومن المفتوحة قول الاعشى :

في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى ويتتعلم

واما قراءتهم في النور (أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ)<sup>٢</sup> فان « ان » في موضع رفع بانه خبر المبتدا واما قراءة نافع

(أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ) فحسن وهو بمنزلة قوله : (وَأَخْرَجُوا دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ)<sup>٣</sup> وليس لاحد

ان يقول : هذا لا يستحسن ، لان المخففة من الشديدة لا يقع بعدها الفعل حتى يقع عوض من حذف

ان « ومن انها تولي ما يليها من الفعل يدل على ذلك (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ)<sup>٤</sup> وقوله (لِنَأْتِيَ

يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ )<sup>٥</sup> وذلك انهم استجازوا ذلك ، وان لم يدخل معه

شيء من هذه الحروف ، لانه دعا وليس شيء من هذه الحروف يحتمل

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

٢ . النور ( ٢٤ ) الآية ٩ .

٣ . يونس ( ١٠ ) الآية ١٠ .

٤ . المزمل ( ٧٣ ) الآية ٢٠ .

٥ . الحديد ( ٥٧ ) الآية ٢٠ .

الدخول معه ، ونظير هذا في انه كما كان دعاء لم يلزمه العوض قوله : **(نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا)** <sup>١</sup> فولي قوله **(بُورِكَ)** ( ان ) وان لم يدخل معها عوض كما لم يدخل في قراءة نافع **(أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ)** والدعاء قد استجيز معه ما لم يستجز مع غيره ، الاترى أنهم قالوا : « أما إن جزاك الله خيراً من » ، حمله سيبويه على اضمار القصة في « إن » المكسورة ولم يضم القصة مع المكسورة الا في هذاالموضع <sup>٢</sup> .

وكما فصل الحديث في مواضع مختلفة من التبيان نجده يوجز في مواضع اخرى ومن امثلة ذلك مايلي :

١ . ورد قوله في بيان الفرق بين « الاكثر » و « الاعظم » : « والفرق بين الاكثر والاعظم ، ان الاعظم قد يوصف به واحد ولايوصف بالاكتر واحد بحال ، ولهذا يقال في الله تعالى : انه عظيم واعظم من كل شيء ولايقال اكثر ، وانما يقال : اكبر بمعنى اعظم » <sup>٣</sup> .  
٢ . وعند تفسيره لقوله تعالى : **(وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)** <sup>٤</sup> قال الطوسي :  
وقوله **(خُطُوَاتِ)** يجوز فيه ثلاثة اوجه . يضم الخاء والطاء ، وضم الخاء وسكون الطاء ، وضم الخاء وفتح الطاء <sup>٥</sup> .

٣ . وفي تفسيره لقوله تعالى : **(مَنْ دُونَهُ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ)** <sup>٦</sup> قال :  
والفرق بين الانظار والتاخير ان الانظار امهال لينظر صاحبه في امره والتاخير خلاف التقادم من غير تضمين <sup>٧</sup> .

٤ . وفي بحثه عن كلمة « عمر » قال مفسرنا :

وفي « عمر » ثلاث لغات : ضم الميم واسكانها مع ضم العين ، وفتح العين وسكون الميم

١ . النمل ( ٢٧ ) الآية ٨ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٤٠٦ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٢٤٦ .

٤ . الأنعام ( ٦ ) الآية ١٤٢ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٢٩٧ .

٦ . هود ( ١١ ) الآية ٥٥ .

٧ . الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ١٠ .

ومنه قوله ( **لَعَمْرُكَ** ) وعمر الإنسان بالفتح لاغير ، وفي القسم أيضاً بالفتح لاغير <sup>١</sup> .

٥ . وقال في حسابان :

و « حسابان » مصدر حسبته احسبه حسابانا نحو السكران والكفران ، وقيل : هو جمع حساب كشهاب وشهبان <sup>٢</sup> .

وقد ذكر المفسر اراء جملة من علماء اللغة دون ان يسهم في طرح رايه في المسائل التي ذكروها ، وقد يرجع ذلك إلى قبولها كلها عنده وعدم اعتراضه على شيء منها ، ومن ذلك اورد الشيخ الطوسي مثالا اوضح فيه :

١ . الفرق بين اللقاء والاجتماع في قوله تعالى : ( **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا** ) <sup>٣</sup> نقلا عن

الرماني حيث يقول :

الفرق بين اللقاء والاجتماع ان اللقاء لا يكون الا على وجه المجاورة ، والاجتماع قد يكون كاجتماع العزمين في محل <sup>٤</sup> .

٢ . وحول « السلم » ذكر راي لاخفش يقول :

« السلم » بكسر السين الصلح ، ويفتحها وفتح اللام : الاستسلام ، وقال الزجاج : « السلم جميع شرائعه » . ويقال :

السلم والسلم معناهما الإسلام ، والصلح ، وفيه ثلاث لغات : كسر السين وفتحها مع تسكين اللام وفتحها ، وقال ابو عبيدة : السلم بكسر السين . والإسلام واحد ، وهو في اخر المسألة والصلح <sup>٥</sup> .

٣ . وكذلك اورد في بيان وزن اشياء جملة اقوال فقال :

وقيل في وزن « اشياء » ثلاثة اقوال :

الاول : قال الكسائي : هو افعال الا انه لم يصرف ، لانهم شبهوه بحمراء ، فالزمه الزجاج إلا

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ١١ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٤٦٢ .

٣ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٤ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٧٩ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

يصرف اسماء ولا انباء.

الثاني : قال الاخفش والفراء هي « فعلاء » كقولك هين واهوناء فالزومه المازني ، وقال : سله كيف يصغرها؟ فقال الاخفش : « اشياء » فقال : يجب ان يصغرها شيئات كما يصغراصدقاء في المؤنث صديقات في المذكر صديقون.

قال الزجاج : انما قيل في هين : اهوناء لان هين اصله « هيين » على وزن فعيل فجمع على افعلاء كنصب وانصباء.

الثالث : قال الخليل وسيبويه : « افعاء » مقلوبة كما قلبوا « انيق » عن انوق ، وقسي عن قؤوس<sup>١</sup>.

٤. ومثل ذلك ذكر مفسرنا :

حول كلمة « الرؤيا » اراء للعلماء فقال :

قال : ابو علي النحوي « الرؤيا » مصدر كالبشرى والسقيا والبقيا والشورى ، الا لما صار اسما لهذا التخيل في المنام ، جرى مجرى الاسماء ، كما ان « درّ » لماكثر في كلامهم في قولهم لله درك جرى مجرى الاسماء وخرج من حكم الاعمال ، فلا يعمل واحد منهما اعمال المصدر ، ومما يقوى خروجه عن احكام المصادر تكسيرهم لها « درى » فصار بمنزلة « ظلم » والمصادر في الاكثر لا تكسر ، والرؤيا على تحقيق الهمزة ، فان خذفت قلبتها في اللفظ واوا ولم يدغم الواو في الباء ، لان الواو في تقدير الهمزة فهي لذلك غير لازمة ، فلا يقع الاعتداء بما فلم تدغم ، وقد كسر اولها قوم ، فقالوا « ربا » فهؤلاء قلبوا الواو قلبا لا على وجه التخفيف ، ومن ثم كسروا الفاء كما كسروا من قولهم : قرن لوى وقرون لي<sup>٢</sup>.

٥. وجاء قوله عند تفسير قوله تعالى : ( **عُلِبَتِ الرُّومُ** )<sup>٣</sup> :

في « الغلب » قال الزجاج :

الغلب والغلبة مصدران ، مثل الحلب والحلبة ، والغلبة الاستيلاء على القرن بالقهر ، غلب

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ص ٣٦.

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٩٦.

٣. الروم ( ٣٠ ) الآية ٢.

يغلب فهو غالب ، وذاك مغلوب وتغلب تغلبا اذا تعرض للغلبة ، غالبه مغالبة <sup>١</sup> .

٦ . ورد قوله في بحثه لكلمة « ريجان » :

واصل ريجان روحان ، لانه من الواو الا انه خفف واهمل التثقيب للزيادة التي لحقته من الالف والنون . ذكره الزجاج <sup>٢</sup> .

٧ . كما ورد قوله في تفسيره لقوله تعالى : **(هَأْوُمْ أَفْرُؤُوا كِتَابِيَهٗ)** <sup>٣</sup> في كلمة **(هَأْوُمْ)** :

واهل الحجاز يقولون : « هايا رجل ، وللاثنين هاؤما ، وللجمع هاؤموا ، وللمرء هاء . بهمزة . وليس بعدها ياء ، وللمرأتين هاؤما وللجماعة هاؤن يانسوة ، وتميم وقيس يقولون : هايا رجل مثل قول أهل الحجاز ، وللاثنين ، هاتا وللثلاثة هاءوا وللمرأة هائي ، وربما قالوا : هاء يا هذه وللثلاثة هان ، وبعض العرب يجعل مكان الهزمة كافا فيقول هاك بغير همزة ويامر بما ولاينهي » وهاه « ، بمنزلة خذ وتناول ، ووقف الكسائي على هاؤم وابتدا **(أَفْرُؤُوا كِتَابِيَهٗ)** <sup>٤</sup> .

وكما ذكر اراء اللغويين وحدهم وفي مواقع نجد هنا يذكر اراءه إلى جنب ارائهم مما يؤكد قدرته على مناقشة علماء اللغة ومجازاتهم في هذا الميدان ومن ذلك :

١ . قال الطوسي عند تفسيره لقوله تعالى : **( رَبِّ الْعَالَمِينَ )** :

وقوله : ( رب العالمين ) اي المالك لتدبيرهم ، والمالك للشيء يسمى ربه ولا يطلق هذا الاسم الا على الله ، واما في غيره فيقيد ، يقال : رب الدار ورب الضيعة ، وقيل : انه مشتق من التربية ومنه قوله تعالى : **(وَرَبَّائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ)** <sup>٥</sup> ومتى قيل في الله انه رب بمعنى انه سيد فهو من صفات ذاته ، واذا قيل بمعنى انه مدبر مصلح فهو من صفات الافعال ، **(العالمين)** جمع عالم لا واحد له من لفظه كالرهنط والجيش وغير ذلك ، والعالم

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٢٠٦ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٥١٢ .

٣ . الحاقة ( ٦٩ ) الآية ١٩ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ١٠١ .

٥ . النساء ( ٤ ) الآية ٢٣ .

في عرف اللغة عبارة عن الجماعة من العقلاء ، لانهم يقولون :  
 جاءني عالم من الناس ولايقولون : جاءني عالم من البقر ، وفي عرف الناس عبارة عن جميع المخلوقات ،  
 وقيل : انه أيضاً اسم لكل صنف من الاصناف ، واهل كل زمن من كل صنف يسمى عالماً ، ولذلك جمع  
 ، وقيل : عالمون لعالم كل زمان ، قال العجاج :  
 فخذف هامة هذا العالم<sup>١</sup> .

## ٢. واورد في استعمال « او » من الآية : ( **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ** )<sup>٢</sup> اقوالاً منها :

قيل : ان « او » قادتستعمل بمعنى الواو كمتاستعمل للشك بحسب مايدل عليه سياق الكلام ، قال توبة  
 بن الحمير :

وقد زعمت ليلى باني فاجر      لنفسى تقاهها او عليها فجورها

ومعلوم ان توبة لم يقل ذلك على وجه الشك ، وانما وضعها موضع الواو ، وقال جرير :

نال الخلافة او كانت له قدرا      كما اتى ربه موسى على قدر

ومثله كثير ، قال الزجاج : معنى « او » في الآية التخيير ، كانه قال : انكم مخيرون بان تمثلوا المناقين تارة  
 بموقد النار ، وتارة بمن حصل في المطر .

يقال : جالس الحسن او ابن سيرين ، اي انت مخير في مجالسة من شئت منهما<sup>٣</sup> .

## ٣. ورد في بحثه ل « سبأ » قوله :

وقرأ ابن كثير وابو عمرو ( **مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ** ) غير مصروف ، الباقون مصروفاً منونا ، من لم يصرفه ، فلانه

معرفة ومؤنث ، لانه قيل : ان « سبا » حي من احياء اليمن ، وقيل هو اسم امهم ، وقد قال الزجاج : «

سبا » مدينة تعرف بمارب من اليمن وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة ايام ، فاذا صرفته فعلى البلد ، واذا لم

تصرفه فعلى المدينة ، وقيل : من صرفه جعله اسماً للمكان ومن لم يصرفه جعله اسماً للبقعة ، قال جرير :

الواردون وتسيم في ذوي سبأ      قدعض اعناقهم جلد الجواميس

وقال اخرون في ترك صرفه :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٣٢ .

٢. البقرة ( ٢ ) الآية ١٩ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٩٢ .

من سبأ الحاضرين مارب اذ يينون من دون سيله العرما<sup>١</sup>.

٤. جاء في بحثه لكلمة « ردف » قوله :

ردف من الافعال التي تتعدى بحرف وبغير حرف كما قال الشاعر :

فقلت لها الحاجات تطرحن بالفتى وهم يعناني معنار كائبه

وقيل : ان الباء انما دخلت للتعدية ، وقيل : انما دخلت لما كان معنى تطرحن : ترمين ، وكذلك.

لما كان معنى ( **رَدَفَ لَكُمْ** ) دنا ، قال « لكم » قال المبرد :

معناه ردفكم واللام زائدة<sup>٢</sup>.

٥. وعند تفسيره للآية الكريمة ( **اسْأَلْكَ يَدَكُ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**

**وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا**

**فَاسْقِينِ** )<sup>٣</sup> قال في ذلك :

وقيل في تشديد ( **ذَانِكَ** ) ثلاثة اقوال : احدها : للتوكيد ، الثاني : للفرق بين النون التي تسقط للإضافة

وبين هذه النون ، الثالث : للفرق بين بنية الاسم المتمكن وغير المتمكن ، وروي عن ابن كثير انه قرا

( **فَذَانِكَ** ) قال ابو علي : وجه ذلك انه ابدل من احدى النونين ياء كما قالوا : تظنيت وتظننت<sup>٤</sup>.

٦. وجاء في تفسيره لقوله تعالى : ( **تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى** )<sup>٥</sup>.

قوله في ( **ضِيزَى** ) والضيزة الجائرة الفاسدة ، ووزنه « فعلى » الا انه كسر اوله لتصبح الياء من قبل انه

ليس في كلام العرب « فعلى » صفة ، وصفة « فعلى » نحو جبلى يحمل على ماله نظير ، واما الاسم

فانه يجيء على « فعلى » كقوله ( **فَإِنَّ الذُّكْرَى** ) وتقول العرب : ضيرته

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٧٧.

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ١٠١ ، ١٠٢.

٣. القصص ( ٢٨ ) الآية ٣٢.

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ١٣١.

٥. النجم ( ٥٣ ) الآية ٢٢.

حقه اضيزه ، وضازته . لغتان . اذا انقصته حقه ومنعته ، ومنهم من يقول : ضزته . بضم الضاد . اضوزه ، وانشد ابو عبيده والاحفش :

فان تناعنا ننتقصك وان تغب فسهمك مضئوز وانفك راغم  
ومنهم من يقول : « ضيزى » . بفتح الضاد . ومنهم من يقول « ضازى » بالفتح والهمزة ومنهم من يقول : « ضؤزى » . بضم الضاد . والهمزة <sup>١</sup> .

وقد استعان مفسرنا بالشعر ليستشهد به في ترجيح راي لغوي وتأييده ومن ذلك :

١ . في قوله تعالى : ( **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ) <sup>٢</sup> يذكر :

( من ) لفظ يخبر به عن الواحد من العقلاء واثنين وجماعة فلما قال : ( **وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ) دل على انه اراد الجمع ، وانما قال ( **يَقُولُ** ) بلفظ الواحد حملا له على اللفظ .  
قال الشاعر :

تكن مثل من ياذئب يصطحبان <sup>٣</sup> .

٢ . وفي بيان الفرق بين الال والاهل يقول :

والفرق بين الال والاهل ان الاهل اعم منه يقال : أهل الكوفة ، ولايقال : ال الكوفة ، ويقال أهل البلد ، ولايقال ال البلد .

وال فرعون : قومه واتباعه ، وقال صاحب العين : الال كل شيء يؤول إلى شيء اذا رجع إليه ، تقول طبخت العصير حتى ال إلى كذا .

و ( **أولى** ) كلمة وعيد على وزن فعلى والال : السراب وال الرجل ، قرابته واهل بيته ، وال البعير ، الواحه ، وما اقترب من اوطار جسمه ، وال الخيمة عمدتها ، والالة :  
شدة من شدائد الدهر ، قالت الخنساء :

ساحل نفسي على الة اما عليها واما لها <sup>٤</sup>

٣ . وفي بيانه الفرق بين القتل والذبح والموت يقول :

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٤٢٦ .

٢ . البقرة ( ٢ ) الآية ٨ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٦٧ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٢١٩ .



يقال منه سلت اسال اي طلبت وهما يتساولان اي يطلب كل واحد منهما من صاحبه ، والاصل الطلب والوسيلة التي ينبغي ان يطلب مثلها <sup>١</sup> .

٥. وجاء قوله في تفسيره للآية ( **وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ** ) <sup>٢</sup> :

واصل الحفد الاسراع في العمل ، ومنه يسعى ويحفد ومر البعير يحفد حفدانا ، اذا مرسع في سيره ، وحفد يحفد حفدا وحفدانا ، قال الراعي :

كلفنت مجهولها نوقا يمانية اذا الحداة على اكسائها حفدوا <sup>٣</sup>

٦. وفي تفسيره لقوله تعالى : ( **وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ** ) <sup>٤</sup> ، قال الطوسي :

ووزن ايم فيعل بمعنى فعملت كجمع يتيم ویتيمة ویتامى ، وقال جميل :

احب الايامى اذ بثينة ايم واحببت لما ان غنيت الغوانيما <sup>٥</sup>

٧. وجاء قوله في النشأة عند تفسيره لقوله تعالى : ( **فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ**

**يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ** ) <sup>٦</sup> :

والنشأة والنشأة بالمد والقصر ، لغتان ، كفولهم : رافة ورافة ، وكابة وكابة وهما مصدران فالنشأة المرة الواحدة ، يقال : نشأ الغلام فهو ناشئ وامرأة ناشئة ، والجمع نواشئ ويقال للجواري الصغار : نشأ ، قال نصيب :

ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشا الصغار <sup>٧</sup>

وكان للطوسي اراء خاصة به في اللغة ، قد يخالف بها اراء غيره من العلماء ، وهذا

واضح في تفسير التبيان ، حيث نجده يطرح رايه فقط ، دون ذكر لاراء غيره من اللغويين ومن ذلك :

١. ففي قوله تعالى ( **وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ**

**يُؤْرِبُهُمُ**

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٥٠٧ .

٢. النحل ( ١٦ ) الآية ٧٢ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٤٠٧ .

٤. النور ( ٢٤ ) الآية ٣٢ .

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ٣٨٢ .

٦. العنكبوت ( ٢٩ ) الآية ٢٠ .

٧. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ١٧٣ .

### اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ<sup>١</sup> . يقول في حسرات :

والحسرات جمع الحسرة ، وهي اشد من الندامة ، والفرق بينهما وبين الارادة .  
ان الحسرة تتعلق بالماضي خاصة والارادة تتعلق بالمستقبل ، لان الحسرة انما هي مافات بوقوعه او ينقضي وقته ، وانما حركت السين ، لانه اسم على فعله اوسطه ليس من حروف العلة ولو كان صفة لقلت : صعبات فلم يحرك ، وكذلك جوازات وبيضات ، واما حرك الاسم لانه على خلاف الجمع السالم ، والحسرة والندامة نظائر وهي نقيض الغبطة ، وتقول : حسرت العمامة عن راسي اذا كشفتها ، وحسر عن ذراعيه حسرا ، وانحسرا انحسارا وحسره تحسيرا ، والحاسر في الحرب الذي لادرع عليه ، ولا مغفر وحسر يحسر حسرة وحسرا ، اذا كمد على الشيء الفائت وتلهف عليه وحسرت الناقة حسورا ، اذا اعيت وحسر البصر اذا كل عن البصر ، والحسرة المكلسة ، والطير يتحسر ، اذا خرج من ريشه العتيق إلى الحديث ، واصل الباب الحسر : الكشف<sup>٢</sup> .

٢ . ورد قوله في بيان الفرق بين « من » و « الذي » في تفسير قوله تعالى ( وَمَنْ يَتَوَلَّ

### اللَّهُ وَرَسُولُهُ )<sup>٣</sup> :

والفرق بين « من » و « الذي » من ثلاثة اوجه :  
احدها : « ان » من لما يعلل و « الذي » مشتركة ، و « من » في الجزاء لما يستقبل ، وهي في معنى « ان » وليس كذلك « الذي » ، وثالثها ان « من » تجزم ولا تحتاج في الجزاء والاستفهام إلى صلة ولا يكون جوابها الا بالفعل والفاء<sup>٤</sup> .

٣ . وفي بيانه الفرق بين « الرسول » و « النبي » يقول :

والفرق بين « الرسول » و « النبي » ، ان « النبي » لا يكون الا صاحب المعجز الذي ينبي عن الله اي يجبر ، و « الرسول » اذا كان رسول الله ، فهو بهذه الصفة ، وقديكون الرسول رسولا لغير الله ، فلا يكون بهذه الصفة ، والانباء عن الشيء قديكون من غير تحميل النبا ، والارسال

١ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٦٧ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

٣ . المائدة ( ٥ ) الآية ٥٩ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٥٦٥ .

لا يكون الا بتحميل الرسالة<sup>١</sup>.

٤. وفي تفسيره لقوله تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ) <sup>٢</sup> جاء قوله :

في « يبدئ » و « يبدي » فيه لغتان ، اتى بها القرآن بدا الله الخلق وابداهم ، قال الله تعالى ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ) فمصدر ابدا يبدىء ابداء ، فهو مبدىء ومن قرا ( بدا ) « يبدؤُ بدها » فهو بادئ وذلك مبدوء ، ويقال : رجع عوده على بدئه بالهمز ، و « بدا يبدو » ، بغير همز : ظهر ، وقال ابو عمرو « غلام ثعلب » يجوز رجع عوده على بده . بغير همز . بمعنى الظهور كقولهم : « ما عدا ما بدا » <sup>٣</sup>.

٥. وجاء قوله في « هلم » عند تفسيره لقوله تعالى : (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا) <sup>٤</sup>

:

« هلم » بمعنى اقبل ، واهل الحجاز يقولون للواحد والاثنين والجمع والانتى ( هلم ) بلفظواحد ، وانما هي « لم » ضمت اليها « ها » التي للتنيه ، ثم حذفت الالف من « ها » اذ صار « شيئاً » واحدا كقولهم « ويلمه » واصله « ويل امه » فلما جعلوها شيئاً واحدا حذفوا ، وغيروا <sup>٥</sup>.

٦. وعند تفسيره لقوله تعالى (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ) <sup>٦</sup> قوله

في ( ظاهر ) :

ويقال فيه : ظاهر فلان من امراته ظهارة ومظاهرة ، واطهارا فلان ظاهر ، وتظاهر تظاهرا الا انه ادغم ، واطهر اظهارا ، واصله تظهر تظها الا انه ادغمت التاء في الظاء <sup>٧</sup>.

٧. وفي كلمه « احد » جاء قوله :

واصل « احد » وحد فقلبت الواو همزة ، كما قيل : وناه وانه ، لان الواو مكروهة اولاً ،

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٣٤.

٢. العنكبوت ( ٢٩ ) الآية ١٩.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ١٧٣.

٤. الاحزاب ( ٣٣ ) الآية ١٨.

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٣٢٧.

٦. المجادلة ( ٥٨ ) الآية ٢.

٧. الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٥٣٨.

وقد جاء وحد على الاصل ، قال الشاعر :

كان رجلي وقد زال النهار بنا      بذني الجليل على مستانس وحد<sup>١</sup>

### النحو

للنحو ميدان واسع في تفسير الطوسي ، فقد احتوى على كثير من الاراء النحوية ، حيث رجع الشيخ إلى اراء الاعلام البارزين في هذا المجال من علماء مدرستي البصرة والكوفة كالخليل الفراهيدي<sup>٢</sup> وسيبويه<sup>٣</sup> والكسائي<sup>٤</sup> وقطرب<sup>٥</sup> والفراء<sup>٦</sup> وابي عبيدة<sup>٧</sup> والاخفش<sup>٨</sup> وثعلب<sup>٩</sup> والزجاج<sup>١٠</sup> وابي علي الفارسي<sup>١١</sup> وغيرهم ، ونجده حين يذكر اراءهم في النحو لا يلتزم بها الا بعد غريلة وتمحيص وقد يرد على بعضها لرححان راي اخر ، ويوضح بعض الاراء حول خطأ احدهم ، ويشير إلى الراي المفضل ، وهنا دليل على تضلعه بهذا العلم واتساع افاقه النحوية والادبية ، ونراه احيانا يجتهد برايه دون الاستشهاد باي راي من اراء الاخرين ، كما يورد احيانا شواهد نحوية دون التعليق عليها ، مما يدل على مطابقتها لرايه :

١. فنراه مثلا يتفق مع الفراء في اعراب لولا من الآية : **(فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا**

- 
١. الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٤٣٠ .
  ٢. ابو عبدالرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ، صاحب كتاب العين .
  ٣. ابو الحسن عمرو بن عثمان البصري النحوي المتوفى في حدود سنة ١٨٠ هـ .
  ٤. ابو الحسن علي بن حمزة الكوفي البغدادي المتوفى سنة ١٨٩ هـ .
  ٥. ابو علي محمد بن المستنير البصري النحوي المتوفى سنة ٢٠٦ هـ .
  ٦. ابو زكريا يحيى بن زياد الكوفي النحوي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .
  ٧. ابو عبيدة بن المثنى البصري النحوي المتوفى سنة ٢١٠ هـ .
  ٨. ابو الحسن سعيد بن سعدة البصري النحوي المتوفى سنة ٢١٥ هـ ..
  ٩. ابو العباس احمد بن يحيى الكوفي النحوي المتوفى سنة ٢٩١ هـ .
  ١٠. ابو إسحاق إبراهيم بن السري النحوي المتوفى سنة ٣١١ هـ .
  ١١. ابو علي الحسن بن احمد بن عبدالغفار الفارسي النحوي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ .

وَلَكِنْ فَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>١</sup> ) حيث يقول :

قال الفراء كلما رايت في الكلام « لولا » ولم تر بعدها اسما فهي بمعنى « هلا » كقوله (لَوْلَا أَخَّرْتَنِي

إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ)<sup>٢</sup> و (فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ)<sup>٣</sup>.

وإذا كان بعدها اسم فهي بمعنى « لو » التي تكون في جوابها اللام و « لوما » فيها ، ما في « لولا » من الاستفهام والخبر<sup>٤</sup>.

٢. وفي قوله تعالى : (فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ)<sup>٥</sup>.

يقول الشيخ الطوسي :

وقوله (فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ) معناه فبرحمة.

و « ما » زائدة باجماع المفسرين ذهب إليه قتادة والزجاج والفراء ، وجميع أهل التأويل ، ومثله قوله (عَمَّا

قَلِيلٍ لِّيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ)<sup>٦</sup>.

فجاءت « ما » مؤكدة للكلام وسبيل دخولها لحسن النظم كدخولها لاتزان الشعر<sup>٧</sup>.

٣. وفي قوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

٨ (

يقول قال الزجاج : الويل كلمة يستعملها كل واقع في هلكة ، واصله في اللغة العذاب والهلاك وارتفع بالابتداء ، وخبره الذين .... والرفع على معنى ثبوت الويل للذين ، ومثله الويح ، والويس ، اذا كان بعدهن لام رفعتهن ، واما التعس والبعد وما اشبههما ، فهو نصب ابداء ، فان اضفت « ويل » و « ويح » و « ويس » نصب من غير تنوين ، تقول : ويل زيد ،

١. الأنعام ( ٦ ) الآية ٤٣ .

٢. المنافقون ( ٦٣ ) الآية ١٠ .

٣. الواقعة ( ٥٦ ) الآية ٨٦ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١٣٦ .

٥. آل عمران ( ٣ ) الآية ١٥٩ .

٦. المؤمنون ( ٢٣ ) الآية ٤٠ .

٧. انظر التبيان ، ج ٣ ، ص ٣١ .

٨. البقرة ( ٢ ) الآية ٧٩ .

وويس زيد ، ولا يحسن في « التعس » و « البعد » الاضافة بغير لام ، فلذلك لم ترفع ، وقد نصبه قوم مع اللام فيقولون وبلا لزيد وبجا لخالد <sup>١</sup> .

وقد يختلف الاعراب عند الشيخ ايجازا وتفصيلا واستشهاده بالشعر وعدمه بين اية واخرى فمن ايجازه ، نذكر الامثلة التالية :

١ . عند تفسيره لقوله تعالى :

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) <sup>٢</sup> .

يقول : (إِلَّا أَنفُسَهُمْ) نصب على الاستثناء <sup>٣</sup> .

٢ . وفي قوله تعالى (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا ۖ لَأَن نُّؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ

تَأْكُلُهُ النَّارُ ... ) <sup>٤</sup> يقول الشيخ الطوسي :

(الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَٰقِئِرٌ) <sup>٥</sup> .

٣ . وقوله تعالى : (حَقِيقٌ عَلٰى أَن لَّا أَقُولُ عَلٰى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ) <sup>٦</sup> فيقول :

وقوله (إِلَّا الْحَقُّ) نصب بانه مفعول القول على غير الحكاية ، بل على معنى الترجمة عن المعنى دون

حكاية اللفظ <sup>٧</sup> .

٤ . وفي الآية (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكٰذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنٰى) <sup>٨</sup> يقول : « فقول ان بدل من

الكذب ، وموضعه النصب » <sup>٩</sup> .

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ص ٣٢١ .

٢ . البقرة ( ٢ ) الآية ٩ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٧١ .

٤ . آل عمران ( ٣ ) الآية ١٨٣ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٦٧ .

٦ . الأعراف ( ٧ ) الآية ١٠٤ .

٧ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٤٨٩ .

٨ . النحل ( ١٦ ) الآية ٦٢ .

٩ . الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٣٩٧ .

٥. وفي قوله تعالى : ( **يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ الَّذِينَ يُحَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ** )<sup>١</sup> . قوله : وموضع ( **الَّذِينَ** ) نصب لانه بدل من ( من ) ويجوز ان يكون رفعا بتقدير ( هم )<sup>٢</sup> .

٦. وفي قوله تعالى ( **يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ) ، يقول و ( **الَّذِينَ** ) في موضع نصب<sup>٣</sup> .

وكما عمد الشيخ الطوسي إلى الاختصار في اعراب بعض الآيات نراه يعمد إلى الاسهاب والتفصيل احيانا ، وفي تفصيله في الاعراب نورد بعض الامثلة :

فعند تفسيره لقوله تعالى : ( **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ** )<sup>٤</sup>

قال : وقوله : ( **أَمْوَاتٌ** ) رفع بانه خبر ابتداء محذوف كانه قال : لاتقولوا هم اموات ، ولايجوزفيه النصب على قولك : قلت خيرا لان الخير في موضع المصدر كانه قال : قلت قولاحسنا ، فاما قوله : ( **وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ** )<sup>٥</sup> . فيجوز فيه الرفع والنصب في العربية : الرفع على منا طاعة والنصب على نطيع طاعة ، والفرق بين « بل » و « لكن » ان لكن نفي لاحد الشيئين واثبات للآخر كقولك : ما قام زيد ، لكن عمرو ، وليس كذلك « بل » لانها للاضراب عن الاول والاثبات للثاني ، ولذلك وقعت في الايجاب كقولك : قام زيد بل عمرو ، فاما اذا قصد المتكلم فانما هو ليدل على ان الثاني احق بالاخبار عنه من الاول كقولك : « قام زيد بل عمرو » ، كانه لم يعتد بقيام الاول<sup>٦</sup> .

٧. وفي قوله ( **وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلُكُنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** )<sup>٧</sup> ، يورد الشيخ الطوسي

تفصيلا في اعراب لا فيقول :

١. غافر ( ٤٠ ) الآيات ٣٤ و ٣٥ .

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٧٥ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ١٥٩ .

٤. البقرة ( ٢ ) الآية ١٥٤ .

٥. النساء ( ٤ ) الآية ٨١ .

٦. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٥ .

٧. الانبياء ( ٢١ ) الآية ٩٥ .

ومثله قوله تعالى: ( **وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ) وهو يحتمل امرين:  
 أحدهما : ان تكون « لا » زائدة و « ان » في موضع رفع بانه خبر المبتدا الذي هو « حرام » وتقديره :  
 وحرام على قرية مهلكة رجوعهم ، كما قال : ( **فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ  
 يَرْجِعُونَ** )<sup>١</sup>.

والثاني : ان تكون لا غير زائدة ، بل تكون متصلة باهلكنا ، والتقدير بانهم لا يرجعون اي اهلكناهم  
 بالاستئصال ، لانهم لا يرجعون إلى اهليهم للاستئصال الواقع بهم ، وخبر الابتداء محذوف وتقديره حرام على  
 قرية اهلكناها بالاستئصال بقاؤهم او حياتهم ونحو ذلك<sup>٢</sup>.

٧. وعند اعرابه اللام في قوله تعالى : ( **لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** )<sup>٣</sup>. قال :

لام كي كانه قال : كي تكونوا ، واصلها لام الاضافة ، واللام في قوله : ( **وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً** ) لام  
 تأكيد ، وهي تلزم « ان » المخففة من الثقيلة ، لئلا تلتبس بـ « أن » التي بمعنى « ما » كقوله تعالى :  
 ( **إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ** )<sup>٤</sup> ، وهي لام الابتداء اخرت إلى الخبر في باب « ان » خاصة ، واما  
 اللام الثالثة في قوله ( **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ) فلام الجحد واصلها لام الاضافة ، والفعل  
 نصب باضمار « ان » ولا يظهر بعدها « ان » لان التاويل : ما كان الله مضيعا ايمانكم ، فلما حمل معناه  
 على التاويل ، حمل لفظه أيضاً على التاويل من غير تصريح باظهار « ان »<sup>٥</sup>.

كما يورد الشيخ الطوسي رايه وراي العلماء واختلافهم في الاعراب مما يؤكد سعة  
 اطلاعه في هذا المجال ، وقدرته على منافسة النحاة المشهورين واصحاب الراي من اصحاب  
 المدارس النحوية ، ومن ذلك نورد مايلي :

١. يس ( ٣٦ ) الآية ٥٠.
٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٢٣٥.
٣. البقرة ( ٢ ) الآية ١٤٣.
٤. الملك ( ٦٧ ) الآية ٢٠.
٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٦.

١. في قوله تعالى (فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ) <sup>١</sup> يذكر الشيخ الطوسي :

وقوله (فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ) نصب على الحال من قوله : (لَأَبْوَيْهِ) وتقديره. فلهؤلاء الورثة ما ذكرناه مفروضاً ، ذ (فَرِيضَةً) مؤكدة لقوله : (يُوصِيكُمُ اللَّهُ) هذا قول الزجاج ، وقال غيره : هو نصب على المصدر من قوله : (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) . فرضاً مفروضاً ، وقال غيره : يجوز ان يكون نصبا على التمييز من قوله : (فَأَلِّمَهُ السُّدُسُ) فريضة كما تقول : هو لك صدقة او هبة <sup>٢</sup> .

٢. ومن الآية (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَالِأَنثَىٰ أَوْ امْرَأَةٌ وَهِيَ آخٌ) <sup>٣</sup>

فيذكر الشيخ الطوسي في اعراب (كَالِأَنثَىٰ) بقوله :

(كَالِأَنثَىٰ) نصبه يحتمل امرين :

احدهما : على انه مصدر وقع موقع الحال ، وتكون كان تامة وتقديره : يورث متكلم النسب كالكالة. والثاني : بان يكون خبر كان ، ذكره الرماني والبلخي ، وتقديره « فان كان » ، رجل : اسم كان ويورث : صفتة ، وكاللة : خبره.

وهنا يتقدم الطوسي برأيه فيقول :

والاول هو الوجه ، لان (يُورَثُ) هو الذي اقتضى ذكر الكاللة ، كما تقول : يورث هذا الرجل كالكالة ، بخلاف من يورث ميراث الصلب ويورث كالكالة عصبية وغير عصبية <sup>٤</sup> .

٣. في الآية (مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَلِيمٌ) <sup>٥</sup> ، يذكر الشيخ الطوسي :

وقوله : (غَيْرِ مُضَارٍّ) نصب على الحال بمعنى : يوصي بذلك غير مضار ، وقال الزجاج : يجوز ان يكون نصبا على انه مفعول به.

١. النساء ( ٤ ) الآية ١١ .

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ١٣٣ .

٣. النساء ( ٤ ) الآية ١٢ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ١٣٥ .

٥. النساء ( ٤ ) الآية ١٢ .

٤ . وفي قوله تعالى ( **وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ** )<sup>١</sup> . يذكر الشيخ الطوسي :

وقوله : ( **وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ**

**قِصَاصٌ** ) من نصب جميع ذلك عطفه على المنصوب بواو الاشتراك ، ثم استأنف ، فقال :

( **وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ** ) ، ومن نصب الجروح عطفها على ما قبلها من المنصوبات ، ومن لم ينصب غير

النفس فعلى ان ذلك هو المكتوب عليهم ، ثم ابتدا ما بعده بيانا مبتداء ، ويحتمل ان يكون الواو عاطفة

جملة على جملة ، ولا يكون الاشتراك فيمن نصب ، ويحتمل ان يكون حمل على المعنى ، لان التقدير قلنا

لهم : ان ( **النَّفْسَ بِالنَّفْسِ** ) فحمل ( **وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ** ) على المعنى دون اللفظ ، ويحتمل ان يكون

عطف على الذكر المرفوع في الظرف الذي هو الخبر ، وان لم يؤكد المعطوف عليه بضمير منفصل ، كما

قال : ( **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا** )<sup>٢</sup> فلم يؤكد كما أكد في قوله : ( **يَرَأُكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ** )

<sup>٣</sup> ذكر الوجوه الثلاثة الزجاج واو علي الفارسي ، ومن نصب الجميع جعل الكل فيما كتب عليهم<sup>٤</sup> .

وقد يطيل الطوسي نقاشه مع العلماء ويقف كثيرا على ما قالوه مؤيدا تارة ومعترضا اخرى  
كما في قوله تعالى :

٥ . ( **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا**

**بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لِّمِنَ الظَّالِمِينَ** )<sup>٥</sup> .

يشير إلى اعراب ( **لَئِنْ** ) من هذه الآية فيقول :

اختلف النحويون في ان جواب ( **لَئِنْ** ) كان جواب ( لو ) ، فقال الاخفش ومن تبعه :

اجيبت بجواب « لو » لان الماضي وليها كمايلي « لو » ، فاجيبت بجواب « لو » ودخلت كل واحدة

منهما على صاحبها ، قال الله تعالى :

١ . المائدة ( ٥ ) الآية ٤٥ .

٢ . الأنعام ( ٦ ) الآية ١٤٨ .

٣ . الأعراف ( ٧ ) الآية ٢٧ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٥٣٠ .

٥ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٤٥ .

(وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) <sup>١</sup> فجرى مجرى ولو ارسلنا وقال : (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ) <sup>٢</sup> على جواب (لَئِنْ) وقال سيبويه وجميع اصحابه :

ان معنى (لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) ليظلمن ومعنى (لَئِنْ) غير معنى « لو » في قول الجماعة ، وان قالوا ان الجواب متفق لانهم لا يدفعون ان معنى (لَئِنْ) ما يستقبل ومعنى « لو » ماضى وحقيقة معنى « لو » انها تمتنع بما الشيء لامتناع غيره ، كقولك : لو اتيتني لآكرمتك ، اي لم تاتني فلم آكرمك ، فامتنع الاكرام لامتناع الاتيان ومعنى « ان » و « لئن » إنما يقع بحما الشيء لوقوع غيره تقول : ان تاتني آكرمك ، فالآكرام يقع بوقوع الاتيان ، وقال بعضهم : ان كل واحدة منهما على موضعها ، وانما لحق في الجواب هذا التداخل لدلالة اللام على معنى القسم ، فجاء الجواب بجواب القسم ، فاغنى عن جواب الجزاء لدلالته عليه ، لان معنى (لَظَلُّوا) « ليظلمن » ، وهذا هو معنى قول سيبويه :

ويجوز ان تقول : ان اتيتني لم آجفك ، ولا يجوز ان تقول : ان اتيتني ماجفوتك ، لان « ما » منفصلة ، و « لم » كجزء من الفعل ، الا ترى انه يجوز ان تقول : زيدا لم آضرب ولا يجوز زيدا ماضربت ، وانما يجاب الجزاء بالفعل او الفاء ، فاذا تقدم لام القسم جاز فقلت لئن اتيتني ماجفوتك <sup>٣</sup> .

وقد يطرح الشيخ الطوسي رايه فقط ، من دون ان يستشهد براي لغيره من النحاة ومن

ذلك الامثلة التالية :

١ . في قوله تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) <sup>٤</sup> . يقول الشيخ الطوسي في اعراب (لَنَبْلُوَنَّكُمْ) :

وفتحت الواو في (لَنَبْلُوَنَّكُمْ) لامرين :

احدهما : للعلة التي فتحت الراء في لننصركم وهو انه بني على الفتحة لانها اخف اذا استحق البناء على الحركة ، كما استحق ( يا ) في النداء حكم البناء على الحركة .

١ . الروم ( ٣٠ ) الآية ٥١ .

٢ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٠٣ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ١٨ .

٤ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٥٥ .

الثاني : انه فتح لالتقاء الساكنين اذا كان قبل معتلا لا يدخله الرفع<sup>١</sup>.

٢. وفي قوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ

فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ )<sup>٢</sup> ، يقول الشيخ الطوسي في اعرابها :

وقوله : (إِن تَطِيعُوا) جزم بانه شرط ، وقوله (يَرُدُّوكُمْ) جزم بانه جواب الشرط ، وقوله :

(فَتَنقَلِبُوا) جزم بالعطف عليه ، وقوله : (خَاسِرِينَ) نصب على الحال<sup>٣</sup>.

وقد يستعين الطوسي بالشعر العربي ليدعم به رأيا يتبناه في الاعراب ، فيستشهد بيت

من الشعر يتناسب والمقام ، وقد يذكر اسم قائله احيانا كما يغفله في احيان اخرى ، ومن

استشهاداته بالشعر على الاعراب نورد الامثلة التالية :

١. في الآية (أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)<sup>٤</sup>. يذكر الشيخ الطوسي في اعراب «ان»

قيل في موضع « ان » قولان :

احدهما : انه خفض بالباء وتقديره بان لاخوف ، هذا قول الخليل والكسائي والزجاج والثاني : ان يكون

موضعه نصبا على انه لما حذف حرف الجر نصب بالفعل كما قال الشاعر :

امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب<sup>٥</sup>

٢. في قوله تعالى : (وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا

وَبَبَّتْ أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)<sup>٦</sup>. ويقول الشيخ الطوسي :

وقولهم نصب بانه خبر (كَانَ) والاسم (أَنْ قَالُوا) وانما احتير ذلك ، لان ما بعد الايجاب معرفة ، فهو

احق بان يكون الاسم كقول الشاعر :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٨.

٢. آل عمران ( ٣ ) الآية ١٤٩.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ١٥.

٤. آل عمران ( ٣ ) الآية ١٧٠.

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٤٨.

٦. آل عمران ( ٣ ) الآية ١٤٧.

وقد علم الاقوام ما كان داءها بثهلان الا الخزي ممن يقودها<sup>١</sup>  
 ٣. وقوله تعالى : **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)** :

عطف على موضع ان المحذوفه في **(تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)** فرغ لاتعبدون  
 لماحذفت « ان » ، ثم عطف بالوالدين على موضعها : كما قال الشاعر :

معاوي اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد<sup>٢</sup>  
 ٤. وفي قوله تعالى : **(يُقْصُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)**<sup>٣</sup> . يقول الشيخ الطوسي :

والحق في قوله : **(يُقْصُ الْحَقُّ)** يحتل امرين :

احدهما : ان يكون صفة لمصدر محذوف وتقديره يقضي القضاء الحق او يقص القصص الحق.

والثاني : ان يكون مفعولا به يعجل الحق كقوله الهذلي :

وعليهما مسرورتان قضاها داود او صنع السوابغ تبع<sup>٤</sup>  
 اي صنعها داود<sup>٥</sup> .

٥. وفي قوله تعالى : **(وَإِنَّ كَلِمًا لَّمَّا لِيُوفَيْنَهُمْ رَبُّكَ ...)**<sup>٦</sup> ، يقول الشيخ الطوسي :

( واللام في قوله **(لَّمَّا)** يحتل ان تكون لام القسم ، دخلت على « ما » التي للتوكيد ، ويحتمل ان تكون

لام الابتداء ، دخلت على « ما » بمعنى الذي كقوله **(فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ)**<sup>٧</sup> .

ومثله **(وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئَنَّ)**<sup>٨</sup> ، قال الشاعر :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ١٢ .

٢. الطوسي ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

٣. الأنعام ( ٦ ) الآية ٥٧ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١٥٣ .

٥. نفس المصدر .

٦. هود ( ١١ ) الآية ١١٢ .

٧. النساء ( ٤ ) الآية ٣ .

٨. النساء ( ٤ ) الآية ٧٢ .

فلو ان قومي لم يكونوا اعززة لبعث لقيت لابد مصرعا<sup>١</sup>  
 ٦. وفي الآية (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ

الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ،<sup>٢</sup> يقول الشيخ الطوسي :

موضع (الَّذِينَ) يحتمل ثلاثة اوجه من الاعراب :

احدها : ان يكون نصبا على البدل من الذين نافقوا.

الثاني : الرفع على البدل من الضمير في يكتمون.

الثالث : الرفع على خبر الابتداء ، وتقديره : هم (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ)<sup>٣</sup>.

٧. في قوله تعالى : (وَلَكِنْ مَتَّئِمٌّ أَوْ قَاتِلٌمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشِرُونَ)<sup>٤</sup> . يرى الشيخ الطوسي :

اللام في قوله : (وَلَكِنْ مَتَّئِمٌّ أَوْ قَاتِلٌمْ) يحتمل امرين :

احدهما : ان يكون خلفا من القسم ويكون اللام في قوله : (لِإِلَى اللَّهِ) جوابا ، كقولك :

والله ان متم او قتلتهم لتحشرون إلى الله.

والثاني : ان تكون مؤكدة لما بعدها كما تؤكد ان مابعداها وتكون الثانية جوابا لقسم محذوف ، والنون مع

لام القسم في فعل المضارع لابد منها ، لان القسم احق بالتركيب من كلما تدخله النون من جهة ان ذكر

القسم دليل انه من مواضع التاكيد فاذا جاءت في غيره من الامر والنهي والاستفهام والعرض والجزاء مع ما

اذا كان ذكر القسم قد انبا انه من مواضع التاكيد ، لزم في ، لانه احق بهما من غيره<sup>٥</sup> .

٨. ويذكر الشيخ الطوسي في اعراب (ما) من قوله (مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ)<sup>٦</sup> قائلا :

( ما ) في قوله (مَا فَرَّطْتُمْ) يحتمل ثلاثة اوجه من الاعراب :

احدها : ان تكون منصوبة بـ ( تعلموا ) كانه قال لم تعلموا تفريطكم في يوسف.

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٧٥.

٢. آل عمران ( ٣ ) الآية ١٦٨.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٤٤

٤. آل عمران ( ٣ ) الآية ١٥٨.

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٢٩ . ٣٠.

٦. يوسف ( ١٢ ) الآية ٨٠.

الثاني : رفع بالابتداء والخبر ( من قبل ) .

الثالث : ان تكون صلة لاموضع لها من الاعراب ، لانها لم تقع موقع اسم معرب <sup>١</sup> .

٩ . ويذكر في اعراب ( ما ) من قوله تعالى ( **وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ** ) <sup>٢</sup> :

وقوله : ( **وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ** ) ، ( ما ) في قوله ( **وَلَهُمْ مَا** ) يحتمل وجهين من الاعراب :

احدهما : ان يكون في موضع نصب ، والمعنى ويجعلون لهم البنين الذين يشتهون .

والثاني : ان يكون في موضع رفع والتقدير وهم البنون ، على الاستئناف <sup>٣</sup> .

١٠ . وقوله تعالى : ( **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**

**شَيْئًا** ) <sup>٤</sup> . يقول المفسر :

وقوله ( **شَيْئًا** ) نصب على احد وجهين :

احدهما : ان يكون بدلا من ( **رِزْقًا** ) والمعنى مالاملك لهم رزقا قليلا ولا كثيرا .

والثاني : ان يكون منصوبا بـ ( **رِزْقًا** ) كما قال : ( **أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا** ) كانه قال

لاملك لهم رزق شيء <sup>٥</sup> .

وقديورد الشيخ بعض اراء العلماء على ما فيها من اختلاف دون ان يبدي برايه او

بتعليق عليها ، وهذه بعض الامثلة على ذلك :

١ . في اعراب ( **مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ** ) <sup>٦</sup> يقول :

ورفعت ( **الْأَبْوَابُ** ) لان تقديره مفتحة لهم ابوابها ، فدخلت الالف واللام بدلا من الاضافة كما يقولون

: مررت برجل حسنة عينه ، قبيح انفه ، يريدون قبيح الانف . ذكره الفراء . وقال الزجاج : تقديره مفتحة

لهم الابواب منها ولو نصب ( **الْأَبْوَابُ** ) لجاز كقول الشاعر :

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ١٧٩ .

٢ . النحل ( ١٦ ) الآية ٥٧ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٣٩٣ .

٤ . النحل ( ١٦ ) الآية ٧٣ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٤٠٨ .

٦ . ص ( ٣٨ ) الآية ٥٠ .

فما قومي بتغلبة بن سعد ولا بفزارة الشعث الرقابا<sup>١</sup>  
 ٢. وفي اعراب « ما » من قوله تعالى : (بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ  
 اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ) <sup>٢</sup>

يقول :

واختلفوا في ( ما ) فقال قوم من البصريين : هي وحدها اسم (أَنْ يَكْفُرُوا) تفسير له نحو نعم رجلا  
 زيد و (أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ) بدل من انزل.

وقال الفراء بئس الشيء اشتروا به انفسهم ان يكفروا ، ف ( ما ) اسم بئس (أَنْ يَكْفُرُوا) الاسم الثاني  
 .<sup>٣</sup>

٣. وفي الآية (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) <sup>٤</sup> . يقول المفسر :

واختلفوا في جواب القسم فقال قوم : هو محذوف وتقديره : جاء الحق وظهر ، لان حذف الجواب في  
 مثل هذا البلغ ، لان الذكر يقصر المعنى على وجه والحذف يصرف إلى كل وجه فيعم ، وقال قوم : جوابه  
 مادل عليه قوله : (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا) كانه قال :

والقرآن ذي الذكر ما الامر على ما قالوا ، ذكر ذلك قتادة ، وقال الفراء والزجاج :  
 الجواب ( كم ) وتقديره لكم اهلكنا ، فلما طال الكلام حذفت اللام وصارت ( كم ) جواباً للقسم  
 واليمين .<sup>٥</sup>

٤. وجاء في اعرابه (مَنَاصٍ) من قوله تعالى (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) <sup>٦</sup> . قوله :

وقيل : ان (مَنَاصٍ) جر بـ (لَاتَ) وانشدوا لابي زيد :

طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان ليس حين بقاء  
 وقال الزجاج : انشده ابوالعباس بالرفع ، وقد روي بالكسر ، وقال الزجاج : من كسر رأى

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٥٢٤ .

٢. البقرة ( ٢ ) الآية ٩٠ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .

٤. ص ( ٣٨ ) الآية ٣ .

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٥٤١ .

٦. ص ( ٣٨ ) الآية ٣ .

ان يجعله مبنيًا بمنزلة نداء ذلك الاقوام وبناه فحذف المضاف إليه دون ان يضم لانه نونه فاجراه على نظائره من المنون المبني واراد ولات اوانا<sup>١</sup>.

٥. وفي قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)** <sup>٢</sup>.

يقول الشيخ الطوسي:

واختلفوا في نصب **(خَيْرًا لَكُمْ)** فقال الخليل وجميع البصريين:

ان ذلك محمول على المعنى، لانك اذا قلت: انته خيرا لك، فانت تدفعه عن امر وتدخله في غيره، كانك قلت: انته وات خيرا لك، وادخل فيما هو خير لك وانشد الخليل وسيبويه قول عمر بن ابي ربيعة:

فواعديهِ سر حـ تي مالـك او الربـا بينهما اسـهـلا

وتقديره واتى مكانا سهلا، وقال الكسائي: انتصب بخروجه من الكلام.

قال: وهذا تفعله العرب في الكلام التام نحو قولك لتقومن خيرا لك وانته خيرا لك فاذا كان الكلام ناقصا لم يجر غير الرفع تقول:

ان تنته خير لك وان تصيروا خيرا لكم.

وقال الفراء: انتصب ذلك لانه متصل بالامر، وهو من صفته، الا ترى انك تقول: انته خيرا لك، فلما اسقطت هو اتصل بما قبله، وهو معرفة فانتصب، وقال ابو عبيدة انتصب ذلك على اضممار كان، كانه قال: فامنوا يكن الايمان خيرا لكم، قال: وكذلك كل امر ونهي، قال الفراء: يلزم على ذلك ما يطله، الا ترى انك تقول: « اتق الله تكن محسنا »، ولا يجوز ان تقول: « اتق الله محسنا » باضممار « كان » ولا يصلح ان تقول: « انصرنا اخانا »، وانت تريد تكن اخانا، وقال قوم: انتصب ذلك بفعل مضمر اكتفى في ذلك المضمر بقوله: لا تفعل ذلك وافعل صلاحا لك<sup>٣</sup>.

١. الطوسي، التبيان، ج ٨، ص ٤٩٦.

٢. النساء (٤) الآية ١٧٠.

٣. الطوسي، التبيان، ج ٣، ص ٣٩٨.

٦. وفي قوله تعالى (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) <sup>١</sup>.

يقول الشيخ الطوسي :

وذكروا في موضع (من) وجهين من الاعراب :

قال بعضهم : موضعه نصب على حذف الباء ، وتقديره اعلم بمن يضل ؛ ليكون مقابلا لقوله (وَهُوَ

أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ).

وقال الفراء والزجاج : موضعها الرفع لأنها بمعنى « اي » كقوله (لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزِينِ) <sup>٢</sup> وصفة «

افعل » من كذا لاتتعدى لأنها غير جارية على الفعل ، ولامعدولة عن الجارية كعدل ضروب عن ضارب

ومنحار عن ناجر ، وقال قوم : ان (أَعْلَمُ) هاهنا بمعنى يعلم كماقال حاتم الطائي :

فخالفت طي من دوننا خلفا      واللّه اعلم ما كنا لهم حولا

وقالت الخنساء :

القوم اعلم ان جفنته      تغدو غداة الريح او تسري

قال الرماني : هذا لايجوز ، لانه لايطابق قوله : (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) فمعنى الآية ان الله تعالى

اعلم بمن يسلك سبيل الضلال المؤدي إلى الهلاك بالعقاب ومن سلك سبيل الهدى المفضي به إلى النجاة

والثواب <sup>٣</sup>.

## القراءة

ضل الشيخ الطوسي ملتزما بما التزم به سلفه من علماء الإمامية ولايكاد يختلف معهم في

شيء الا ماندر.

وقد سرى التزامه وتبنيه لاراء اولئك الاعلام في المدرسة الإمامية حتى في موضوع القراءة

اذ يقول في هذا الصدد :

١. الأنعام ( ٦ ) الآية ١١٧.

٢. الكهف ( ١٨ ) الآية ١٢.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٢٥٠.

ان العرف في مذهب اصحابنا والشائع من اخبارهم ورواياتهم ان القرآن نزل بحرف واحد ، على نبي واحد ، غير انهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء وان الإنسان مخير باي قراءة شاء قرأ. وكرهوا تجويز قراءة بعينها ، بل اجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القراء ، ولم يبلغوا بذلك حد التحريم والحظر<sup>١</sup>.

ومن ثم يردف مرجحاً لهذا الرأي فيقول :

الوجه الاخير اصلح الوجوه على ما روي عنهم (ع) من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه<sup>٢</sup>.

ولكن تبني الشيخ الطوسي لهذا الرأي لا يعني انه قد غرض الطرف عن كل مقاله القراء وانما كان . وفق نزعتة التحقيقية . لا يقبل اقوالهم الا بعد النظر والتدقيق ، فيمحص اراءهم ويضعف بعضها ويرد على البعض الاخر ، ومن ذلك ماورد في تفسيره لقوله تعالى : **(وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ )**.

فقال مفسرنا : لا يمد القراء الالف من « ما » الا حمزة فانه مدها. ثم يقول :

« وقد لحن في ذلك »<sup>٣</sup>.

كما نجد الطوسي يخطئ قراءة ابي وعبد الله في معرض تفسيره لقوله تعالى :

**(وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ)**<sup>٤</sup>. فيقول :

« واعتلوا » ان « في قراءة ابي : **(وماتسئلُ)** وفي قراءة عبد الله : **( ولن تسئل )** »

فقال الطوسي : مفندا : « وهذا غير صحيح »<sup>٥</sup>.

وقد اظهر الشيخ الطوسي اهتماما كبيرا في موضوع القراءات عند تفسيره للآيات القرآنية

اذ قلما يذكر اية ولا يذكر ما قيل فيها من اراء القراء ، وقد اورد الطوسي جملة من

١. انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٩.

٢. نفس المصدر.

٣. انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٥٨.

٤. البقرة ( ٢ ) الآية ١٢٠.

٥. انظر التبيان ، ج ١ ، ص ٤٣٧.

القراء المشهورين في تبيانه واعتمد قراءاتهم ومن اولئك :

عبد الله بن عامر الدمشقي ( ت ١١٨ هـ ).

ابن كثير المكي ( ت ١٢٠ هـ ).

عاصم الكوفي ( ت ١٢٧ هـ ).

ابو عمرو بن العلاء ( ت ١٥٤ هـ ).

حمزة الكوفي ( ت ١٥٦ هـ ).

نافع المدني ( ت ١٦٩ هـ ).

والكسائي الكوفي ( ت ١٨٩ هـ ).

يعقوب بن اسحاق ( ت ٢٠٥ هـ ).

وخلف بن هشام ( ت ٢٨٦ هـ ).

كما تعرض المفسر إلى ذكر الاختلافات الواردة بين اراء القراء ، مع ايراد حجة كل واحد منهم ، اذ كان يرجح احيانا بعض الاراء على البعض الاخر ، وقد استعان الطوسي بشعرالشعراء في تأييد راي من الاراء التي قالها القراء ، وقد نجده يسهب احيانا ويستطرد في القراءة بينما نجده يوجز في مواضع اخرى في التفسير ، والذي يستنتجه الدارس لتفسير الشيخ الطوسي ، هو تضلع الرجل بمختلف الفنون التي تقتضيها العملية التفسيرية ، حيث نراه يعارض القراء ويناقش اراءهم ، ويدلي برأيه في القراءة كما هو الحال في اللغة والنحو والشعر وصنوف الاداب التي تضمنتها لغة القرآن الكريم.

ونحن هنا نورد بعض النماذج التي يمكنها ان تعطينا صورة واضحة عن طريقة تعامل

مفسرنا مع القراءة والقراء :

فنشاهده عبر الامثلة التالية كيف يذكر اختلاف القراء واءاءهم مع تناوله لادلتهم التي

اعتمدها :

١. فقد جاء تفسيره لقوله تعالى : **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)** <sup>١</sup> قوله :

قرا ابن كثير في رواية ابن مجاهد عن قنبل والكسائي عن طريق ابن حمدون ويعقوب من طريق رويس بالسين ، وكذلك في سراط ، في جميع القرآن. الباقر بالصاد واشم الصاد زايا حمزة في الموضوعين <sup>٢</sup> ، خاصة في رواية علي بن سالم ، وفي رواية الدوري وخلاد اشمامها الزاي ماكان فيه الف ولام ، واما الصاد اذا سكنت وكان بعدها دال نحو : يصدر ، وفاصدع ، ويصدقون ، فاشم الصاد الزاي حيث وقع ، حمزة والكسائي وخلف ورويس <sup>٣</sup> .

ويذكر الشيخ الطوسي حجج هذه الاراء بقوله :

فمن قرا بالسين فلانه الاصل ، من غير سبب يمتنع منه ومن قرا باشمام الزاي فللمؤ احة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاء من غير ابطال للاصل. ومن قرا بالصاد بين الصاد والطاء بالاستعلاء والاطباق <sup>٤</sup> .

ثم يرجح الطوسي القراءة بالصاد وبين ذلك بقوله :

« والقراءة بالصاد احسن لان فيها جمعا بين المتشاكلين في المسموع » <sup>٥</sup> .

٢. وجاء في تفسيره لقوله تعالى **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ**

**مُصْلِحُونَ)** <sup>٦</sup> قوله :

**(قِيلَ)** ضم القاف فيها وفي اخواتها الكسائي وهشام ورويس.

ووافقهم ابن ذكوان في السين والحاء ، مثل : حيل وسيق وسيئت ، ووافقهم أهل المدينة في سيق وسيئت <sup>٧</sup> .

ويذكر الشيخ الطوسي مجمع الاراء التي قيلت في قراءة القاف بقوله :

فمن ضم ذهب إلى ماحكى عن بعض العرب : قد قول ، وقد بوع المتاع ، بدل قيل وبيع ،

١. الفاتحة ( ١ ) الآية ٦ .

٢. كذا في المصدر ، والصحيح : « الموضوعين » .

٣ و ٤ و ٥. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٤٠ .

٦. البقرة ( ٢ ) الآية ١١ .

٧. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٧٤ .

ومن كسرهما قال : لان ياء الساكنة لاتكون بعد حرف مضموم ، ومن اشتم قال : اصله قول ، فاستثقلت الضمة فقلبت كسرة ، واشتمت ليعلم ان الاصل كانت ضمة <sup>١</sup>.

٣. وفي تفسيره لقوله تعالى : **(إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ)** <sup>٢</sup> جاء قوله في **(نعما)**

وضعف النحويون باجمعهم قراءة ابي عمرو ، وبين الشيخ حججهم في ذلك بقوله:

وقالوا لا يجوز اسكان العين مع الادغام وانما هو اخفاء يظن السامع انه اسكان ، وانما لم يجوز الاسكان مع الادغام لانه جمع بين ساكنين في غير حروف المد واللين في نحو دابة وغير ذلك ، وقد انشد سيبويه في الجمع بين ساكنين مثل اجتماعهما في نعما قول الشاعر :

كانهـا بعـد الزاجـر \_\_\_\_\_ ومسـحـه مر عـقـاب كاسـر <sup>٣</sup>

٤. وجاء في تفسيره لقوله تعالى : **(فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي**

**وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا)** <sup>٤</sup> فقال :

قرا حمزة والكسائي وخلف **(وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا)** بتقديم المفعولين على الفاعلين والباقون **(وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا)** بتقديم الفاعلين على المفعولين ، وشدد التاء من **(قُتِلُوا)** ابن كثير وابن عامر ، وقرا عمر بن عبد العزيز **(وَقُتِلُوا)** بلا الف **(وَقُتِلُوا)** <sup>٥</sup>.

ثم يرد الشيخ على قول الطبري ويبين حجته في ذلك فيقول :

وقال الطبري : القراءة بتقديم المفعولين لا تجوز ، وهذا خطأ ظاهر ؛ لان من اختار اسم الفاعلين على المفعولين ، وجه قراءته ان القتال قبل القتل ، ومن قدم المفعولين على الفاعلين وجه قراءته يحتمل امرين : احدهما : ان يكون المعطوف بالواو ويجوز ان يكون اولاً في المعنى ، وان كان مؤخرًا في اللفظ ، لان الواو لا يوجب الترتيب وهي تخالف الفاء في هذا المعنى وهكذا خلافهم في

١. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٧٤.

٢. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٧١.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٥٢.

٤. آل عمران ( ٣ ) الآية ١٩٥.

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٨٨.

سورة التوبة.

والثاني : ان يكون لماقتل منهم قاتلوا ولم يهنوا ولم يضعفوا لمكان من قتل منهم ، كما قال تعالى : **(فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ )**

<sup>١</sup> وقوله : **( فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي )** اي باي وحذف الباء ولو قرئ بكسر الهمزة كان جائزاعلى تقدير : قال لهم **(أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ)** <sup>٢</sup>.

٥. وفي تفسيره لقوله تعالى : **( لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا**

**عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ )** <sup>٣</sup> يقول الشيخ الطوسي :

قرا **( عاقَّدْتُم )** بالالف ابن عامر ، و **(عَقَّدْتُمْ)** بلا الف مع تخفيف القاف حمزة والكسائي ، وابوبكر عن عاصم ، والباقون بالتشديد ، ومنع من القراءة بالتشديد الطبري ، ثم يورد الشيخ حجة الطبري في ذلك بقوله : لانه لا يكون الا مع تكرير اليمين والمؤاخذة تلزم من غير تكرير بلاخلاف ، الا ان الشيخ يرد عليه بقوله : وهذا ليس بصحيح ، لان تعقيد اليمين ان يعقدها بقلبه ولفظه ولوعقد عليها في احدهما دون الاخر ، لم يكن تعقيدا ، وهو كالتعظيم الذي يكون تارة بالمضاعفة ، وتارة بعظم المنزلة ، وقال ابو علي الفارسي من شدد احتمال امرين :

احدهما : ان يكون الفعل لقوله : **(وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ)** مخاطبا الكثرة فهو مثل **(وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابُ )**.

والاخر : ان يكون عقد مثل « ضعف » لا يراد به الكثير كما ان ضاعف لا يراد به فعل من اثنين ، ومن قرا بالتخفيف جاز ان يريد به الكثير في الفعل والقليل الا ان « فعل » يختص بالكثير كما ان الركبة تختص بالخال التي يكون عليها الركوب وقالوا : عقدت الحبل والعهد واليمين عقدا ، الا ترى انها تتلقى بما يتلقى به القسم <sup>٤</sup>.

ثم يستشهد الشيخ بقول الشاعر :

١. آل عمران ( ٣ ) الآية ١٤٦.

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٨٨.

٣. المائدة ( ٥ ) الآية ٨٩.

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١١.

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم

« ويقال : اعقدت العسل فهو معقد وعقيد ، وحكى ابو اسحاق عقدت العسل »<sup>١</sup> ،

ويذكر الشيخ رايه هنا فيقول :

« والاول اكثر »<sup>٢</sup> .

٦ . وفي تفسيره لقوله تعالى ( **مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** )

<sup>٣</sup> يذكر الشيخ الطوسي :

قرا أهل العراق ( **وَيَذَرُهُمْ** ) بالياء واسكن الراء منه حمزة والكسائي وخلف الباقون بالنون وضم الراء<sup>٤</sup> .

ويبين الشيخ حجة كل من هذه الاراء قائلا :

من قرا بالنون قال : لان الشرط من الله ، فكانه قال : ( **مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ** ) فذرههم ، ومن قرا بالياء رده

إلى اسم الله تعالى ، وتقديره الله يذرههم ، ومن ضم الراء قطعه عن الاول ، ولم يجعله جوابا ، ويجوز ان

يكون اضمرا مبتدئا ، وكان تقديره ونحن نذرههم فيكون في موضع الجزم ، ويجوز ان يكون استئناف الفعل

فيرفعه ، ومن جزمه فانه عطفه على موضع الفاء وما بعدها من قوله : ( **فَلَا هَادِيَ لَهُ** ) لان موضعه

جزم ، فحمل ( **وَيَذَرُهُمْ** ) على الموضوع ومثله في الحمل على الموضوع ، قوله تعالى ( **فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ** )

( <sup>٥</sup> ) لانه لو لم يلحق الفاء لقلت لولا اخرتني اصدق لان معنى ( **لَوْلا أَخْرَتَنِي** )<sup>٦</sup> اخرتني اصدق ،

فحمل قوله تعالى ( **وَأَكُنْ** ) على الموضوع<sup>٧</sup> .

وهكذا تعامل الطوسي مع القراء وارئهم المختلفة ، بشيء من التفصيل ، بينما نجده

وكما في الامثلة التالية يوجز كثيرا ، عندما يتعرض لموضوع القراءة وارئ القراء ومن ذلك مايلي :

١ و ٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١١ .

٣ . الأعراف ( ٧ ) الآية ١٨٦ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٤٥ .

٥ و ٦ . المنافقون ( ٦٣ ) الآية ١٠ .

٧ . الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٤٦ .

١. جاء في تفسيره لقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ )<sup>١</sup> قوله :
- قرا ابن عامر واهل الكوفة بتحقيق الهمزتين ، وكذلك كل همزتين مختلفتين من كلمتين ، الباقون بتخفيف الاولى وتلين الثانية<sup>٢</sup> .
٢. وفي تفسيره لقوله تعالى (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا)<sup>٣</sup> . جاء قوله :
- فقرئ في الشواذ ( وَإِذَا لَاقُوا الَّذِينَ ) قراها اليماني<sup>٤</sup> .
٣. وجاء في تفسيره لقوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ )<sup>٥</sup> قوله في الرؤف :
- « قرا ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم (لَرُؤُوفٌ) على وزن لرعوف ، الباقون (لَرُؤُوفٌ) على وزن فعل »<sup>٦</sup> .
٤. وذكر في تفسيره لقوله تعالى (سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا)<sup>٧</sup> :
- « قرا حمزة وحده ( سَيَكْتُبُ ) بضم الياء ، الباقون بالنون »<sup>٨</sup> .
٥. وفي تفسيره لقوله تعالى (وَإِمَّا يُنَسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ)<sup>٩</sup> :
- « قرا ابن عامر : (وَإِمَّا يُنَسِيَنَّكَ) بتشديد السين ، الباقون بالتخفيف »<sup>١٠</sup> .
٦. وفي تفسيره لقوله تعالى : (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ)<sup>١١</sup> يقول :

١. البقرة ( ٢ ) الآية ١٣ .  
 ٢. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٧٧ .  
 ٣. البقرة ( ٢ ) الآية ١٤ .  
 ٤. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٧٨ .  
 ٥. البقرة ( ٢ ) الآية ١٤٣ .  
 ٦. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٥ .  
 ٧. آل عمران ( ٣ ) الآية ١٨١ .  
 ٨. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٦٥ .  
 ٩. الأنعام ( ٦ ) الآية ٦٨ .  
 ١٠. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١٦٤ .  
 ١١. الانفال ( ٨ ) الآية ٥٩ .

الشيخ الطوسي في (وَلَا يَحْسَبَنَّ) « قرأ ابن عامر وحمزة وحفص وابو جعفر (وَلَا يَحْسَبَنَّ) بالياء ، الباقر بالتاء »<sup>١</sup>.

٧. وفي تفسيره لقوله (يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ)<sup>٢</sup> يقول الشيخ الطوسي في اصلوتك : « قرأ أهل الكوفة الا ابا بكر ( اصلوتك ) على التوحيد ، الباقر على الجمع »<sup>٣</sup>.

وقد لا يكتفي الطوسي بذكر اراء القراء او اختلافاتهم ، وانما يعتمد في مواضع كثيرة ، إلى طرح جملة من الاراء ، ثم يرجح رايا على راى ، ويورد في ذلك حجة وكما فعل في الامثلة التالية :

١. عند تفسيره لقوله تعالى (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا)<sup>٤</sup> يقول الشيخ الطوسي في قوله تعالى : (وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) :

قرأ يعقوب وحده (وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) بالنصب على تقدير وجعل كلمة الله هي العليا ومن رفع استأنف.

وقد رجح الشيخ هذا الراى بقوله : « وهو ابلغ ، لانه يفيد ان كلمة الله العليا على كل حال »<sup>٥</sup>.

٢. وفي تفسيره لقوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ)<sup>٦</sup> ، يقول الشيخ الطوسي في ( آيات ) :

قرأ ابن كثير وحده ( آيات لِلْسَّائِلِينَ ) على التوحيد ، الباقر على الجمع : قال ابو علي النحوي من افرد جعل شانه كله اية.

ودعم الشيخ الطوسي ذلك الراى بقوله :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ١٤٦.

٢. هود ( ١١ ) الآية ٨٧.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٤٩.

٤. التوبة ( ٩ ) الآية ٤١.

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٢٢١.

٦. يوسف ( ١٢ ) الآية ٧.

ويقوي ذلك قوله : ( **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً** )<sup>١</sup> فافرد كل واحد منهما على انفراده ، يجوز ان

يقال اية فافرد مع ذلك ، ومن جمع جعل كل واحد من احواله اية<sup>٢</sup> .

٣. وفي تفسيره لقوله تعالى : ( **وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى**

**رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ الَّذِي فَطَعَنْ أَيْدِيَهُنَّ** )<sup>٣</sup> قال الشيخ الطوسي :

قرا البرجي والسلموني ( **النَّسُوءَ** ) بضم النون ، والباقون بكسرهما وهما لغتان وبين الشيخ بعد ذلك رايه

بقوله والكسر افصح<sup>٤</sup> .

٤. وفي تفسيره لقوله تعالى : ( **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا** )<sup>٥</sup> يذكر الشيخ

الطوسي القراءات في ( **أَمَرْنَا** ) قائلا :

قرا يعقوب ( **أَمَرْنَا** ) بمد الهمزة ، وعن الحسن ( **أَمَرْنَا** ) بالتشديد وروي عنه ( **أَمَرْنَا** ) بكسرالميم خفيفة.

ثم يطرح الشيخ الطوسي رايه ، قائلا : « وهي ردئة »<sup>٦</sup> .

٥. وفي تفسيره لقوله تعالى ( **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا**

**دُمْتُ حَيًّا** )<sup>٧</sup> يقول الشيخ الطوسي في قراءة ( **وَأَوْصَانِي** ) :

« يقول الكسائي : ( **إِتَانِي وَأَوْصَانِي** ) بالامالة ، الباقون بالتفخيم » وبين الشيخ

الطوسي الحجة في ذلك حيث يقول :

فمن أمال ، فلان هذه الالف تنقلب ياء في ( **أَوْصِيَتْ** ) فأمال لمكان الياء ، ومن لم يمل فلمكان

الالف.

ثم يبين الشيخ بعد ذلك رايه مرجحا الامالة في ( **ءَاتَانِي** ) بقوله « والامالة في ( **ءَاتَانِي**

(

١. المؤمنون ( ٢٣ ) الآية ٥٠.

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٩٩.

٣. يوسف ( ١٢ ) الآية ٥٠.

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ١٥٢.

٥. الاسراء ( ١٧ ) الآية ١٦.

٦. الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٤٥٨.

٧. مريم ( ١٩ ) الآية ٣١.

أحسن من الامالة في (أوصاني) « ويبين حجته في ذلك بقوله :

لان في (أوصاني) حرفا مستعليا يمنع من الامالة ، ومع ذلك فهو جائز كصفي وطغى<sup>١</sup> .

٦ . وفي تفسيره للآية الكريمة (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ )<sup>٢</sup> اورد

اقوالا في قراءة (إِنَّ اللَّهَ) بفتح همزة (إِنَّ) وكسرهما ، فقال : « قرأ ابن كثير وابو عمرو ونافع ويعقوب الا روحا (وَإِنَّ اللَّهَ) بفتح الهمزة ، الباقون بكسرهما » ، ثم يورد احتمالات من نصب الهمزة ، فيقول :

احدها : ان المعنى ، وقضى الله (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) في قول ابي عمرو بن العلاء. والثاني : انه

معطوف على كلام عيسى ، اي اوصاني (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) والثالث : قال الفراء : انه معطوف

على ( ذلك عيسى بن مريم ) وذلك (إِنَّ اللَّهَ ) ويكون موضعه الرفع بانه خبر المبتدأ. والرابع :

ولان الله ربي وربكم فاعبدوه ، والعامل فيه (فَاعْبُدُوهُ).

ويبين الشيخ الطوسي حجة في كسر همزة ( اَنَّ ) بقوله ومن كسر ( اَنَّ ) استأنف

الكلام ، ثم بعد ذلك يرجح الرأي الاخير ، مستندا على رواية عن ابي فيقول :

ويقوي الكسر انه روي ان ابيا قرأ : (إِنَّ اللَّهَ) بلا واو ويجوز ان يكون عطفا على قوله : (قَالَ إِنِّي

عَبْدُ اللَّهِ )<sup>٣</sup> .

٧ . وفي تفسيره لقوله تعالى : ( إِنِّي أَنسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ

(<sup>٤</sup> يقول الشيخ الطوسي في قراءة (جذوة) :

قرأ عاصم (جذوة) بفتح الجيم وقرأ حمزة وخلف بضمها ، الباقون . بكسر الجيم . وفيه ثلاث لغات ، فتح

الجيم وضمها وكسرهما ، وبعد ان يبين الشيخ الطوسي القراءات ، يورد رأيه مرجحا للكسر ، فقال والكسر

اكثر وافصح<sup>٥</sup> .

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ١١٠ .

٢ . مريم ( ١٩ ) الآية ٣٦ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ١١٢ .

٤ . القصص ( ٢٨ ) الآية ٢٩ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ١٢٧ .

٨. وفي تفسيره لقوله تعالى : **(وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ)** <sup>١</sup> يقول في **(وَالَّذِينَ قُتِلُوا)**:

قرا أهل البصرة وحفص عن عاصم : **(وَالَّذِينَ قُتِلُوا)** على ما لم يسم فاعله بضم القاف وكسر التاء ،  
الباقون **( قاتلوا )** بالف من المفاعلة وقرئ شاذاً **(قُتِلُوا)** بفتح القاف وتشديد التاء ، وقد رجح الشيخ  
الطوسي القراءة بالف بقوله : من قرا بالف كان اعم فائدة ، ويبين حجة ذلك بقوله : لانه يدخل فيه من  
قتل <sup>٢</sup>.

وهكذا تتأكد قدرة الطوسي في هذا المجال وتوضح الجوانب الثقافية المتعددة لشخصية  
المفسر الذي اقتحم باب التفسير وهو مزود بكل ما يحتاجه المفسر ، ولذلك اجاد واحسن  
واصاب.

اضافة إلى ماتقدم فقد استخدم الشيخ الطوسي الشعر واستفاد من اشعار الشعراء في  
تأييد راي او ترجيح قول لاحد من القراء ، وهو بذلك لم يترك سلاحاً يمكنه الاستعانة به في  
حلبة التفسير ، الا وحمله ليستعين به وقت الحاجة وعند ماتستدعي الضرورة ذلك ، والامثلة  
التالية تبين كيف سخر المفسر الشعر في مجال القراءة ، حيث يستشهد مرة ببيت او بيتين ،  
بينما يكتفي مرة اخرى بشطر او عجز وحسبما يقتضي الموقف.

١. ورد في تفسيره لقوله تعالى : **( مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ )** قوله :

قرا عاصم والكسائي وخلف ويعقوب **(مَالِكِ)** بالالف ، الباكون **(مَالِكِ)** بغير الف ولم يمل احد الف  
**(مَالِكِ)** وكسر جميعهم الكاف ، وروي عن الاعمش انه فتحها على النداء ، وربيعه بن نزار يخففون  
**(مَالِكِ)** ويسقطون الالف ، فيقولون : **( مَلِكِ )** بتسكين اللام وفتح الميم ، كما قال ابو النجم :  
تمشي الملك عليه حلله <sup>٣</sup>.

٢. وجاء في تفسيره لقوله تعالى **(وَكَايِّنَ مِّنْ نَّبِيٍّ)** <sup>٤</sup> :

١. محمد ( ٤٧ ) الآية ٤ .

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٢٨٧ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٣٣ .

٤. آل عمران ( ٣ ) الآية ١٤٦ .

قرا ابن كثير (كَأَيِّن) على وزن كاعن ، الباقون (كَأَيِّن) مشددة على وزن كعين معناهما واحد ، وهو بمعنى  
كما قال جرير :

وكأين بالباطح من صديق يراني لو أصبت هو المصايبا  
وقال اخر :

وكأين رددنا عنكم من مدح يجيء امام الالف يردي مقنعا  
ومثل المشدد قول الشاعر :

كأين في المعاشر من اناس اخوهم فوهم وهم كرام<sup>١</sup>

٣. وفي تفسيره لقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ) <sup>٢</sup> جاء قوله في (يُغْلَ) :

قرا ابن كثير وابن عمرو وعاصم (يُغْلَ) بفتح الياء وضم الغين ، الباقون بضم الياء وفتح  
الغين.

وهنا يورد الشيخ الطوسي حجة الراي الاول قائلا :

فمن قرا بفتح الياء وضم الغين فمعناه ماكان لني ان يخون يقال من الغنيمة غل يغل اذا خان فيها ، ومن  
الخيانة اغل يغل ، قال النمرين تولب :

جزى الله عنا حمزة ابنة نوفل جزاء مغل بالامانة كاذب  
بما سالت عني الوشاة ليكنذبوا علي وقد اوليتها في النوائب<sup>٣</sup>

٤. وفي تفسيره لقوله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ) <sup>٤</sup> :

قرا الكسائي وحده (أَرَأَيْتُمْ) وما جاء منه اذا كان استفهاما بحذف الهمزة التي بعد الراء ، والباقون  
بأثباتها وتخفيفها ، الا أهل المدينة ، فاتخم جعلوها بين بين ، فان كان غير استفهام ، اتفقوا على اثبات  
الهمزة وتخفيفها الا مارواه ورش في تحقيقها في ستة مواضع ذكرت في باب الهمزة في القراءات ، من حقق  
الهمزة ، فلانه « فعلت » من الرؤية فالهمزة عين الفعل ، ومن خفف ، فانه جعلها بين بين ، وهذا  
التخفيف على قياس التحقيق ، ومن

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ١٠.

٢. آل عمران ( ٣ ) الآية ١٦١.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٣٤.

٤. الأنعام ( ٦ ) الآية ٤٠.

حذف الهمزة فعلى غير مذهب التخفيف ، لان التخفيف القياس فيها ، ان تجعل بين كما فعل نافع ،

وهذا حذف كما قالوا « ويلمه » ، وكما انشد احمد بن يحيى:

« ان لم اقاتل فالبسوني برقعا ».

وقال ابو الاسود :

« يا بن المغيرة رب امر معضل ».

وذكر ان عيسى كذلك ، كان يقرؤها ويقوى ذلك قول الراجز :

اريت ان جاءت به املودا مـرجلا ويلبس الـبيرودا<sup>١</sup>

٥. وجاء في تفسيره لقوله تعالى ( **وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** )<sup>٢</sup> قوله في

( **يُلْحِدُونَ** )

قرا حمزة ( **يُلْحِدُونَ** ) بفتح الحاء والياء . هاهنا . وفي النحل وحم السجدة وافقه الكسائي وخلف في

النحل ، والباقون بضم الياء ، من قرا بكسر الحاء ، فلقوله : ( **وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ** )<sup>٣</sup> .

والحد اكثر في الكلام ، قال الشاعر :

ليس الامام بالشحيح الملحد ولا يكاد يسمع لاحد<sup>٤</sup>

٦. وفي تفسيره لقوله تعالى ( **إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى** )<sup>٥</sup> .

يذكر الشيخ الطوسي في قراءة ( **بِالْعُدْوَةِ** ) :

قرا ابن كثير وابو عمرو ( **بِالْعُدْوَةِ** ) بكسر العين ، الباقون بضمها ، وهما لغتان ، قال الراعي في الكسر :

وعينان حمر ماقيهما كما نظر العدو الجوذر

وقال اوس بن حجر في الضم :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١٣٢

٢. الأعراف ( ٧ ) الآية ١٨٠ .

٣. الحج ( ٢٢ ) الآية ٢٠ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٣٩ .

٥. الانفال ( ٨ ) الآية ٤٢ .

وفارس لا يحل الحي عدوته ولو سارعا وما هموا باقبال<sup>١</sup>  
٧. وفي تفسيره لقوله تعالى : ( **وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ** )<sup>٢</sup> قوله في قراءة ( **ضَيْقٍ** ) «  
قرا ابن كثير واسماعيل عن نافع ( **ضَيْقٍ** ) بكسر الصاد ، الباكون بفتحها » وهنا يورد المفسر حجة  
من فتحها بقوله :

فمن فتح اراد ( **ضَيْقٍ** ) مخفف مثل سيد وسيد ، وميت وميت وهين وهين ، ويجوز ان يكون اراد جمع  
ضيقة.<sup>٣</sup>

ويستشهد بقول الشاعر :

كشف الضيقة عنا وفسح<sup>٤</sup> .

### الشعر

رغم الموقف السلبي الذي اتخذته الشيخ الطوسي ازاء الشعر ، الا انه لم يستبعده عن  
التفسير وكثيرا ما كان يستشهد به في توضيح معنى او تبين لفظ او تحديد مفهوم.  
ويبدو ان مفسرنا قد لجأ إلى الاستشهاد بالشعر في تفسيره للآيات القرآنية مكرها ،  
وهذا ما صرح به في مقدمة تفسيره ، حيث يقول :

ولولا عناد الملحدين وتعجرفهم ، لما احتيج إلى الاحتجاج بالشعر وغيره للشيء المشتبه في القرآن ، لان  
غاية ذلك ان يستشهد عليه ببيت شعر جاهلي ، او لفظ منقول عن بعض الاعراب ، او مثل سائر عن  
بعض أهل البادية ، ولا تكون منزلة النبي<sup>٩</sup> اقل من منزلة واحد من هؤلاء ، ولا ينقص عن رتبة النابغة  
المجدي ، وزهير بن الكعب وغيرهم ، ومن طرائف الامور ان المخالف اذا اورد عليه شعر من ذكرناهم ومن  
هم دوغم سكنت نفسه ، واطمان قلبه ، هو لا يرضى بقول محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب ومهما شك

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ١٢٦ .

٢. النحل ( ١٦ ) الآية ١٢٧ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٤٣٩ .

٤. نفس المصدر .

الناس في نبوته ، فلامرية في نسبه وفصاحته ، فانه نشأ بين قومه ، الذين هم الغاية القصوى في الفصاحة ويرجع اليهم في معرفة اللغة<sup>١</sup>.

ثم يستطرد الطوسي مبرراً . استشهاده بالشعر فيقول :

وانما يحتج علماء الموحدين بشعر الشعراء وكلام البلغاء اتساعا في العلم وقطعا للشغب وازاحة لليلة<sup>٢</sup> .  
وقد أكثر المفسر من الاستشهاد بالشعر في أكثر من موضوع ، فتارة يستشهد بابيات منه في ترجيح رأي نحوي ، وتارة لتأكيد صحة قراءة واخرى لتوضيح معنى كلمة في اية ، وقد احتوى التفسير على الف وتسعمائة واثنين واربعين بيتا (١٩٤٢) من الشعر قالها جمع من الشعراء ، بلغ مجموع من ذكر الطوسي اسماءهم مائتين وخمسة وتسعين (٢٩٥) شاعرا ، فضلا عن اولئك الذين اعرض عن ذكرهم ، ولعل اعراضه عن ذكر اسمائهم مرده إلى الموقف السلبي الذي وقفه الطوسي من الشعر ، اساسا وليس لجهله بهم او نسيانه لاسمائهم ، وانما يرجع ذلك كله إلى عدم اكثرائه باشعارهم في موضع التفسير لايات القرآن المجيد.  
وقد يسهب المفسر احيانا ، فيذكر جملة من الاشعار لتحديد المعنى القرآني بينما نجده في مكان اخر من التفسير ، يذكر بيتا واحدا ، او بيتين ، وحيانا اخرى يستشهد بشطر او عجز فقط.

وفيما يلي نبين مدى التفاوت العددي في استشهادات المفسر بالشعر ، ففي استشهاده بعدد من الابيات الشعرية لتوضيح المعنى نورد الامثلة التالية :

١ . عند تفسيره لمعنى الدين من قوله تعالى : ( **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ) يقول الشيخ

الطوسي :

والدين الحساب والدين الجزاء أيضاً ثم يستشهد ببيتين من الشعر احدهما لكعب بن

جعيل :

اذا رمونا رميناهم وذنابهم فوق ما يقرضونا

١ . انظر التبيان ، ج ١ ، ص ١٦ .

٢ . انظر التبيان ، ج ١ ، ص ١٧ .

والبيت الاخر لشاعر لم يذكر اسمه :

« واعلم وايقن ان ملكك زائل واعلم بانك ماتدين تدان »  
ويورد بعد ذلك اراء لجماعة من التابعين بهذا المعنى.

ثم يستشهد بابيات اخرى لبيان معان اخر لكلمة ( الدين ) فيذكر لعمر بن كلثوم بيتا يشير به إلى ان الدين الطاعة :

« وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا »  
ثم يذكر الدين بمعنى الملك ويورد بيتا لزهير :

« لئن حللت بجو في بني اسد في دين عمرو وحالت بيننا فذك »  
كما وذكر معنى اخر للدين هو القهر والاستعلاء ويستشهد بيتا للاعشى :

« هو دان الرباب اذ كرهوا الادي ن دراكا بغزوة وحيال »  
ويورد له معنى اخر هو العادة ويستشهد بيتا للمثقب العبدي :

« تقول وقد درات لها وضيبي اهذا دينه ابدا وديني »<sup>١</sup>  
٢. وفي تفسيره لقوله تعالى ( **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ** )<sup>٢</sup> يقول المفسر في قوله : « كتب

انها بمعنى فرض » ويستشهد بيتا لشاعر :

« كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذبول »  
ثم يستشهد بيتا للنابعة الجعدي :

« يابنت عمي كتاب الله اخرجني عنكم فهل امنعن الله مافعلا »<sup>٣</sup>  
٣. وفي تفسيره لقوله تعالى : ( **أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ** )<sup>٤</sup> يقول الشيخ الطوسي :

قيل : ان « او » قد تستعمل بمعنى الواو كما تستعمل للشك بحسب مايدل عليه سياق

الكلام ، ويستشهد بعد ذلك بيتين من الشعر الاول لتوبة بن الحمير حيث يقول :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٣٦.

٢. البقرة ( ٢ ) الآية ١٧٨.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١٠٠.

٤. البقرة ( ٢ ) الآية ١٩.

« وقد زعمت ليلي باني فاجر      لنفسي تقاها او عليها فجورها »<sup>١</sup>  
والاخر لجرير حيث يقول :

« نال الخلافة او كانت له قدرا      كما اتى ربه موسى على قدر »<sup>٢</sup>  
٤. وفي تفسيره لقوله تعالى : **(وَالَّذِي خَبَثَ لَآ يَخْرُجُ اِلَّا نَكِداً)**<sup>٣</sup> :

فالنكد العسر بشدته الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل تقول : نكد ، ينكد ، نكدا ، فهو نكد ونكد وقد نكد اذا سئل فيخل ونكد ينكد نكدا.

ثم يستشهد بعد ذلك بيتين لشاعرين لم يذكرهما الاول :

« لاتنجز الوعد ان وعدت وان      اعطيت اعطيت تافها نكدا »<sup>٤</sup>  
والاخر :

« واعطط ما اعطيته طيبا      لآخرير في المنكود والناكد »<sup>٥</sup>  
٥. وفي تفسيره لكلمة **(صَلَوَاتٍ)** من قوله تعالى : **(وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللّٰهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ)**<sup>٦</sup> يقول :

وقال ابن عباس والحسن : معنى صلوات الرسول : استغفاره لهم ، وقال قتادة :  
معناه دعاؤه بالخير والبركة ، ثم يستشهد بيتين للاعشى :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا      يارب جنب ابي الاوصاب والوجعا  
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي      نوما فان لجنب المرء مضطجعا<sup>٧</sup>  
٦. وفي تفسيره للآية **(فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا اَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا)**<sup>٨</sup>

١. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٩٢ .

٢. نفس المصدر .

٣. الأعراف ( ٧ ) الآية ٧٨ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٤٣٣ .

٥. نفس المصدر .

٦. التوبة ( ٩ ) الآية ٩٩ .

٧. الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٢٨٦ .

٨. مريم ( ١٩ ) الآية ٢٣ .

يبين معنى « سرى » فيقول :

وقيل للنهر « سرى » لانه يسري بجريانه كما قيل : جدول لشدة جريه ، ثم يستشهد بعد ذلك بيتين  
الاول للشاعر ليبد :

فتوسطا عرض السرى فصدا مسجورة متجاورا اقلامها  
والبيت الاخر لشاعر لم يذكر اسمه :

سلم ترى الدالي منه ازورا اذا يعرج في السرى هرهرا<sup>١</sup>

٧. وفي تفسيره لقوله ( **اِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ** )<sup>٢</sup> قال في معنى ( **تَلَقَّوْنَهُ** )

وهو الاستمرار على الكذب ومنه : ولق فلان في السير اذا استمر به ، ويقال : في الولق من الكذب ،  
اللق والالق تقول : القت وانتم تالقونه.

ويستشهد بعد ذلك الشيخ الطوسي بقول الفراء :

« من لي بالمرر واليلامق صاحب ادهان والبق الق »

ثم يستشهد ببيت لشاعر اخر ولكنه لم يذكر اسمه :

جاءت به عنس من الشام تلق « جاءت به عنس من الشام تلق »

وانشد أيضاً :

ان الحصين زلق وزملق جاءت به عنس من الشام تلق

مجموع البطن كلاليم الحلق<sup>٣</sup>.

٨. وعند تفسيره لقوله تعالى : ( **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا** )<sup>٤</sup> يبين

معنى ( حاصبا ) فيقول : « وهو الريح العاصفة التي فيها حصباء ، وهي الحصى الصغار وشبهه

به البرد والجليد » ، ثم يستشهد بقول الاخطل :

ولقد علمت اذا العشار تروحت هـدج الرئال تكبهن شمالا

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ١٠٥ .

٢. النور ( ٢٤ ) الآية ١٥ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ٤١٧ .

٤. العنكبوت ( ٢٩ ) الآية ٤٠ .

ترمى الرياح بحاصب من ثلجها حتى تبيت على العضاة جفالا  
ثم يستشهد بيت للفرزدق فيقول :

« مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن مشور »<sup>١</sup>

٩. وفي تفسيره لقوله تعالى : **(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)**<sup>٢</sup> يقول الطوسي :

والعرب تقول اذا ارادت ان تعظم موت انسان ، اظلمت الشمس وكسف القمر لفقده وبكت السماء والارض ، وانما يريدون المبالغة.

ثم يستشهد المفسر لشاعرين لم يذكر اسمهما :

الاول :

الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة

الثاني :

والشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمر<sup>٣</sup>

وكما يستشهد الطوسي بمجموعة من الابيات الشعرية في بيان المعنى ، نجده يستعين

ببيت واحد للتوضيح احيانا وعليه نورد بعض الامثلة :

١. فعند تفسيره لقوله تعالى **(مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لِإِلَى هَؤُلَاءِ وَإِلَى هَؤُلَاءِ)**<sup>٤</sup> يقول

الطوسي في كلمة **(مُذَبِّدِينَ)** واصل التذبذب التحرك والاضطراب ، ثم يستشهد بيت للناطقة :

الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب<sup>٥</sup>

٢. وفي تفسيره لقوله تعالى : **(فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ)**<sup>٦</sup>

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٢٠٨

٢. الدخان ( ٤٤ ) الآية ٢٩ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٢٣٣ .

٤. النساء ( ٤ ) الآية ١٤٣ .

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٣٦٦ .

٦. الأعراف ( ٧ ) الآية ٧٨ .

بين معنى (الرَّجْفَةُ) فقال :

« قال مجاهد والسدي » : الرجفة : الصيحة ، وقال اخرون : هي زلزلة اهلكوا بها ، ثم يستشهد بيت للاختل :

اما تريني حناني الشيب من كبر كالنشر ارجف والانسان مهدود<sup>١</sup>

٣. وفي تفسيره لقوله تعالى (وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا)<sup>٢</sup>

يوضح الطوسي معنى (بورا) فيقول :

والبور الفاسد ، ويقال : بارت السلعة تبور بورا اذا بقيت لاتشتري بقاء الفاسد الذي لايراد ، والبائر الباقي على هذه الصفة ، والبور مصدر كالزور لاينى ولايجمع ولايؤنث ، وقيل هو جمع (بائر).

ويستشهد في ذلك الشيخ الطوسي بيت لابن الزبيرى :

« يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذا انا بور<sup>٣</sup> »

٤. وفي تفسيره لقوله تعالى : (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ)<sup>٤</sup>

يقول في معنى (فارهين) قيل :

هو الفرج المرح ، ويستشهد بيت لشاعر لم يذكر اسمه :

لا استكين اذا ما ازمة ازمتم ولن تراني بخير فاره اللبب<sup>٥</sup>

٥. وفي تفسيره لقوله تعالى : (مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) يقول : « وقوله (مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) :

اي مرسل الشعاع بانتشاره » ، ثم يستشهد الشيخ الطوسي بيت لابي ذؤيب ، يبين فيه معنى

(مَرِيحٍ) من قوله تعالى (فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ)<sup>٦</sup> :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٤٥٤ .

٢. الفرقان ( ٢٥ ) الآية ١٨ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ٤٢٨ .

٤. الشعراء ( ٢٦ ) الآية ١٤٩ .

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٤٥ .

٦. ق ( ٥٠ ) الآية ٥ .

« فحالت فالتست به حشاها فخر كانه غصن مريح »<sup>١</sup>

٦. وفي تفسيره لقوله تعالى (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ)<sup>٢</sup> يذكر معنى « الاياب » فيقول :

فالايب : الرجوع ، اب اوبا ، وايبا وتاوب تاوبا ، واوب يؤوب تاوبا ، ويقال : ايب ايبا ، على ( فيعمل

، فيعلا ) من الاوب ، وعلى هذا قرىء في الشواذ ( ايبهم ) بالتشديد.

ثم يستشهد الشيخ الطوسي بيت لعبيد :

« وكل ذي غيبة يـؤوب وغائب الموت لا يـؤوب »<sup>٣</sup>

٧. وفي تفسيره لقوله تعالى (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ)<sup>٤</sup> يقول في (سُبْحَانَهُ) ومعنى

(سُبْحَانَهُ) : براءة الله من السوء ويستشهد بقول الاعشى :

« اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر »<sup>٥</sup>

وقد يقتصر المفسر احيانا على ذكر شطر بيت او عجزه فقط ، فلا يطيل الوقوف مع

القوافي ، وانما ياخذ منها ما تتطلبه الحاجة وما يقتضيه الموقف وكما في الامثلة التالية :

١. يذكر الشيخ الطوسي في تفسيره (أَلَم) من سورة البقرة : « ان العلماء اختلفوا في

معنى اوائل السور » ويذكر اراءهم ، ثم يبين فائدتها ويقول : « وفائدتها ان يعلم ابتداء السورة

وانقضاء ما قبلها ، وذلك معروف في كلام العرب » ، ثم يستشهد بشطرين لشاعرين لم يذكرهما

:

« بل وبلدة ما الانس من اهاها .»

والاخر :

« بل ماهيج احزانا وشجوا قدشجا .»

وهنا نلاحظ مما تقدم ان الشيخ الطوسي استدل بهذين الشطرين لبيان ان « بل ،

ليست

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٣٥٦ .

٢. العاشية ( ١٨٨ ) الآية ٢٥ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٣٣٩ .

٤. التوبة ( ٩ ) الآية ٣١ .

٥. انظر التبيان ، ج ٥ ، ص ٢٠٦ . ٢٠٧ .

من الشعر «<sup>١</sup>.

٢. وفي تفسيره لمعنى قوله تعالى : ( **وَالْأَمَّةُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ** )<sup>٢</sup> يقول الشيخ الطوسي : « الامة المملوكة ، يقال : اقرت بالاموة اي بالعبودية واميت فلانة ، وتاميتها اذا جعلتها امة » ، ثم يستشهد بشطر بيت لرؤية ، ولكنه لم يذكر اسمه :  
يرضون بالتعبيد والتامي<sup>٣</sup>.

٣. وفي تفسيره لقوله تعالى : ( **أَفَلَا تَعْقِلُونَ** )<sup>٤</sup> يبين معنى العقل فيقول :  
والعقل : هو الامساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها على الحسن ، والحجا أيضاً احتباس ، وتمكث ، ويستشهد بشطر للعجاج ولم يذكر اسمه :  
« فهن يعكفن به اذا حجا » .  
والشطر الثاني للاصمعي :  
« حيث يحجا مطرق بالفالق »<sup>٥</sup>.

٤. وعند تفسيره لقوله تعالى ( **وَلْيَبْدُلْنَهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** )<sup>٦</sup> يتطرق لمعنى التبديل ، فيقول :

التبديل : تغيير حال إلى حال اخرى ، تقول بدل صورته تبديلا ، وتبدل تبديلا ، والابدال : رفع الشيء بان يجعل غيره مكانه.

ثم يستشهد بقول ابي النجم :

« عزل الامير بالامير المبدل »<sup>٧</sup>.

١. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٤٧ .

٢. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٢١ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

٤. الأنعام ( ٦ ) ، الآية ٢٢ .

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

٦. النور ( ٢٤ ) الآية ٥٥ .

٧. الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ٤٠١ .

٥. وفي تفسيره لقوله تعالى : **(إِذَا هُمْ يَقْتَبُونَ)** يقول : « اي يياسون من رحمة الله ، والقنوط : الياس من الفرج » ، ويستشهد بعد ذلك بشطر بيت لجهد الارقط :  
« قد وجدوا الحجاج غير قانط »<sup>١</sup> .

٦. وعند تفسيره لمعنى الوسوسة في قوله تعالى : **(وَنَعَلِمَ مَا تُؤَسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ)**<sup>٢</sup> يقول :  
الوسوسة حديث النفس بالشيء في خفاء ، ومنه قوله : **(فَوَسَّوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ)** ومنه « الوسواس » ،  
كثرة حديث النفس بالشيء من غير تحصيل .

ثم بعد ذلك يستشهد بشطر بيت لرؤية :

« وسوس يدعو مخلصا رب الفلق »<sup>٣</sup> .

٧. وعند تفسيره لقوله تعالى **(وَكَأَسَا دِهَاقًا)**<sup>٤</sup> يقول في معنى الكاس :

« الكاس : الاناء اذا كان فيه شراب ، وقيل : الكاس : اناء الخمر الذي يشرب منه »

، ويستشهد بقول الشاعر :

« يلذه بكاسه الدهاق »<sup>٥</sup> .

وهكذا يستعين الشيخ الطوسي بالشعر ، لاستيضاح المعنى وتقريبه إلى الالهام وهو بذلك يكون قد احاط بعدد هائل من شعر الشعراء ، واجاد استخدامه في مواضعه المناسبة ، الامر الذي يؤكد سعة اطلاع المفسر وطول باعه في معرفة الشعر والشعراء ليضيف إلى ثقافته الموسوعية رصيذا ، اخر ، قد لا يحصل عليه الا المتخصصون في هذا الميدان ، وبذلك يقف الباحث امام مفسرنا فيجده لغويا وناقدا واديبا قد حوى من كل شيء شيئا ، مما اضفى على تفسيره اهمية خاصة باعتباره كتابا تفسيريا حوى من الفنون والاداب صنوفا شتى ، لمن اراد ان يتدبر او اراد مزيدا .

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٢٢٨ .

٢. طه ( ٢٠ ) الآية ١٢٠ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٣٦١ .

٤. النبا ( ٧٨ ) الآية ٣٤ .

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٢٤٧ .

وكما استعان الطوسي بالشعر لتوضيح المعاني ، نجد أنه يستخدم الامثال التي قالتها العرب ، ويستدل بها على صحة معنى او يستفيد منها في ايضاح مراد ، وان كان موقفه منها لا يختلف عن موقفه عن شعر الشعراء ، فيذكرها مضطرا ، وقد احتوى التبيان على بعض الامثال نورد قسما منها مع استشهادها بها في الامثلة التالية :

١ . وعند تفسيره لمعنى « المرء » في قوله تعالى ( **فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** )<sup>١</sup> يقول :

« المرية الشك ، ومنه الامتراء والتماري والمماراة والمرء ، واصل الباب الاستدرار » ، ثم

بعد ذلك استشهد بالمثل التالي :

« بالشكر تتمرى النعم » .

« اي تستدر »<sup>٢</sup> .

٢ . وفي معرض تفسيره لقوله تعالى : ( **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ** )<sup>٣</sup> يبين معنى الارادة بقوله :

« الرود : الميل » ، ويدعم قوله بهذا المثل :

« الرائد لا يكذب اهله »<sup>٤</sup> .

٣ . وفي قوله تعالى : ( **وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ** )<sup>٥</sup> يبين اصل كلمة ( **عَزِيزٌ** ) لغة بقوله :

« واصل الاعزاز الامتناع ومنه ارض عزاز ممتنعة السكون لصعوبتها » ، ويعزز رايه

بهذا المثل :

« من عز بز »<sup>٦</sup> .

٤ . وعند تفسيره لقوله تعالى : ( **مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ** )<sup>٧</sup> يشير إلى معنى ( **إِلَى** ) ويقول :

١ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٤٧ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

٣ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٨٥ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

٥ . آل عمران ( ٣ ) الآية ٤ .

٦ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

٧ . آل عمران ( ٣ ) الآية ٥٢ .

وانما جاز ان يكون ( إلى ) بمعنى « من » لمادخل الكلام من معنى الاضافة ، ومعنى الصاحبة.

فيورد المفسر مثالا على ذلك حيث يقول :

« ونظيره ( الذود إلى الذود ابل ) اي مع الذود »<sup>١</sup>.

٥. في تفسيره لقوله تعالى : ( فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ )<sup>٢</sup> ... يبين الشيخ الطوسي معنى

الظلم ، حيث يقول : « واصل الظلم انتقاص الحق لقوله تعالى ( كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ

تَظْلِمَ مِنْهُ شَيْئًا )<sup>٣</sup> اي لم تنقص » ، ثم يورد الشيخ الطوسي رايًا اخر مقاربا له بقوله : « وقيل

: اصله ، وضع الشيء في غير موضعه » ثم يدعم هذا الراي بالمثل :

« من يشبه اياه فما ظلم »<sup>٤</sup>.

٦. ويبين معنى الرهبة من قوله تعالى : ( وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ )<sup>٥</sup> ... يقول :

« ورهبه : اذا خاف من شيء ، ومنه اشتقاق الراهب ، والاسم الرهبة » ، ثم يدعمه

بالمثل:

« رهبوت خير من رحموت »<sup>٦</sup>.

وهكذا نجد مفسرنا متتبعا لما من شأنه ان يسهم في توضيح معنى الآيات القرآنية

ومفرداتها ، فلا يدع بابا للفهم الا ووجهه ، ولا طريقا لمعرفة النص القرآني الا وسلكه ، وقد تاتي

استشهاداته بامثال العرب من هذا الباب وبغية الوقوف على ما امكنته الطاقة والجهد في سبيل

التفسير الادق والتوضيح الاوفى لمعاني الكتاب العزيز.

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٤٧٣.

٢. البقرة ( ٢ ) الآية ٣٥.

٣. الكهف ( ١٨ ) الآية ٣٣.

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ١٥٨.

٥. البقرة ( ٢ ) الآية ٤٠.

٦. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ١٨٤.

أسماء الشعراء الذين استشهد الشيخ الطوسي بأشعارهم ، مرتبة حسب الاعداد التي وردت في تفسير التبيان :

عدد الايات	اسم الشاعر	عدد الأبيات	اسم الشاعر
١٠	القطامي	٩٢	الأعشى
٨	اعشي بني ثعلبه	٥٥	النابغة
٨	الشمخ	٥٥	امرؤ القيس
٨	الطرماح	٥٠	جرير
٨	النمر بن تولب	٤٦	رؤبة
٧	ابو عمرو الهذلي	٤١	لبيد
٧	ابن احمر	٣٩	زهير
٧	حميد بن ثور الهلالي	٣٦	ذوالرمه
٦	الخنساء	٣٤	الفرزدق
٦	العباس بن مرداس	٢٨	العجاج
٦	عبيد بن الابرص	٢٠	الاحطل
٦	عمرو بن كلثوم	٢٠	حسان بن ثابت
٥	ابو الداود	٢٠	عنتره
٥	الحارث بن حلزه	١٩	ابو ذؤيب
٥	المنخبل السعدي	١٧	الحطيئه
٥	علقمه بن عبده	١٧	النابغه الجعدي
٤	المرقش الاصغر	١٦	عدي بن زيد
٤	توبه بن الحمير	١٥	الكميت
٤	جميل بن معمر	١٥	اميه بن ابي الصلت
٤	حاتم طي	١٥	طرفه بن العبد
٤	عبد الله بن قيس الرقيات	١٤	أوس بن حجر
٤	عمر بن ابي ربيعة	١٢	تميم بن مقبل
٤	كعب بن جعيل	١١	ابو النجم

عدد الايات	اسم الشاعر	عدد الأبيات	اسم الشاعر
٢	الينخل بن نسيح	٤	كعب بن سعد الغنوي
٢	تميم بن أبي /بشر بن أبي خازم	٤	كعب بن مالك
٢	جندب بن المثني	٤	مهلهل
٢	خفاف	٣	ابو الأسود الدؤلي
٢	ذو الإصبع	٣	ابو زيد
٢	راعي نمير	٣	الاضبط بن قريع
٢	زياد الاعجم	٣	الاسدي
٢	زيد الخيل	٣	الراعي
٢	عامر بن الطفيل	٣	الشنفري
٢	عبيد	٣	الفقعسي
٢	عتيبة بن شهاب اليربوعي	٣	ساعدة بن جؤيه
٢	غيلان	٣	عبيد بن الابرص
٢	قيس	٣	علقمه
٢	ليلى الاخيلية	٣	عمرو بن معديكرب
٢	مزاحم العقيلي	٢	ابو طالب
٢	ورقه بن نوفل	٢	ابو كثير الهلالي
١	ابراهيم بن عمران الصلت	٢	ابو نخيلة السعدي
١	ابن الدمينه	٢	الاسود بن يعفر
١	ابن بيض	٢	الاغلب الحجلي
١	ابن صغير	٢	الحارث بن وعلة الشيباني
١	ابن عبيده الهذلي	٢	الحارثي
١	ابن عبد ربه	٢	الحارث بن خالد
١	ابن عمير	٢	المتقب العبدي

عدد الأبيات	اسم الشاعر	عدد الأبيات	اسم الشاعر
١	الثقفي	١	ابن الزبيري
١	الحارث بن عباد	١	ابن مفرغ
١	الحسن بن عرفطة	١	ابن مياده
١	الخنواني	١	ابن هرمة
١	الربيع بن ضبع الفراري	١	ابو الحسن
١	العامرية	١	ابو جلدة اليشكري
١	العرجي	١	ابو الزحف
١	المعلي بن جمال العبدى	١	ابو جندب الهذلي
١	الصلتان العبدى	١	ابو الطحان
١	المسيب بن علس	١	ابو حيان
١	المعطل	١	ابو خراش
١	المرار الاسدي	١	ابو داود الازدي
١	بشر بن ابي خازم	١	ابو زبيد الطائي
١	تأبط شرا	١	ابو قيس بن رفاعة
١	تبع	١	ابو كبير الهذلي
١	تميم بن أبي	١	ابو محمد الثقفي
١	جبير بن الضحاك	١	احيحه بن الجلال
١	جذيمة بن الأبرش	١	اخذت كلمن
١	جؤية بن عائد	١	اعشي همدان
١	حاضنة الأحنف	١	الابرذ الرياحي
١	حسين بن صمصم	١	الاسود بن يعفر
١	حريم الهمداني	١	الاسعر الجحفي
١	حطائط بن جعفر	١	ارطاة بن سهيه

عدد الأبيات	اسم الشاعر	عدد الأبيات	اسم الشاعر
١	شريح بن اوفي	١	حكيم بن معية
١	صخر السلمي	١	ضابيء البرجمي
١	عامر الخنصفي	١	خداش بن زهير
١	عامر بن الحارث	١	خزيمة بن مالك
١	عامر بن جوين	١	خويلد بن نوفل الكلابي
١	عامر بن مالك	١	دريد بن زيد
١	عبد الله بن رواحة	١	دكين بن رجاء
١	عبد الرحمن بن حسان	١	ذو الخرق
١	عبد المطلب	١	ذو جدن الحميري
١	عدي بن الرقاع	١	زياد بن الأعجم
١	عبدقيس بن خفاف	١	زيد بن جنيه
	البرجمي		
١	عمار بن أيمن	١	زيد بن عمر بن زهير
١	غفير بن الحارث	١	زيد بن عمرو بن نفيل
١	عروة بن الورد	١	زهير بن جذيمة
١	علقمة بن قرط	١	سابق البربري
١	علقمة بن عوف	١	سحيم الرياحي
١	عمر بن حطان	١	سدير بن عنقاء
١	عمرو بن شاس	١	سعيد بن مالك
١	عنتره بن دجاجة	١	سليمان بن قتنه
١	عوف بن الخرع	١	سويد بن أبي كاهل
١	عوف بن عطية	١	سويد بن أبي الصامت
١	عوف بن الخزرج	١	سويد بن كراع
		١	شاعر غطفان

عدد الأبيات	اسم الشاعر	عدد الأبيات	اسم الشاعر
١	مالك بن الحارث الهذلي	١	عبدة بن الطيب
١	محمد بن نمير الثقفي	١	عمير بن طارق
١	متمم بن نويرة	١	عبيدة بن همام
١	مسكين الدارمي	١	عذافر الفقيمي
١	مجنون بني عامر	١	عروة بن حزام
١	هدبة بن حشرم	١	غياض بن درة
١	همام بن مرة	١	مزرد
١	همام بن قحافة	١	فرعان بن الأعراف
١	وضاح اليمن	١	قعب بن أبي صاحب
١	يزيد بن جنبة	١	قيس بن الخطيم
١	يزيد بن خوغ	١	قيس بن جعدة
١	يزيد بن مفرغ الحميري	١	كثير
		١	يزيد بن يربوع



## الباب الثالث :

### علوم القرآن والعقائد

الفصل الاول : الشيخ الطوسي وعلوم القرآن

الفصل الثاني : الشيخ الطوسي وعقائد الامامية



## الفصل الأول :

### شيخ الطوسي وعلوم القرآن

#### النسخ في القرآن الكريم

يطلق النسخ لغة على :

١. النقل ، فقد جاء في لسان العرب :

نسخ الشيء ينسخه نسخا وانتسخه واستنسخه اكتتبه عن معارضه ، النسخ اكتتابك كتابا عن كتاب حرفاً

بحرف ، والاصل نسخه والمكتوب عنه نسخه ، لانه قام مقامه ، ومن ذلك قوله تعالى : **(إِنَّا كُنَّا**

**نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)** <sup>١</sup> اي نستنسخ ماتكتب الحفظة من الملائكة الكرام فيثبت عند الله <sup>٢</sup> .

٢. الابطال ، فقد جاء في اللسان :

النسخ : ابطال الشيء واقامة اخر مقامه ومن ذلك قوله تعالى : **(مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا**

**نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا )** <sup>٣</sup> .

والعرب تقول ، نسخت الشمس الظل وانتسخته ازالته ، والمعنى اذهبت الظل وحلت

---

١. الجاثية ( ٤٥ ) الآية ٢٩ .

٢. ابن منظور ، لسان العرب ، فصل النون حرف الحاء .

٣. البقرة ( ٢ ) الآية ١٠٦ .

محلّه.

ومن الابطال مايقال : نسخت الريح اثار الديار ، اي غيرتها ، وابطلتها وازالتها ، وهو رفع الحكم وابطاله من غير ان يقيم له بدلا<sup>١</sup>.

وقد كانت لفظة النسخ تعني عند الصحابة والتابعين مطلق التغيير الذي يطرا على بعض الأحكام ، سواء رفعها وحل محلها ، او خص ما فيها من عموم ، او قيد ما فيها من اطلاق ، وامثالها من اساليب البيان<sup>٢</sup>.

ثم جاء المفسرون فيما بعد ليجعلوا كلمة النسخ تعني مايشمل التخصيص والتقييد والاستثناء وترك العمل بالحكم لانتهاؤه امدّه ، او لتغيير ظرفه ، او تبدل موضوعه وغيرها<sup>٣</sup>.

### النسخ في الاصطلاح :

اصطلح الاصوليون على النسخ بانه رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر ، وبهذا فان النسخ يعني رفع حكم النص بعد ان يكون ثابتا<sup>٤</sup>.

« وانه ليس لاحد ان ينكر على الشارع او يرفض قوله بالنسخ »<sup>٥</sup>.

وقد اتفق جمع من العلماء على جواز النسخ عقلا وسمعا ، اذ لا محذور فيه عقلا ، ولولم يكن جائزا عقلا وواقعا لما جاوز المنكرون له ان يامر الشارع عباده بامر مؤقت ينتهي بانتهاؤه وقته. وكذلك لو لم يكن النسخ جائزا لكانت الشرائع الاولى باقية ، ولو كانت باقية ما ثبتت رسالة سيدنا محمد<sup>٩</sup> إلى الناس كافة<sup>٦</sup> وقد نص القرآن الكريم على وجود النسخ ، فقال تعالى :

**( مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا )<sup>٧</sup> وقال أيضاً ( يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ**

١. ابن منظور ، لسان العرب ، فصل النون حرف الحاء.

٢. علوم القرآن المنتقى ، ص ١٦٩.

٣. العنائقي الحلبي ، الناسخ والمنسوخ ، مقدمة المحقق الفضلي ، ص ٧.

٤. الشاطبي ، الموافقات في اصول الشريعة ، شرح عبد الله دراز ، ج ٣ ، ص ٦٥.

٥. الزرقاني ، مناهل العرفان ، ج ٢ ، ص ١٧٦.

٦. الزركشي ، البرهان ، ج ٢ ، ص ٣٠.

٧. البقرة ( ٢ ) الآية ١٠٦.

**وَيُثِبْتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** <sup>١</sup> وقوله تعالى : **(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)** <sup>٢</sup>.

والتبديل هنا يتالف من رفع الاصل واثبات البديل ، وذلك هو النسخ سواء كان المرفوع تلاوة ام حكما.

وهناك من يرفض النسخ ويستنكر وقوعه في القرآن الكريم ، ومنهم المفسر ابو مسلم بن بحر ( ت ٣٧٢ هـ ) حيث يقول الفخر الرازي : « اتفق الجمهور على وقوع النسخ في القرآن الكريم وقال ابو مسلم بن بحر : انه لم يقع » <sup>٣</sup> مستندا في ذلك إلى قوله تعالى : **(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** وشبهته في الاستدلال ان هذه الآية تفيد بان احكام القرآن لا تبطل ابدا ، والنسخ فيه ابطال لحكم سابق <sup>٤</sup> ، ولعل هذا التاويل بعيد عن ظاهر الآية التي تفيد بان احكام القرآن موافقة للعقل ، وان اخباره مطابقة للواقع ، والفاظه محفوظة من التغيير والتبديل ، ولربما يكون هذا المعنى اقرب إلى اثبات النسخ ووقوعه منه إلى نفيه وامتناعه ، لان النسخ تصرف الهي حكيم تقتضيه الحكمة ، وترتبط به المصلحة <sup>٥</sup>.

وقد اجمعت الإمامية على ان الحكم الثابت في القرآن ينسخ باية اخرى ، فمرة تكون هذه الآية الناسخة ناظرة إلى الحكم المنسوخ ومبينة لرفعه ، ومرة اخرى تكون الآية الناسخة غير ناظرة إلى الحكم المنسوخ ، وانما يلتزم بالنسخ بمجرد التنافي بينهما فيلتزم بان الآية المتاخرة ناسخة لحكم الآية المتقدمة <sup>٦</sup>.

اما السنة فهي لاتنسخ القرآن سواء كانت متواترة او احادا وذلك لان مثل هذا النسخ

١. الرعد ( ١٣ ) الآية ٣٩.

٢. النحل ( ١٦ ) الآية ١٠١.

٣. الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج ٣ ، ص ٢٢٩.

٤. الزرقاني ، مناهل العرفان ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ الآية : فصلت ( ٤١ ) ٤٢.

٥. الزرقاني ، مناهل العرفان ، ج ٢ ، ص ٢٠٨.

٦. السيد الخوئي ، البيان في تفسير القرآن ، ص ٢٨٦ ، الحكيم ، الاصول العامة للفقهاء المقارن ، ص ٢٤٧.

مخالفا للاخبار المتواترة بعرض الاخبار على الكتاب وطرح ماخالفه والرجوع إليه <sup>١</sup>.

والى هذا الراي يذهب الامام الشافعي أيضاً فيقول :

انما نسخ مانسخ من الكتاب بالكتاب وان السنة لانسحة للكتاب ، وانما هي تبع الكتاب بمثل ما نزل نصا ومفسرة معنى ما انزل الله منه جملا <sup>٢</sup>.

في حين اجاز الجمهور نسخ الكتاب بالسنة <sup>٣</sup> ، وان اجمعوا على ان خبر الواحد لا ينسخ القرآن باعتبار ان الظني لا يقاوم القطعي فيبطله ، <sup>٤</sup> ويرى الشيخ الطوسي ان النسخ في القرآن لا يخلو من ثلاثة اقسام <sup>٥</sup> :

احدها : نسخ حكمه دون لفظه كاية العدة في المتوفى عنها زوجها المتضمنة للسنة فان الحكم منسوخ والثلاوة باقية ، وذلك في قوله تعالى : **(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)** <sup>٦</sup> وهذه الآية ناسخة <sup>٧</sup> لقوله تعالى : **(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)** <sup>٨</sup> وكذلك الحال في اية النجوى حيث قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ)** <sup>٩</sup>.

يقول الشيخ الطوسي :

فسخ الله تعالى ذلك الحكم بالاية التي بعدها <sup>١٠</sup> ، فقال ناسخاً لهذا الحكم **(أَشْفَقْتُمْ أَنْ**

١. الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ .

٢. الشافعي ، الرسالة ، ص ١٠٦ .

٣. حسب الله ، اصول التشريع الإسلامي ، ص ٢٧٨ .

٤. الشاطبي ، الموافقات ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .

٥. الطوسي ، التبيان ، المقدمة ، ج ١ ، ص ١٣ .

٦. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٣٤ .

٧. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .

٨. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٤٠ .

٩. المجادلة ( ٥٨ ) الآية ١٤ .

١٠. الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٥٥ .

تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا  
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ... )<sup>١</sup> .

وكذلك وجوب ثبات الواحد للعشرة في حالة الحرب كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ  
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثْسِينَ وَإِنْ يَكُنْ  
مِنْكُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ )<sup>٢</sup> وقد نسخت هذه الآية  
بما بعدها ، حيث يقول تعالى : (الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ  
مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثْسِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ  
مَعَ الصَّابِرِينَ)<sup>٣</sup> .

يقول الشيخ المفسر :

هذه الآية نسخت حكم ماتقدمها ، لان في الاولى كان وجوب ثبات الواحد للعشرة والعشرة للمائة ، فلما  
علم الله تعالى ان ذلك يشق عليهم ، وتغيرت المصلحة في ذلك ، نقلهم إلى ثبات الواحد للثلاثين والمائة  
للمائتين ، فخفف ذلك عنهم ، وهو قول ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد والسدي وعطاء  
والبلخي والجبائي والرماني وجميع المفسرين<sup>٤</sup> .

ومن كل ماتقدم يكون الحكم مرتفعا ومنسوخا بينما التلاوة باقية ، وهذا يبطل قول من منع جواز النسخ  
في القرآن ، لان الموجود بخلافه<sup>٥</sup> .

الثاني : مانسخ لفظه دون حكمه كاية الرجم ، فان وجوب الرجم على المحصنة لاختلاف فيه ، والاية التي  
كانت متضمنة له منسوخة باختلاف ، وهي قوله : ( والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة فانهما قضيا  
الشهوة جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم )<sup>٦</sup> .

الثالث : مانسخ لفظه وحكمه :

١ . المجادلة ( ٥٨ ) الآية ١٣ .

٢ . الانفال ( ٨ ) الآية ٦٥ .

٣ . الانفال ( ٨ ) الآية ٦٦ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ١٥٤ .

٥ . نفس المصدر ، المقدمة ، ج ١ ، ص ١٣ .

٦ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ١٣ .

وذلك نحو مارواه المخالفون عن عائشة : انه كان فيما انزل الله ان عشر رضعات تحرم ، ونسخ ذلك بخمس عشرة ، فنسخت التلاوة والحكم<sup>١</sup> .

وهكذا يوضح الشيخ الطوسي ان النوع الثالث من النسخ والمتضمن نسخ اللفظ والحكم لاجود له في القرآن . وهذا يتضح من ايراده لعبارة مارواه المخالفون ، وكأنه يشنع بهم من خلال مارووه . حين يقولون : « ونسخ ذلك بخمس عشرة » وهو مالا يحتويه الكتاب العزيز اصلا فيدحض بذلك زعمهم وينفي وقوع مثل هذا النسخ في القرآن الكريم ، كما وانه قد ذكر عبارة قبل هذا يقول فيها : « ولا يخلو النسخ في القرآن من اقسام ثلاثة »<sup>٢</sup> ثم ذكرها ليبين للقارئ ان بعض هذه الانواع قد يرد في القرآن ، وان بعضها قد لا يصح ولا يرد كما هو الحال في النوع الثالث من الانواع التي ذكرها .

ويؤكد الشيخ الطوسي ان القرآن لا ينسخ بحديث لائمة أهل البيت<sup>٧</sup> وذلك في معرض رده على البلخي الذي يقول في كتاب التفسير :

قال قوم . ليسوا ممن يعتبرون ولكنهم من الامة على حال . ان الائمة المنصوص عليهم بزعمهم مفوض اليهم نسخ القرآن وتدييره ....

فيرد عليه مفسرنا بقوله :

واظن انه . يعني البلخي . عنى بهذا اصحابنا الإمامية لانه ليس في الامة من يقول بالنص على الائمة : سواهم ، فان كان عناهم فجميع ما حكاها عنهم باطل وكذب عليهم ، لانهم لا يميزون النسخ على احد من الائمة : ولا احد منهم يقول بحدوث العلم<sup>٣</sup> .

والشيخ الطوسي يخالف بعض المفسرين احيانا في قولهم بنسخ بعض الآيات الكريمة ففي قوله تعالى :

(وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْ

١ . نفس المصدر .

٢ . نفس المصدر .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ١٤ .

**أُولِيَّائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** <sup>١</sup> .

يقول مفسرنا : « ليست الآية منسوخة ولا شيء منها ، ومن ادعى نسخ شيء منها فعليه الدلالة » ، ثم يردف قائلا :

فان الحسن وعكرمة : نسخ منها ذبائح الذين اتوا الكتاب بقوله تعالى : **(وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا**

**الْكِتَابِ حِلٌّ لَكُمْ)** <sup>٢</sup> وعندنا ان ذلك مخصوص بالحبوب دون الذبائح.

ثم يدعم الشيخ الطوسي رايه بما قاله غيره في هذا المجال فيقول :

وقال قوم : ليس أهل الكتاب داخلين في جملة من يذكر اسم الله على ذبيحته وليس واحدا من هؤلاء معنيا بالاية فلا يحتاج إلى النسخ <sup>٣</sup> .

كما ورد الشيخ الطوسي على ابن عباس قوله :

ان قوله تعالى : **(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)** <sup>٤</sup> ، نسخ بقوله : قاتلوهم حتى يقولوا لا اله الا الله او يقرأوا

بالجزية <sup>٥</sup> والصحيح انها ليست منسوخة ولكن امروا بان يقولوا حسنا في الاحتجاج عليهم اذا دعوا إلى الايمان وبين ذلك لهم ، وقال قتادة نسختها اية السيف والصحيح انها ليست منسوخة ، وانما امر الله تعالى بالقول الحسن في الدعاء إليه والاحتجاج عليه ، كما قال تعالى لنبيه <sup>٩</sup> :

**(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** <sup>٦</sup> .

وبين في اية اخرى فقال :

**(وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)** <sup>٧</sup> .

١ . الأنعام ( ٦ ) الآية ١٢١ .

٢ . المائدة ( ٥ ) الآية ٥ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٢٥٧ .

٤ . البقرة ( ٢ ) الآية ٨٣ .

٥ . في قوله تعالى : **(فَاتْلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَأْمُرُونَ بِالْإِحْسَانِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)** التوبة ( ٩ ) الآية ٢٩ .

٦ . النحل ( ١٦ ) الآية ١٢٥ .

٧ . الأنعام ( ٦ ) الآية ١٠٨ .

وليس الامر بالقتال ناسخا لذلك ، لان كل واحد منهما ثابت في موضعه <sup>١</sup> .

وهكذا نجد الشيخ الطوسي ملما الماما واسعا في هذا الميدان حتى انه لا يدع قولاً من اقوال المفسرين الا وحاكمه وتعمق فيه لذلك نجده يتفق مع طائفة منهم في رأي ويخالف طائفة اخرى في اراء ، مما يعكس سعة اطلاعه ودقة ملاحظته وتمرسه في كتاب الله واياته حتى عرف ناسخها ومنسوخها ، وكان سلاحه في كل رأي يطرحه هو الدليل القاطع والحجة الدامغة ، وقد شخخص الآيات الناسخة والمنسوخة في القرآن الكريم ، وثبت ذلك في تفسيره وانكر على الكثير من المفسرين قولهم بنسخ بعض آيات الكتاب التي كان لا يرى نسخها وفند مزاعمهم .

### اسباب النزول

لمعرفة اسباب النزول اهمية كبرى في فهم النص القرآني وفي تحديد المراد من آيات الكتاب العزيز .

قال الواحدي :

اذ هي . يعني اسباب النزول . اوفى ما يجب الوقوف عليها واولى ما تصرف العناية اليها ، لامتناع معرفة تفسير

الآية وقصد سبيلها ، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها <sup>٢</sup> .

وقد تاتي اهمية معرفة اسباب النزول للآيات القرآنية الكريمة بلحاظ كون القرآن قد نزل

قسم منه عقب واقعة او سؤال ، والقسم الاخر نزل ابتداءً <sup>٣</sup> .

ولذلك اشار ابن دقيق العبد إلى هذا المعنى بقوله : « ان بيان سبب النزول طريق قوي

في فهم معاني القرآن » <sup>٤</sup> .

وهذا ما اكده ابن تيمية حينما قال : « ان معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فان

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٣٣١ .

٢ . الواحدي ، ابو الحسن علي بن احمد النيسابوري ، اسباب النزول ، القاهرة ، ط ١ ، ص ٤ .

٣ . السيوطي ، الإتقان ، ج ١ ، ص ٣٠ .

٤ . نفس المصدر .

العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب<sup>١</sup> ومفسرنا - كغيره من المفسرين اعطى هذا الموضوع اهمية خاصة ، حيث اشار إلى سبب النزول ، وذكر اراء العلماء والمفسرين فيها ، وكان يرجح ما يطمئن إليه عندما يذكر للمفسرين أكثر من سبب في نزول اية ما ، وقد غطى موضوع اسباب النزول صفحات عديدة من تفسيره التبيان ، نورد هنا بعض الامثلة على ذلك منها قوله في سبب نزول الآية الكريمة :

**(لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٢ قال :**

وروي عن ابن عباس وسعيد ان الآية نزلت في اليهود ، حيث كانوا يفرحون باجلال الناس لهم ونسبهم اياهم إلى العلم ، وقال الضحاك والسدي : نزلت في اليهود حين فرحوا بما اثبتوا من تكذيب النبي ٩ . وقال سعيد بن جبير : فرحوا بما اتى الله ال ابراهيم ، وقال ابن عباس : ان النبي ٩ سألهم عن شيء فكنموه ، وفرحوا بكنماتهم ، واقوى هذه الاقوال ان يكون قوله : **(لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ)** يعني بها من اخبر الله عنهم انه اخذ ميثاقهم ، ليبين للناس امرمحمد ٩ ولايكنموه ، لان قوله **(لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ)** في سياق الخبر عنهم وشبيهه قصتهم ، مع ان أكثر أهل التاويل عليه ٣ .

وهكذا نجد الشيخ الطوسي يطرح جملة اراء لعدد من المفسرين ثم يتبنى رايه احر ويصفه

بالاقوى ومن ذلك قوله تعالى :

**(وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) ٤**

قال الشيخ الطوسي :

١ . ابن تيمية ، مقدمة في اصول التفسير ، ص ٤٧ .

٢ . آل عمران ( ٣ ) الآية ١٨٨ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٧٧ .

٤ . آل عمران ( ٣ ) الآية ١٩٩ .

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية ، فقال جابر بن عبد الله وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جريح : ان النبي ٩  
لما بلغه موت النجاشي دعا له واستغفر له وصلى عليه ، وقال للمؤمنين صلوا عليه فقالوا : نصلي على  
رجل ليس بمسلم؟

وقال قوم منافقون : نصلي على علق بنجران؟ فنزلت هذه الآية وكانت الصفات التي فيها صفات  
النجاشي.

وقال ابن زيد وفي رواية عن ابن جريح وابن اسحاق انما نزلت في جماعة من اليهود وكانوا اسلموا ، منهم  
عبد الله بن سلام ومن معه.

وقال مجاهد : انما نزلت في كل من اسلم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى وهو اولى لانه عموم الآية  
، ولادليل يقطع به على ماقلوه على انما لوزلت في النجاشي او من ذكرلم يمنع ذلك من حملها على  
عمومها في كل من اسلم من أهل الكتاب لان الآية قدتنزل على سبب وتكون عامة في كل من تناوله<sup>١</sup>.

وهنا يتضح لنا انسجام الشيخ الطوسي في الموقف مع القاعدة الاصولية المعروفة ( العبرة  
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ) لذلك نراه يميل إلى ان المراد من الآية اعلاه هو عموم اللفظ  
، لان ماورد من شان النزول لايجب قصد الحكم على الواقعة فالمورد عنده لا يخص الوارد ،  
لان البيان عام والتعليل مطلق اذ المدح النازل في حق افراد من المؤمنين ، او الذم النازل في حق  
افراد اخرين معلل بوجود صفات فيهم ، لايمكن قصرها على شخص موردالنزول ، مع وجود  
عين تلك الصفات في قوم اخرين.

والطوسي بهذا يتفق مع جملة من العلماء والمفسرين في هذا المجال فقد ذهب ابن تيمية  
إلى القول بان الناس وان تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه؟ فلم يقل  
احد من علماء المسلمين : ان عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعني واما غاية ما  
يقال : انما تختص بنوع ذلك الشخص فتعم مايشبهه<sup>٢</sup> والذي عليه الشيخ الطوسي في العمل  
بقاعدة ( العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ) يسمى الجري وهو

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٩٣.

٢. ابن تيمية ، مقدمة في اصول التفسير ، ص ٤٧.

مقبول لدى مفسري الإمامية جلهم وقد اخذ لفظ الجري من مجموعة احاديث مروية عن ائمة أهل البيت منها مقاله الامام محمد الباقر ٧ :

ولو ان الآية اذا نزلت في قوم ثم مات اولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ، ولكن القرآن يجري اوله على اخره مادامت السماوات والارض ولكل قوم اية يتلوها [و]هم منها من خير او شر<sup>١</sup> .

وقوله (ع) أيضاً :

ظهره : . يعني القرآن . تنزيله ، وبطنه : تاويله ، منه ماضى ، ومنه مالم يكن بعد ، يجري كما يجري الشمس والقمر ، كلما جاء منه شيء وقع<sup>٢</sup> .

وقد درج اتباع المذهب الامامي على هذا الفهم وحتى المتأخرون منهم ، فانهم يؤكدون ذلك تبعا لمنهج المدرسة الإمامية التي ينتمون اليها ذلك لان آيات الكتاب لا تختص بمورد جزئي تلك الآيات التي وردت في مورد خاص ، وفسرت على ذلك الاساس فانها بصدد بيان معنى عام يستفيد منه الجميع ، وان المورد الذي نزلت فيه ليس في الحقيقة الا بعض مصاديق المفهوم القرآني ... وذكر بعض موارد التنزيل لا يوجب تخصيص الآية بذلك المورد<sup>٣</sup> .

وعلى هذا النحو سار المفسرون المتأخرون كالسيد الطباطبائي صاحب الميزان حيث

يقول في تفسيره :

ان للقرآن اتساعا من حيث انطاقه على المصاديق وبيان حالها فالاية منه لا تختص بمورد نزولها ، بل يجري في كل مورد يتحد مع مورد النزول ملاكا ، كالمثال التي لا تختص بمواردها الاول ، بل تعداها إلى ما يناسبها ، وهذا المعنى هو المسمى بجري القرآن<sup>٤</sup> .

١ . العياشي ، تفسير العياشي ، ج ١ ، ص ٢١ .

٢ . الطباطبائي ، الميزان ، ج ١ ، ص ٤٢ .

٣ . السيد اسماعيل الصدر ، محاضرات في تفسير القرآن الكريم ، ص ٧ . ٨ .

٤ . الطباطبائي ، الميزان ، ج ٣ ، ص ٦٧ . ٧٢ .

وقد يذكر الشيخ الطوسي احيانا اختلاف المفسرين في سبب نزول بعض الآيات ولم يرحح رايا لاحدهم ، وانما يسرد مذكروه جميعا دون ترجيح لاحدها ، ولعل مرد ذلك إلى استحسانه كل الوجوه والا لرد بعضها ، ووافق بعضها الاخر ، ولكنه سكت كما هو الحال في توضيحه لسبب نزول قوله تعالى :

**(أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) ١.**

فقال :

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية ، فروي عن ابن عباس انه قال : قال رافع بن خزيمة ووهب بن زيد لرسول الله ٩ : اتتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه ، وفجرلنا انهارا نتبعك ونصدقك ، فانزل الله في ذلك من قولهما :

**(أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ).**

وقال الحسن : عنى بذلك المشركين من العرب لماسالوه فقالوا :

**(أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) ٢** وقالوا : **(أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا) ٣.**

وقال السدي : سالت العرب محمدا ٩ ان ياتيهم بالله فيروه جهرة.

وقال مجاهد : سالت قریش محمدا ان يجعل لهم الصفا ذهبا ، فقال : نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل ، فابوا ورجعوا ، وقال ابو علي : روي ان النبي ٩ ساله قومه ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين - ذات انواط : وهي شجرة كانوا يعبدونها ويلقون عليها التمر وغيرها من الماكولات. ٤

كما ويذكر الشيخ الطوسي احيانا اختلافا وقع فيه المفسرون حول سبب النزول ، وفيمن نزلت الآية ، ويكتفي أيضاً بسرد ارائهم دونما تعليق اورد او ترجيح ، كما فعل في تفسيره

١. البقرة ( ٢ ) الآية ١٠٨ .

٢. الاسراء ( ١٧ ) الآية ٩٢ .

٣. الفرقان ( ٢٥ ) الآية ٢١ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٤١٣ .

لقوله تعالى :

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ )<sup>١</sup>.

فقال مفسرنا :

احتلغوا فيمن نزلت هذه الآية فقال ابن عباس : انه لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ٩ اتهم احبار اليهود ، فتنازعوا عند رسول الله ٩ فقال رافع بن خويلد : ما انتم على شيء وكفر بعبسى وبالنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى : ما انتم على شيء وححد بنوة موسى وكفر بالتوراة فانزل الله في ذلك الآية إلى قوله : (فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

وقال الربيع : هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على رسول الله ٩<sup>٢</sup>.

وبهذا القدر يكتفي الشيخ الطوسي دون ان يعلق بشيء وكرر مثل هذا في بيانه لسبب نزول قوله تعالى :

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)<sup>٣</sup>.

فقال :

قال قتادة : نزلت هذه الآية في المهاجرين والانصار ، وقال عكرمة :

نزلت في ابي ذر الغفاري وصهيب بن سهان لان أهل ابي ذر اخذوا اباذر فانفلت منهم فقدم على النبي ٩ ، فلما رجع مهاجرا عرضوا له ، وكان بمر الظهران فانفلت ايضا منهم حتى قدم النبي ٩ ، فلما رجع مهاجرا عرضوا له فانفلت حتى نزل على النبي ٩. فاما صهيب فانه اخذه المشركون من اهله ، فاقتدى منهم بما له ، ثم خرج مهاجرا ، فادركه منقذ بن ظريف بن خدعان ، فخرج له مما بقي من ماله وخلقى سبيله.

١. البقرة ( ٢ ) الآية ١١٣.

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٤١٥.

٣. البقرة ( ٢ ) الآية ٢٠٧.

وروي عن ابي جعفر <sup>٧</sup> يعني ( محمد الباقر ) انه قال : « نزلت في علي <sup>٩</sup> حين بات على فراش رسول الله <sup>٩</sup> لما ارادت قریش قتله حتى خرج رسول الله <sup>٩</sup> وفات المشركين اغراضهم » ، وبه قال عمر بن شبه <sup>١</sup> .

كما نجد الشيخ الطوسي يتخذ مثل هذا الموقف عندما يتفق المفسرون والرواة على سبب نزول آيات الكتاب المجيد فيذكر رأيهم الذي اتفقوا حوله ، ولم يطرح رأيا مغايرا ، وذلك في مواضع عديدة ، منها قوله تعالى : **( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ )** <sup>٢</sup> .

فيقول :

ذكر السدي وابن جريح وعكرمة ان هذه الآية نزلت في بقية من الربا كانت للعباس ومسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعه وبني عمرو بن عمير ، وروي عن ابي الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية وكان بقي له بقايا على ثقيف ، فاراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد ان اسلم ، فنزلت هذه الآية في المنع من ذلك <sup>٣</sup> .

وكذلك نجد الشيخ الطوسي في مكان اخر يذكر سببا للنزول برواية جمع من الرواة والمفسرين ، ولا يذكر بعدهم شيئا ، ليبين فيه رايه من يدل على اتفاهه معهم في صحة السبب ، وقد ورد ذلك في سبب نزول قوله تعالى :

**( الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ )** <sup>٤</sup> .

قال :

ذكر ابن عباس والسدي وابن اسحاق وابن جريح وقتادة : ان سبب نزول هذه الآية ان اباسفيان صخرين حرب واصحابه لما انصرفوا عن احد ندموا ، وقال بعضهم لبعض : لا

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

٢ . البقرة ( ٢ ) الآية ٢٧٨ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ .

٤ . آل عمران ( ٣ ) الآية ١٧٢ .

محمدًا قتلتم ولا الكواعب اردفتنم ، فارجعوا فاغيروا على المدينة واسبوا ذريتهم ، وقيل : ان بعضهم قال لبعض : انكم قتلتم عدوكم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ، ارجعوا فاستاصلوهم ، فرجعوا إلى حمراء الاسد وسمع بهم النبي ٩ فدعا اصحابه إلى الخروج وقال : لا يخرج معنا الا من حضرنا امس للقتال ، ومن تاخر عنا فلا يخرج معنا ، وروي انه ٩ اذن لجابر وحده في الخروج وكان خلفه ابوه على بناته يقوم بهم ، فاعتل بعضهم بان قال : بنا جراح والام فانزل الله تعالى :

(إِن يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ) وقيل : نزلت فيهم أيضاً (وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) <sup>١</sup> ، ثم استجابوا على ما بهم إلى اتباعهم ، والقى الله الرعب في قلوب المشركين فانهموا من غير حرب ، وخرج المسلمون إلى حمراء الاسد ، وهي على ثمانية اميال من المدينة <sup>٢</sup> .

ويتبنى الشيخ الطوسي احيانا رايا خاصا يخالف فيه كل الاراء التي وردت بخصوص نزول الآية ، ويرد عليها ، ومثال ذلك ما قاله في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) <sup>٣</sup> .

قال شيخنا الطوسي :

نزلت في ابي جهل وفي خمسة من قومه من قيادة الاحزاب ، قتلوا يوم بدر في قول الربيع بن انس ، واختاره البلخي والمغربي ، وقال ابن عباس : نزلت في قوم باعياهم من احبار اليهود ، وذكرهم باعياهم من اليهود الذين حول المدينة ، وقال قوم : نزلت في مشركي العرب ، واختار الطبري قول ابن عباس ، والذي نقوله : انه لا بد ان تكون الآية مخصوصة ، لان حملها على العموم غير ممكن ، لانا علمنا ان في الكفار من يؤمن ، فلا يمكن العموم ، واما القطع على واحد مما قالوه فلا دليل عليه <sup>٤</sup> .

كما خالف الشيخ الطوسي جمع من المفسرين الذين قالوا : ان (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ

١ . النساء ( ٤ ) الآية ١٠٣ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٥١

٣ . البقرة ( ٢ ) الآية ٦ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٦٠ .

**الأعمى** <sup>١</sup> كان المراد فيها النبي <sup>٩</sup> حينما اقبل عليه ابن ام مكتوم ، فقال مفسرنا :

قال كثير من المفسرين واهل الحشو : ان المراد به النبي <sup>٩</sup> قالوا : وذلك ان النبي <sup>٩</sup> كان معه جماعة من اشراف قومه ورؤسائهم قد خلا بهم ، فاقبل ابن ام مكتوم ليسلم ، فاعرض النبي <sup>٩</sup> عنه كراهية ان تكره القوم اقباله عليه ، فعاتبه الله على ذلك.

وهذا فاسد ، لان النبي <sup>٩</sup> قد اجل الله قدره عن هذه الصفات ، وكيف يصفه بالعبوس والتقطيب ، وقد وصفه بانه **(لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)** <sup>٢</sup> وقال :

**(وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)** <sup>٣</sup> وكيف يعرض عن تقدم وصفه مع

قوله تعالى : **(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)** <sup>٤</sup> ومن عرف

النبي <sup>٩</sup> وحسن اخلاقه ، وماخصه الله تعالى به من مكارم الاخلاق وحسن الصحبة حتى قيل ، انه لم يكن يصفح احدا قط ، فينزعه يده من يده ، حتى يكون ذلك الذي ينزع يده من يده ، فمن هذه صفته كيف يقطب في وجه اعمى جاء يطلب الإسلام؟ على ان الانبياء : منزهون عن مثل هذه الاخلاق وعمما هو دونها لما في ذلك من التنفير عن قبول قولهم والاصغاء إلى دعائهم ، فلا يجوز مثل هذا على الانبياء من عرف مقدارهم وتبين نعمتهم. <sup>٥</sup>

وهكذا يستعين المفسر بالقرآن نفسه ببراءة ساحة النبي ، ويدحض ما توهمه المفسرون

بايات بينات من كتاب الله تعالى.

من كل ما تقدم تبين لنا مدى سعة اطلاع الشيخ الطوسي وتمكنه من تتبع الحقائق

ومعرفته باسباب النزول لايات الكتاب العزيز ، وهو يرجح ما رجح من الاراء عن بيته ، ويرد ما

رد عن بيته ، مع تدعيم ارائه بابلغ الحجج ووضحها ، وتلك سمة لا تتوفر الا في اولئك القلائل

من اعلام المفسرين وكبارهم.

١. عبس ( ٨٠ ) الآيات ١ و ٢.

٢. القلم ( ٦٨ ) الآية ٤.

٣. آل عمران ( ٣ ) الآية ١٥٩.

٤. الأنعام ( ٦ ) الآية ٥٢.

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٢٦٩.

## المحكم والمتشابه

تعرض الشيخ الطوسي في التبيان إلى المحكم والمتشابه في القرآن الكريم دون تكلف ، اذ تخفف منهما بعبارات واضحات ، وادرجهما ضمن السياق ، ليعطي لهما من المعاني مايفيد دون توسعة في القول ، فهو حينما يفسر قوله تعالى : **(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ... )** يقول :

المحكم هو ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن إليه ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحه ، نحو قوله تعالى :

**(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا) ١.**

وقوله :

**(لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) ٢** لانه لا يحتاج إلى معرفة المراد به دليل ٣.

كما عرف المتشابه بقوله :

والمتشابه : ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد به نحو قوله : **(وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) ٤** فانه يفارق قوله تعالى : **(وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ) ٥** لان اضلال السامري قبيح ، واضلال الله بمعنى حكمه بان العبد ضال ليس قبيح ، بل هو حسن ٦.

وبعد ان ثبت الشيخ الطوسي رايه واضحا وصريحا في المحكم والمتشابه اورد ما وقع فيه

المفسرون من اختلافات في تعريف المحكم والمتشابه فيقول :

١. يونس ( ١٠ ) الآية ٤٤ .

٢. النساء ( ٤ ) الآية ٤٠ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .

٤. الجاثية ( ٤٥ ) الآية ٢٣ .

٥. طه ( ٢٠ ) الآية ٨٥ .

٦. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .

واختلف أهل التأويل . يعني أهل التفسير . في المحكم والمتشابه على خمسة أقوال <sup>١</sup> :

الاول : قال ابن عباس :

المحكم : الناسخ والمتشابه المنسوخ .

الثاني : قال مجاهد :

المحكم : ما لا يشتهبه معناه ، والمتشابه ما اشتبهت معانيه نحو قوله : **(وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)**

<sup>٢</sup> ونحو قوله : **(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى)** <sup>٣</sup> .

الثالث : قال محمد بن جعفر بن الزبير الجبائي :

ان المحكم ما لا يحتتمل الا وجهها واحدا ، والمتشابه ما يحتتمل وجهين فصاعدا .

الرابع : قال ابن زيد :

ان المحكم هو الذي لم تتكرر الفاظه ، والمتشابه : هو المتكرر الالفاظ .

الخامس : ما روي عن جابر :

ان المحكم : ما يعلم تعيين تاويله . والمتشابه : ما لا يعلم تعيين تاويله . نحو قوله : **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ**

**السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا)** <sup>٤</sup> .

وحيثما ذكر الشيخ الطوسي اراء المفسرين لم يعترض على احدهم ، كما لم يرجح رأيا

على رأي ، ويبدو انه كان قد استحسّن كل هذه التعاريف والا لما سكت عنها .

ويضيف الشيخ الطوسي شيئا إلى ما عرف به المحكم ، وهو يفسر **(هِنَّ أُمَّ الْكِتَابِ)**

فيقول : معناه اصل الكتاب الذي يستدل به على المتشابه وغيره من امور الدين .

وهذا يعني ان المحكم يقوم دليلا على المتشابه ، وعلى امور الدين الاخرى .

ولم يكتف المفسر بهذا الشرح ، وانما يطرح سؤالا ، ثم يجيب عنه ليوضح العلة التي من

اجلها انزل المتشابه في القرآن .

فيقول :

١ . نفس المصدر .

٢ . البقرة ( ٢ ) الآية ٢٦ .

٣ . محمد ( ٤٧ ) الآية ١٧ .

٤ . النازعات ( ٧٩ ) الآية ٤٢ ، الأعراف ( ٧ ) الآية ١٨٦ .

« فان قيل : لم انزل في القرآن المتشابه؟ وهلا انزله كله محكما ».

فيحيب الشيخ بقوله :

قيل : للحث على النظر الذي يوجب العلم دون الاتكال على الغير من غير نظر ، وذلك انه لو لم يعلم بالنظر ان جميع ما ياتي به الرسول حق يجوز ان يكون الخبر كذبا ، وبطلت دلالة السمع وفائدته ... ولو لا ذلك لما بان منزلة العلماء وفضلهم على غيرهم ، لانه لو كان كله محكما لكان من يتكلم باللغة العربية عالما به ولا كان يشتبه على احد المراد به فيتساوى الناس في علم ذلك على ان المصلحة معتبرة في انزال القرآن. فما انزله متشابها ، لان المصلحة اقتضت ذلك ، وما انزله محكما فلمثل ذلك <sup>١</sup>.

ويذهب الشيخ الطوسي إلى القول بان المتشابه في القرآن يقع فيما اختلف الناس فيه من امور الدين <sup>٢</sup>.

مثال ذلك :

قوله تعالى : **(ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ)** <sup>٣</sup> فاحتمل في اللغة ان يكون كاستواء الجالس على السرير ، واحتمل ان يكون بمعنى الاستيلاء ، نحو قول الشاعر.

« ثم استوى بشر <sup>٤</sup> على العراق من غير سيف ودم مهراق »

واحد الوجهين لا يجوز عليه تعالى لقوله : **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)** <sup>٥</sup> وقوله :

**(وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)** <sup>٦</sup>.

والاخر يجوز عليه ، فهذا من المحكم الذي يرد إليه المتشابه <sup>٧</sup>.

وهذا وقد اورد الشيخ الطوسي معنى اخر في المحكم عندما فسر قوله تعالى :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٩٦.

٢. نفس المصدر.

٣. الأعراف ( ٧ ) الآية ٥٣ ؛ يونس ( ١٠ ) الآية ٣.

٤. يريديه بشرين مروان.

٥. الشورى ( ٤٢ ) الآية ١١.

٦. الاخلاص ( ١١٢ ) الآية ٤.

٧. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٩٦.

### (الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ) <sup>١</sup>

فقال : الأحكام منع الفعل من الفساد.

واستشهد بقول الشاعر :

« ابني حنيفة احكموا سفهاءكم ابني اخاف عليكم ان اغضبا »

وقال في معنى (أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ)

قيل : اقوال <sup>٢</sup> :

أحدهما : قال الحسن : احكمت بالامر والنهي ، وفصلت بالثواب والعقاب .

الثاني : قال قتادة : احكمت آياته من الباطل ، ثم فصلت بالحرام والحلال .

الثالث : قال مجاهد (أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ) على وجه الجملة (ثُمَّ فَصَّلَتْ) اي بينت آية اية .

وهكذا نجد الشيخ الطوسي يتحفظ من هذا الموضوع دون ان يستغرق في التفاصيل

والشرح ، وذلك بعد ان طرح رايه واضحا ، ودلل عليه بايات من كتاب الله تعالى .

### آيات الأحكام

امتاز الشيخ الطوسي عن كثير من المفسرين ببلوغه درجة الاجتهاد <sup>٣</sup> والتي اصبح بها

فقيها يمتلك القدرة العلمية على استخراج الحكم الشرعي من دليله المقرر له <sup>٤</sup> ، وبهذا فقد توفرت

للشيخ الطوسي ذهنية اسلامية ذات طابع شمولي ، استطاع من خلالها الاحاطة بمختلف علوم

الشرعية وفنونها ، ومنها تمكن من ان يدقق النظر في آيات الأحكام التي وردت في القرآن الكريم

، ليستنبط منها ومن السنة الشريفة اراءه الفقهية التي جعلته شيخا

١. هود ( ١١ ) الآية ١ .

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٤٤٦ .

٣. الاجتهاد : هو النظر في الادلة الشرعية لتحصيل معرفة الأحكام الفرعية التي جاء بها سيد المرسلين ، ( راجع

المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٣٤ ) .

٤. الصدر ، الفتاوى الواضحة ، ص ١٠٣ .

للطائفة الإمامية<sup>١</sup> وفقهها للشيعة<sup>٢</sup>.

رغم ان الشيخ الطوسي صنف كتبا كثيرة في مجال الفقه الا ان تفسيره ( التبيان ) قد احتوى الكثير من ارائه الفقهية من خلال تفسيره لآيات الأحكام الواردة في الكتاب العزيز ، وكان الطوسي لا يكتفي بطرح رايه الفقهي فقط ، وانما يذكر اراء غيره من فقهاء المذاهب الإسلامية الاخرى ، ويشير إلى كل منها سواء كانت متفقة مع ارائه او مختلفة ، وبهذا يكون الشيخ الطوسي قد تميز بروح علمية موضوعية عالية ، حيث يضع القارئ لتفسيره امام اغلب الاراء الفقهية ، ويناقش ما يرى في مناقشته مصلحة ، ويرد على ما يعتقد بضرورة الرد عليه من اراء الفقهاء ، وهنا نورد<sup>٣</sup> امثلة لمنهجه هذا :

مثال : قال في تفسيره لقوله تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ

وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ... )<sup>٤</sup> وقوله :

( فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ) امر من الله بغسل الوجه.

واختلفوا في حد الوجه الذي يجب غسله ، فحده عندنا من قصاص شعر الراس إلى محاذي شعر الذقن طولاً ، وما دخل بين الوسطى والابهام عرضاً ، وما خرج عن ذلك فلا يجب غسله ، وما نزل من الشعر عن المحادر فلا يجب غسله<sup>٥</sup>.

ثم يذكر اراء الغير فيقول :

وقال بعضهم :

ما ظهر من بشرة الإنسان من قصاص شعر راسه منحدرًا إلى منقطع ذقنه طولاً ، وما بين

١. اغا بزرك الطهراني ، مقدمة التبيان ، ج ١ ، ص ٤٤ .

٢. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٩٧ .

٣. ابو العباس احمد بن يحيى الكوفي النحوي المتوفى سنة ٢٩١ هـ .

٤. المائة ( ٥ ) الآية ٦ .

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٤٤٩ .

الاذنين عرضاً ، قالوا : والاذنان وما بطن من داخل الفم والانف والعين فليس من الوجه ، ولا يجب غسل ذلك ولا غسل شيء منه ، واما ما غطاه الشعر كالذقن والصدغين ، فان امرار الماء على ماعلا الشعر عليه يجزي من غسل ما بطن منه من بشرة الوجه ، لان الوجه عندهم ما ظهر لعين الناظر من ذلك يقابلها دون غيره ، وهذا بعينه مذهبنا ، الا ما خرج عن الابهام والوسطى إلى الاذن فانه لا يجب غسله .  
ذهب إلى ما حكيناه إبراهيم ومغيرة والحسن وابن سيرين وشعبة والزهري وربيعه وقتادة والقاسم بن محمد وابن عباس وابن عمر .

قال ابن عمر : الاذنان من الرأس ، وبه قال قتادة والحسن ، ورواه ابو هريرة عن النبي ٩ .

وقال اخرون :

الوجه كل مادون منابت شعر الرأس إلى منقطع الذقن طولاً ، ومن الاذن إلى الاذن الاخرى عرضاً ، ما ظهر من ذلك لعين الناظر ، وما بطن منه من منابت شعر اللحية والعارضين ، وما كان منه داخل الفم والانف ، وما اقبل من الاذنين على الوجه ، وقالوا يجب غسل جميع ذلك ، ومن ترك شيئاً منه لم تجزه الصلاة . ذهب إليه ابن عمر في رواية نافع عنه وابو موسى الأشعري ومجاهد وعطاء والحكم وسعيد بن جبير وطاووس وابن سيرين والضحاك وانس بن مالك وام سلمة وابو ايوب وابو امامة وعمار بن ياسر وقتادة كلهم قالوا بتخليل اللحية ، فاما غسل باطن الفم فذهب إليه مجاهد وحامد وقتادة ، واما من قال : ما اقبل من الاذنين يجب غسله ، وما ادبر يجب مسحه فالشعبي ١ .

ومما سبق تبين ان مدى احاطة الشيخ الطوسي باراء مختلف الفقهاء ومن مختلف المذاهب ، حيث يذكر الراي الفقهي في المسألة ، ثم يذكر من قال بها من الفقهاء ، وبهذه الطريقة يضع القارئ امام معظم الاراء الفقهية المختلفة على حد سواء .

ومثل ذلك في تفسيره لقوله تعالى (وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) حيث بين اوجه الاتفاق

والاختلاف بين العلماء والفقهاء في هذه المسألة .

فقال :

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٤٥٠ .

يجب عندنا غسل الايدي من المرافق وغسل المرافق معها إلى رؤوس الاصابع ، ولايجوز غسلها من الاصابع إلى المرافق.

و ( إلى ) في الآية بمعنى « مع » ... وطعن الزجاج على ذلك فقال : لو كان المراد بالي « مع » لوجب غسل اليد إلى الكتف لتناول الاسم له ، وانما المراد بالي الغاية والانتهاء ، لكن المرافق يجب غسلها مع اليدين ، وهذا الذي ذكر ليس بصحيح ، لانا لوخلىنا وذلك لقلنا بما قاله ، ولكن خرجنا بدليل ، ودليلنا على صحة ماقلناه : اجماع الامة على انه متى بدا من المرافق كان وضوؤه صحيحا ، واذا جعلت غاية ففيه الخلاف ، واختلف أهل التاويل في ذلك ، فقال مالك بن انس : يجب غسل اليدين إلى المرفقين ، ولايجب غسل المرفقين ، وهو قول زفر ، وقال الشافعي : لا اعلم خلافا في ان المرافق يجب غسلها ، وقال الطبري : غسل المرفقين ومافوقهما مندوب إليه غير واجب ، وانما اعتبرنا غسل المرافق ، لاجماع الامة على ان من غسلهما صحت صلاته ، ومن لم يغسلهما ففيه خلاف.

وقوله : **(وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ)** اختلفوا في صحة المسح ، فقال قوم : يمسح منه مايقع عليه اسم المسح ، وهو مذهبننا ، وبه قال ابن عمر والقاسم بن محمد وعبدالرحمن بن ابي ليلى وابراهيم والشعبي وسفيان ، واختاره الشافعي واصحابه والطبري.

وذهب قوم إلى انه يجب مسح جميع الراس ذهب إليه مالك ، وقال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد : لايجوز مسح الراس باقل من ثلاثة اصابع ، وعندنا لايجوز المسح الا على مقدم الراس.

وقوله : **(وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)** عطف على الرؤوس ، فمن قرأ بالجر ذهب إلى انه يجب مسحهما كما وجب مسح الراس ، ومن نصبهما ذهب إلى انه معطوف على موضع الرؤوس لان موضعها نصب لوقوع المسح عليها .. فالقراءتان جميعا تفيد ان المسح على ما نذهب إليه ، وممن قال بالمسح ابن عباس والحسن البصري وابو علي الجبائي ومحمد بن جرير الطبري غير انهم اوجبوا الجمع بين المسح والغسل ، المسح بالكتاب والغسل بالسنة ، وخير الطبري في ذلك ، واوجبوا كلهم استيعاب جميع الرجل ظاهراً وباطناً.

وعندنا ان المسح على ظاهرهما من رؤوس الاصابع إلى الكعبين ، وهما الناتان في

وسط القدم على ما استدل عليه ، وقال عكرمة عن ابن عباس : الوضوء غسلتان ومسحتان ، وبه قال انس بن مالك.

وقال عكرمة : ليس على الرجلين غسل انما فيهما المسح ، وبه قال الشعبي :  
ألا ترى ان التيمم يمسخ ماكان غسلًا ويلغي ماكان مسحًا. وقال قتادة : افترض الله مسحتين وغسلتين<sup>١</sup>.

وفي مثال اخر :

قال الشيخ الطوسي في تفسيره لقوله تعالى :

**(وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ**

**الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا)**<sup>٢</sup> قال :

وعندنا وعند كثير من الفقهاء ان فرض المسافر مخالف لفرض المقيم ، وليس ذلك قصرا ، لاجماع اصحابنا على ذلك ، ولما روي عن النبي<sup>٩</sup>.

انه قال : فرض المسافر ركعتان غير قصر ، واما الخوف بانفراده فانه يوجب القصر ، وفيه خلاف ، وقد روي عن ابن عباس ان صلاة الخائف قصر من صلاة المسافر ، وانها ركعة ركعة ، وقال قوم : معنى قوله :

**(فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا)** يعني من حدود الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ،

وهو الذي رواه اصحابنا في صلاة شدة الخوف ، وانه يصلي ايماء والسجود اخفض من الركوع ، فان لم يقدر فان التسبيح المخصوص يكفي عن كل ركعة<sup>٣</sup> ، واختلف أهل التاويل في قصر الصلاة فقال قوم :

هي قصر من صلاة الحاضر ماكان يصلي اربع ركعات اذن له في قصرها ، فيصلبها ركعتين ، ذهب إليه يعلى بن امية وعمر بن الخطاب ، وان يعلى قال لعمر كيف نقصر الصلاة وقد امننا؟ فقال عمر : عجبت

مما عجبت منه ، فسالت النبي (ص) عن ذلك فقال : صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ، وبه قال ابن جريح وقتادة<sup>٤</sup>.

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٤٤٩ . ٤٥٢ .

٢. النساء ( ٤ ) الآية ١٠١ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ .

٤. نفس المصدر .

وقال قوم :

القصر لاجبوز الا مع الخوف ، روي ذلك عن عائشة وسعد بن ابي وقاص.

وقال اخرون : عنى بما قصر الصلاة ، صلاة الخوف في حال غير شدة الخوف <sup>١</sup>.

واما حد السفر الذي يجب فيه التقصير فعندنا انه ثمانية فراسخ.

وقال ابو حنيفة واصحابه : مسيرة ثلاثة ايام ، وقال الشافعي : ستة عشر فرسخا ، ثمانية واربعون ميلا ،

وقال قوم : يجب في قليل السفر وكثيره.

وهكذا نجد المفسر يشبع الآية شرحا وتفصيلا ذاكرا للكثير من الاراء المختلفة حولها

بامانة ونزاهة وموضوعية.

مثال :

وقال عند تفسيره للآية الكريمة :

**(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءَ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)<sup>٢</sup>**

وظاهر قوله : **(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ)** يقتضي عموم وجوب القطع على كل من يكون سارقا اوسارقة

<sup>٣</sup>.

وقد رد الشيخ الطوسي ذلك بقوله :

ظاهر الآية يقتضي وجوب القطع على كل من يسمى سارقا ، وانما يحتاج إلى معرفة الشروط ، ليخرج من

جملتهم من لا يجب قطعه ، فاما من يجب قطعه فانا نقطعه بالظاهر ، فالاية مجملة فيمن لا يجب قطعه

دون من يجب قطعه ، فسقط ما قالوه <sup>٤</sup>.

وقوله **(فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا)** امر من الله بقطع ايدي السارق والسارقة ، وانما اعتبرنا قطع الايمان ،

لاجماع المفسرين كالحسن والسدي والشعبي وغيرهم ، وفي قراءة ابن مسعود **(وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ**

**فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمْ).**

اما النصاب الذي يتعلق القطع به قيل فيه ستة اقوال :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٣٠٨.

٢. المائدة ( ٥ ) الآية ٣٨.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٥١٢.

٤. الطوسي ، التبيان. ج ٣ ، ص ٥١٢.

اولها : على مذهبنا وهو ربع دينار ، وبه قال الاوزاعي والشافعي ، لما روي عن النبي ٩ انه قال : « القطع في ربع دينار ».

الثاني : ثلاثة دراهم وهو قيمة المجن ، ذهب إليه مالك بن انس.

الثالث : خمسة دراهم روي ذلك عن علي ٧ وعن عمر ، وانهما قالا : « لا يقطع الخمس الا في خمسة دراهم » وهو اختيار ابي علي ، قال : لانه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكاة في انه فاسق.

الرابع : قال الحسن : يقطع في درهم ، لان مادونه تافه.

الخامس : عشرة دراهم ذهب إليه ابو حنيفة واصحابه ، لما روي انه كان قيمة المجن عشرة دراهم.

السادس : قال اصحاب الظاهر وابن الزبير يقطع في القليل والكثير ولا يقطع الا من سرق من حرز ، والحرز يختلف فلكل شيء حرز يعتبر فيه حرز مثله في العادة.

وحده اصحابنا بانه كل موضع لم يكن لغيره الدخول إليه والتصرف فيه الا باذنه فهو حرز.

وقال ابو علي الجبائي : الحرز ان يكون في بيت او دار مغلق عليه ، وله من يراعيه ويحفظه.

ومن سرق من غير حرز لا يجب عليه القطع ، قال الرماني : لانه لا يسمى سارقاً حقيقة وانما يقال ذلك

بجازا كما يقال : سرق كلمة او معنى في شعر ، لانه لا يطلق على هذا اسم سارق على كل حال.

وقال داود : يقطع اذا سرق من غير حرز<sup>١</sup>.

### ثم حدد الشيخ الطوسي كيفية القطع فقال :

وكيفية القطع عندنا يجب من اصول الاصابع الاربعة ويترك الابهام ، وهو المشهور عن علي ٧ : وقال اكثر

الفقهاء : انه يقطع من الرسغ وهو المفصل بين الكف والساعد وقالت الخوارج : يقطع من الكتف.

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٥١٣.

وقد استدل قوم من اصحابنا على ماقلناه بقولهم **(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ)** .<sup>١</sup>

وانما يكتبون بالاصابع ، والمعتمد ماقلناه<sup>٢</sup> ، ثم بين الشيخ الطوسي حكم من تكررت سرقاته فقال :  
ومتى سرق بعد قطع اليد دفعة ثانية قطعت رجله اليسرى ، فان سرق ثالثة حبس عندنا ، وبه قال الحسن .  
وقال ابو علي تقطع اليد الاخرى ، فان سرق في الحبس قتل عندنا ، ولا يعتبر ذلك احد من الفقهاء .  
وظاهر الآية يقتضي وجوب قطع العبد والامة اذا سرقا لتناول اسم السارق والسارقة لهما<sup>٣</sup> .

وهكذا نجد الشيخ الطوسي يتفاعل مع آيات الأحكام بنفس فقهي وروح اجتهادية تؤهله معها ملكة الاستنباط التي حصل عليها لان يشبع الآيات الواردة في الأحكام بحثا وتدقيقا ، مع مناقشة كل راي كان قد طرحته المذاهب الإسلامية المختلفة ، الامر الذي يعطي لتفسير التبيان اهمية خاصة باعتبار ان مؤلفه فقيه مفسر .

### التأويل

ظهرت كلمة التأويل إلى جنب كلمة التفسير في البحوث القرآنية عند المفسرين القدماء ، واعتبرت من قبلهم متفقة بصورة جوهرية مع كلمة التفسير في المعنى ، فالكلمتان معا تدلان على بيان معنى اللفظ والكشف عنه ، ولعل الاختلاف الذي وقع بين المفسرين حول هاتين الكلمتين انما كان منصبا في تحديد مدى التطابق بينهما ، وهنا نعرض لكل من التفسير والتأويل ، لنرى مدى الاتفاق والاختلاف بينهما .

فالتفسير في اللغة :

١ . البقرة ( ٢ ) الآية ٧٩ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٥١٣ . ٥١٤ .

٣ . نفس المصدر .

هو الايضاح والتبين والفسر : البيان ، فسر الشيء يفسره . بالكسر . ويفسره . بالضم آفسره : ابانه ،  
والتفسير مثله ... الفسر : كشف المغطى والتفسير : كشف المراد عن اللفظ المشكل<sup>١</sup> .

وبهذا يكون التفسير : هو الكشف الحسي او المعنوي .

اما التاويل لغة : فهو من

الاول بمعنى الرجوع ، ال الشيء يؤول اولاً ومالاً : رجع اولاً إليه الشيء : رجع ... واول الكلام وتاوله :  
دبره وقدره ، واوله وتاوله : فسر<sup>٢</sup> .

وفي القاموس جاء :

آل إليه أولاً ومالاً : رجع ... واوله إليه : رجع ... واول الكلام تاويلاً وتاوله : دبره وقدره وفسره<sup>٣</sup>

وبهذا فليس هناك من فرق في اللغة بين التفسير والتاويل ، وفي هذا يشير صاحب لسان  
العرب فيقول :

سئل ابو العباس احمد بن يحيى عن التاويل فقال : التاويل والمعنى والتفسير واحد<sup>٤</sup> .

اما التاويل اصطلاحاً فيعني : صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوع لدليل  
يقترن به .

والذي عليه الشيخ الطوسي هو عدم التفرقة بين التفسير والتاويل اذ يرى ان التاويل  
مرادف للتفسير ومن ذلك فقوله :

واختلف أهل التاويل في المحكم والمتشابه على خمسة اقوال<sup>٥</sup> :  
الاول : قال ابن عباس : المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ .  
والثاني : قال مجاهد .....  
.....

- ١ . الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، فصل الفاء باب الراء ، ابن منظور ، لسان العرب ، فصل الفاء حرف الراء .
- ٢ . ابن منظور ، لسان العرب ، فصل الهمزة حرف اللام .
- ٣ . الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، فصل الهمزة باب اللام .
- ٤ . ابن منظور ، لسان العرب ، فصل الهمزة حرف اللام .
- ٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .

الثالث : قال محمد بن جعفر بن الزبير والجبائي ....

والرابع : قال ابن زيد .....

وهكذا اخذ يعد المفسرين واحدا واحدا مما يدل على ان استعماله لعبارة أهل التاويل بانها كانت تعني أهل التفسير.

ثم يؤكد ذلك عندما يفسر قوله تعالى :

(... فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ

تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ... )<sup>١</sup>

فيقول :

والتاويل : التفسير واصله المرجع والمصير من قولهم ال امره إلى كذا يؤول اولا :

اذا صار إليه واولته تاويلا اذا صيرته اليه .. وقوله : ( وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا )<sup>٢</sup> قيل معناه احسن جزاء لان امر

العباد يؤول إلى الجزاء. واصل الباب : المصير ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ) يعني تفسيره<sup>٣</sup>.

وقد ظل التاويل يعني التفسير حتى جاء المتأخرون من الفقهاء والكلاميين والمتصوفة فاتخذ معنى اصطلاحيا جديدا ، اما فيما مضى فقد كان يعني التاويل . عند السلف . تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره او خالفه فيكون التاويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا او مترادفا<sup>٤</sup> وهذا مانجده واضحا لدى الشيخ الطوسي اذ لا يفرق بين التاويل والتفسير اطلاقا وانما يضع احدهما مكان الاخر وكانهما مترادفان.

١. آل عمران ( ٣ ) الآية ٧.

٢. النساء ( ٤ ) الآية ٥٨ ، الاسراء ( ١٧ ) الآية ٣٥.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٩٩.

٤. ابن تيمية ، مجموعة الرسائل الكبرى ، رسالة الاكليل ، ج ٢ ، ص ١٧.



## الفصل الثاني :

### الشيخ الطوسي وعقائد الامامية

تحدث القرآن الكريم في آيات عديدة عن مسائل عقيدية كانت غاية في الهمية كصفات الله وخلق القرآن وافعال العباد ، هل هي من خلق الله ام من تدبير الإنسان نفسه؟ إلى جانب مسائل اخرى لاتقل عن هذه الهمية في مجال العقيدة ، وقد قراها الصحابة والرعييل الاول من المسلمين ، فامنوا بها دون ان يقولوا شيئاً بصددتها ، حتى اذا ما اذن النصف الاول للقرن الهجري الاول بالانصراف ، واذا بالمدرسة الإسلامية تعيش حالة ارهاصات لولادة بعض الفرق والمذاهب ، حيث ظهرت عندئذ القدرية ، فكان معبد بن خالد الجهني ( ت ٨٠ هـ ) اول من تكلم بالقدر حيث كان يقول : « لا قدر والامر انف »<sup>١</sup> ، وبهذا يكون القدرية قد فتحووا بابا للكلام بين المسلمين اخذ بالانتشار والتوسع شيئاً فشيئاً ، فظهرت بعد ذلك الهمية والتي تنسب إلى جهم بن صفوان ( ت ١٢٨ هـ ) ، وهو من القائلين بالجبر ، وقد وافق جهم اراء المعتزلة في نفي الصفات الازلية الا انه خالفهم في اراء اخرى كثيرة منها : انه لايجوز وصف البارئ بصفة يوصف بها خلقه ، لان ذلك يقتضي تشبيها ، فنفي كونه حيا عالما واثبت كونه قادرا فاعلا خالقا ، لانه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل

١. البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ( ١٤ )

والخلق ، وان الإنسان ، لا يقدر على شيء ، ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور في افعاله ، لاقدرة له ولا ارادة ولا اختيار <sup>١</sup> .

ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت المعتزلة ، والتي كان واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٣١ هـ شيخها وقديسها <sup>٢</sup> ، وراح هؤلاء ينقضون اراء الجبرية ، وينفون ما اكده الصفاتيون ، واعتقدوا باصول خمسة ، عرف بها المذهب الاعتزالي فيما بعد ، وهي :  
التوحيد ، العدل ، المنزلة بين المنزلتين ، الوعد والوعيد ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر <sup>٣</sup> .

وقد اثارت اراء المعتزلة موجة من الصراع الحاد بينهم وبين السلفيين ، وخاصة في مسألة الصفات الالهية ، وفي هذا يقول الشهرستاني :

اعلم ان جماعة كبيرة من أهل السلف كانوا يثبتون لله ( تعالى ) صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجلود والانعام والعزة والعظمة ، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل ، بل يسوقون الكلام سوفا واحدا ، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والرجلين ، ولا يؤولون ذلك الا انهم يقولون :  
هذه الصفات قد وردت في الشرع ، فنسميها صفات خبرية ، ولما كان المعتزلة ينفون الصفات ، والسلف يثبتون سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة <sup>٤</sup> .

وقد دخل حلبة الصراع جمع اخر من أهل السلف ، كان ابرزهم ابو الحسن الأشعري ، ثم تلاه الباقلائي والجويني والغزالي والشهرستاني والرازي وغيرهم ، وهؤلاء جوزوا الكلام في المسائل الاعتقادية على نحو يختلف مع ما كان عليه بعض السلفيين من الصحابة والتابعين وتابعيهم من الذين حرّموا الكلام فيها ، ووجبوا الايمان بما على ما هو ظاهر من

١ . الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٨٦ .

٢ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٥٤ .

٣ . القاضي عبدالجبار ، شرح الاصول الخمسة .

٤ . الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٩٢ .

نصوص الكتاب والسنة الشريفة<sup>١</sup> .

ولقد كان للمدرسة الإمامية رأي في كل مسألة من المسائل التي أثير الكلام حولها ، وستعرض لها بشيء من التفصيل ، مع ذكر آراء الشيخ الطوسي فيها باعتباره مفسرا يتعرض في تفسيره للايات القرآنية التي كانت مثار جدل بين الفرق الإسلامية ، ولكونه شيخ الطائفة ومتكلم الشيعة<sup>٢</sup> وفقه الإمامية<sup>٣</sup> ، وسنحاول استجلاء موقف الشيخ الطوسي من خلال تفسير التبيان آزاء اصول الدين الخمسة التي تؤمن بها المدرسة الإمامية ، والتي هي ( التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد )<sup>٤</sup> .

### التوحيد

اجمع المسلمون على الايمان بوحدانية الله تعالى ، والامامية<sup>٥</sup> يعتقدون بهذا الاصل كما يعتقد به غيرهم ، وقد امنوا بان الله ( تعالى ) واحد احد ليس كمثل شئ قلسم لم يزل ولا يزال ، هو الاول والاخر عليم حلیم عادل حي قادر غني سمیع بصير لا يوصف بما يوصف به المخلوقات ، وقالوا : بانه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات ، فكما يجب توحيدته في الذات ( اولاً ) ، يجب توحيدته في الصفات ( ثانياً ) ، وكذلك يجب توحيدته في العبادة ( ثالثاً ) ، فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه<sup>٦</sup> ، ومثل هذا قال المعتزلة فذكروا : ان الله واحد ، ليس كمثل شئ ، وليس بجسم ولا شبح ولا حثة ولا صورة ، ولا يتحرك ولا يسكن ، ولا يتبعض ، ولا يحيط به مكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولا يوصف بشيء من

١. مصطفى حلمي ، قواعد النهج السلفي والنسق الإسلامي في مسائل الألوهية والعالم والانسان عند ابن تيمية .
٢. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٩٧ .
٣. ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٧٩ .
٤. الزنجاني ، عقائد الإمامية الاثني عشرية ، ص ١١١ .
٥. يقول الشيخ المفيد في تسمية الشيعة بالامامية مانصه ( فاما السمة للمذهب بالامامية ووصف الفريق من الشيعة بالامامية فهو علم على من دان بوجوب الامامة ووجودها في كل زمان ) انظر المفيد ، اوائل المقالات ، ص ٧ .
٦. المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٣٦ . ٣٧ .

صفات الخلق الدالة على حدثهم ، ولاندركه الحواس ، ولم يزل علما قادرا حيا ، ولا يزال كذلك <sup>١</sup> .  
وقد أكد الشيخ الطوسي وحدانية الله تعالى خلال تفسيره ، فقال عند تفسيره لقوله تعالى  
: ( لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ) <sup>٢</sup> :

لوصح الهان او الهة لصح بينهما التمانع ، فكان يؤدي ذلك إلى ان احدهما اذا اراد فعلا واراد الاخر ضده ، اما ان يقع مرادهما فيؤدي إلى اجتماع الضدين ، او لا يقع مرادهما فينتقض كونهما قادرين ، او يقع مراد احدهما فيؤدي إلى نقض كون الاخر قادرا ، وكل ذلك فاسد ، فاذن لا يجوز ان يكون الاله الا واحدا <sup>٣</sup> .

وعلى هذا فان الله ( تعالى ) :

واحد في الالهية والازلية ، ولا يشبهه شيء ، ولا يجوز ان يماثله شيء ، وانه فرد في المعبودية لاثاني له فيها على الوجوه كلها والاسباب ، وعلى هذا اجمع أهل التوحيد الا من شذ من أهل التشبيه ، فانهم اطلقوا الفاظه ونخالفوا في معناه <sup>٤</sup> .

ومثل هذا المعنى يوكده الشيخ الطوسي في مكان اخر من التبيان فيقول :  
ويدل على ان خالق الجسم لا يشبهه ، لانه لو اشبهه لكان محدثا مثله ، ويدل على انه  
قديم ، لانه لو كان محدثا لاحتاج إلى محدث ، ولادى ذلك إلى ما لا يتناهى <sup>٥</sup> .

### صفات الله تعالى

تعرض الشيخ الطوسي في تفسيره إلى مسألة الصفات ، ورد على المجسمة والمشبهة في  
أكثر من موضع ، وأكد في أكثر من مكان من تبيانه ان الله خالق قادر عالم قديم فقال في

١ . الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ١ ، ص ٢٣٥ وما بعدها .

٢ . الانبياء ( ٢١ ) الآية ٢٢ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ٢١١ . ٢١٢ .

٤ . المفيد ، اوائل المقالات ، ص ١٧ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٧٩ .

تفسيره لقوله تعالى :

### (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ) <sup>١</sup>

وفي السماوات والارض لايات للمؤمنين الذين يصدقون بالله ، ويقرون بتوحيده وصدق انبيائه ... ، وفي السماوات والارض دلالات على الحق من وجوه كثيرة ، منها انه يدل بخلقها على ان لها خالقا ، وانه قادر لا يعجزه شيء ، وانه مخالف لها ، فلا يشبهها ، وعلى انه عالم بما فيها من الإتقان والانتظام ، وفي استحالة تعلق القدرة بما دلالة على ان صانعها قديم غير محدث ، ويوقفها مع عظمها وتقل اجرامها بغير عمد ولا سند يدل على ان القادر عليها قادر على الاتيان بما لا يتناهى ، ولا يشبه احد من القادرين ، وانه خارج من حد الطبيعة <sup>٢</sup> .

وهذا ما اكده الامام علي بن موسى الرضا ثامن ائمة الإمامية بقوله :

الاقرار بانه لا اله غيره ولا شبيهه له ، ولا نظير له ، وانه مثبت قديم موجود غير فقير ،

وليس كمثلته شيء <sup>٣</sup> . كما وقال الطوسي عند تفسيره لقوله تعالى :

### (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) <sup>٤</sup> .

وقوله : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها : ليس مثل الله شيء من الموجودات ولا المعدومات .

الثاني : قال الرماني : انه بلغ في نفي الشبيه اذا نفي مثله ، لانه يوجب نفي الشبه على التحقيق والتقدير ، وذلك انه لو قدر له مثل لم يكن له مثل صفاته ، ولبطل ان يكون له مثل ، ولتفرده بتلك الصفات ، وبطل ان يكون مثلا له فيجب ان يكون من له مثل هذه الصفات على الحقيقة لامثل له اصلا ، اذ لو كان له مثل لم يكن هو بصفاته ، وكان ذلك الشيء الاخر هو الذي له تلك الصفات .

١ . الجاثية ( ٤٥ ) الآية ٣ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٢٤٥ .

٣ . الصدوق ، عيون اخبار الرضا ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

٤ . الشورى ( ٤٢ ) الآية ١١ .

الثالث : انه نفى ان يكون لمثله مثل واذا ثبت انه لا مثل لمثله فلا مثل له أيضاً ، لانه لو كان له مثل لكان له امثال<sup>١</sup> .

وقوله : **(وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** معناه انه على صفة يجب ان يسمع المسموعات اذا وجدت ويصير المبصرات اذا وجدت وذلك يرجع إلى كونه حيا لا افة به<sup>٢</sup> .

وقد اكد الشيخ الطوسي ايمانه بتنزيه الله عن اوصاف المخلوقين متبعا في ذلك قول الامام جعفر الصادق . سادس ائمة أهل البيت . في هذا الصدد حيث يقول (ع) :

هو عز وجل مثبت موجود لامبطل ولا معدود ولا في شيء من صفة المخلوقين ، وله ( عزوجل ) نعوت وصفات واماؤه حاوية على مخلوقين مثل السميع والبصير والرؤوف والرحيم واشباه ذلك ، والنعوت نعوت الذات لاتليق الا بالله تبارك وتعالى ، والله نور لاظلام فيه وحي لا موت له وعالم لا جهل فيه وصمد لا مدخل فيه ، ربنا نوري الذات حي الذات عالم الذات صمدي الذات<sup>٣</sup> .

وقد اوضح الشيخ الطوسي هذا الراي الذي عليه اجماع الإمامية في كل مناسبة يمر عليها عبر آيات الكتاب العزيز فقال في تفسيره لقوله تعالى :

**( وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرَا فِي وَكِنٍ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا )**

٤

قال الطوسي :

اختلف المفسرون في وجه مسالة موسى<sup>٧</sup> ذلك مع ان الرؤية بالحاسة لا تجوز عليه تعالى على ثلاثة اقوال :

احدها : انه سال الرؤية لقومه حين قالوا له **(لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً)**<sup>٥</sup> .

الثاني : في اصل المسالة : انه سال العلم الضروري الذي يحصل في الآخرة ، ويكون في

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ١٤٧ .

٢ . نفس المصدر ، ص ١٤٨ .

٣ . الصدوق ، التوحيد ، ص ٩٣ .

٤ . الأعراف ( ٧ ) الآية ١٤٣ .

٥ . البقرة ( ٢ ) الآية ٥٥ .

الدنيا ، ليزول عنه الخواطر والشبهات ، والرؤية تكون بمعنى العلم كما يكون الإدراك بالبصر كما قال :

**(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) ١ .**

والثالث : انه سال اية من آيات الساعة التي يعلم معها العلم الذي لا يحتلج فيه الشك ، كما يعلم في الاخر وهذا قريب من الثاني.

وقوله تعالى : **(لَنْ تَرَانِي)** جواب من الله ( تعالى ) لموسى انه لا يراه على الوجه الذي ساله ، وذلك

دليل على انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة ، لان « لن » تفيد التأييد. ٢

واما التحلي الذي ورد في النص القرآني فيفسره الشيخ الطوسي بما لا يخالف رأي الإمامية

في الصفات فيقول :

وقوله **(فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ)** معناه اظهر اياته التي احدثها في الجبل لحاضري

الجبل بان جعله دكا. ٣

وقد اكد الشيخ الطوسي عدم جواز رؤية الله تعالى في معرض رده على المجسمة والمشبهة

فقال عند تفسيره لقوله تعالى :

**(وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ**

**بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) ٤ :**

وقد ظن قوم من المشبهة ان قوله **(إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ)** انهم يشاهدونه وهذا فاسد لان المشاهدة

لا تجوز الا على الاجسام او على ما هو حال في الاجسام وقد ثبت حدوث ذلك اجمع فلا يجوز ان يكون

تعالى بصفة ما هو محدث. ٥

ومثل هذا الموقف كان الطوسي قد اتخذه عند تفسيره لقوله تعالى **(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ**

**يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) ٦ .**

١ . الفيل ( ١٠٥ ) الآية ١ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٥٣٥ . ٥٣٦ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٥٣٦ .

٤ . الأنعام ( ٦ ) الآية ٣٠ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١١٣ .

٦ . الأنعام ( ٦ ) الآية ١٠٣ .

فقال :

وفي هذه الآية دلالة واضحة على انه تعالى لا يرى بالابصار ؛ لانه تمدح بنفي الادراك عن نفسه ، وكلما كان نفيه مدحا غير متفضل به فائباته لا يكون الا نقصا ، والنقص لا يليق به تعالى .<sup>١</sup>

وبهذا يتفق الشيخ الطوسي مع اراء المعتزلة وبعض الصحابة في عدم جواز القول برؤية

الله ( تعالى ) ولذلك يقول :

وقال الشعبي<sup>٢</sup> : قالت عائشة : من قال ان احدا راى ربه فقد اعظم الفرية على الله وقرات الآية ، وهو قول السدي وجماعة أهل العدل من المفسرين كالحسن والبلخي والجبائي والرماني وغيرهم ... وقال أهل الحشو والمجبرة بجواز الرؤية على الله تعالى في الآخرة ، وتاولوا الآية على الاحاطة وقد بينا فساد ذلك.<sup>٣</sup>

ولم تنفرد الإمامية بالقول بعدم جواز الرؤية على الله ( تعالى ) ، بل شاركهم في هذا

الراي المعتزلة والخوارج والزيدية وكثير من أهل الحديث ، وهذا ما اوضحه الشيخ المفيد حيث

يقول :

لا يصح رؤية الباري سبحانه بالابصار ، وبذلك شهد العقل ونطق القرآن وتواتر الخبر من ائمة الهدى من ال محمد ٩ وعليه جمهور أهل الإمامية وعامة متكلميهم الا من شذ منهم لشبهة عرضت له في تاويل الاخبار ، والمعتزلة باسرها توافق أهل الامامة في ذلك ، وجمهور المرجئة وكثير من الخوارج والزيدية وطوائف من اصحاب الحديث ، ويخالف فيهم المشبهة اخوانهم من اصحاب الصفات.<sup>٤</sup>

وقال الطوسي في تفسيره لقوله تعالى : **(وَجُودٌ بِؤْمِنٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ)** .<sup>٥</sup>

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ .

٢. الشعبي : هو ابو عمر عامر بن شراحيل الكوفي من كبار التابعين كان فقيها شاعرا توفي سنة ١٠٤ هـ . انظر للمسعودي

، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٤٠١ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ .

٤. المفيد ، اوائل المقالات ، ص ٢٣ .

٥. القيامة ( ٧٥ ) الآية ٢٣ .

وقوله : **(إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)** معناه منتظرة نعمة ربها وثوابه ان يصل اليهم.

وقوله **(وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** <sup>١</sup> معناه لا ينيلهم رحمته.

وقال الطوسي في تفسيره لقوله تعالى : **(وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)** <sup>٢</sup>.

وقوله : **(إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)** معناه منتظرة نعمة ربها وثوابه ان يصل اليهم وقوله **(وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ**

**يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** <sup>٣</sup> معناه لا ينيلهم رحمته ، ويكون النظر بمعنى المقابلة ومنه المناظرة في الجدل ....

وليس النظر بمعنى الرؤية اصلا بدلالة اهم يقولون : نظرت إلى الهلال فلم اره فلو كان بمعنى الرؤية لكان متناقضا ....

ثم يقول :

ولوسلمنا ان النظر يعدل الرؤية لجاز ان يكون المراد انها رؤية ثواب ربها ، لان الثواب الذي هو انواع الملمات من الماكول والمشروب والمنكوح تصح رؤيته ويجوز أيضاً ان يكون إلى واحد الالاء وفي واحدتها لغات ( الا ) مثل قفا و ( إلى ) مثل معى و ( إلى ) مثل حسى فاذا اضيف إلى غيره سقط التنوين ، ولا يكون ( إلى ) حرفا في الآية وكل ذلك يبطل قول من اجاز الرؤية على الله تعالى <sup>٤</sup>.

وليس لاحد ان يقول :

ان الوجه الاخير يخالف الاجماع ، اعني اجماع المفسرين وذلك لانا لانسلم لهم ذلك بل قد قال مجاهد وابو صالح والحسن وسعيد بن جبير والضحاك : ان المراد نظر الثواب. وروي مثله عن علي <sup>٥</sup>.

وقد فرق أهل اللغة بين نظر الغضبان ونظر الراضي ويقولون : نظر الغضبان ونظر الراضي ونظر عداوة ونظر مودة قال الشاعر :

١ . آل عمران ( ٣ ) الآية ٧٧ .

٢ . القيامة ( ٧٥ ) الآية ٢٣ .

٣ . آل عمران ( ٣ ) الآية ٧٧ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ١٩٨ .

٥ . نفس المصدر ، ص ١٩٩ .

## تخبرني العينان ما الصدر كاتم ولاحن بالبغضاء والنظر الشرزر

والرؤية ليست كذلك فأنهم لا يضيفونها فدل على ان النظر غير الرؤية والمرئي هو المدرك ولا تصح الرؤية وهي الادراك الا على الاجسام او الجوهر او الالوان .. ومن شرط المرئي ان يكون هو او محله مقابلا او في حكم المقابل وذلك يستحيل عليه تعالى ، فكيف نجيز الرؤية عليه تعالى؟<sup>١</sup>

ووفق هذا التصور فسر الشيخ الطوسي (الوجه) في قوله تعالى:

**(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)**<sup>٢</sup>

فقال: المراد بالوجه فيه اختلاف ، قال الحسن ومجاهد: المراد به فثم جهة القبلة ، وهي الكعبة ، لانه يمكن التوجه اليها من كل مكان.

وقيل: معناه فثم وجه الله فادعوه كيف توجهتم.

وقال اخرون واختاره الرماني والجبائي: فثم رضوان الله ، كما يقال وهذا وجه العمل ، وهذا وجه الصواب ، وكانه قال: للوجه الذي يؤدي إلى رضوان الله<sup>٣</sup>.

ومثل ذلك قاله في تفسيره للفظه (يَدُ اللَّهِ) في قوله تعالى: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)<sup>٤</sup>.

قيل في معناه قولان:

احدهما: عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم ، لانهم بايعوا الله ببيعة النبي<sup>٥</sup>.

والاخر: قول الله في نصرة نبيه<sup>٦</sup> فوق نصرتهم.

وقيل: يدالله في هدايتهم فوق ايديهم بالطاعة<sup>٧</sup>.

وبهذا يكون الشيخ الطوسي وضح المعنى بما ينسجم والراي الذي اجمع عليه الإمامية

بعيدا عن كل تجسيم او تشبيه بصفات المخلوقين.

وعند تفسيره لقوله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

١. الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ١٩٩ .

٢. البقرة ( ٢ ) الآية ١١٥ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

٤. الفتح ( ٤٨ ) الآية ١٠ .

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٣١٩ .

## وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ<sup>١</sup>

قال : ومعنى الآية ان الارض باجمعها في مقدوره كما يقبض عليه القابض فيكون في قبضته وكذلك قوله

(وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) معناه اي في مقدوره طيها وذكرت اليمين مبالغة في الاقتدار

والتحقيق للملك<sup>٢</sup>.

وقد اكد الشيخ الطوسي ان التشبيه كفر بالله عز وجل وذلك عند تفسيره لسورة الاخلاص فقال :

وقوله (اللَّهُ الصَّمَدُ) وقيل في معناه قولان :

احدهما : قال ابن عباس وشقيق وابو وائل : انه السيد المعظم.

الثاني : ان معناه الذي يصمد إليه بالخوائج ليس فوقه احد.

ثم اردف قائلاً : ومن قال : الصمد بمعنى المصمت ، فقد جهل الله ، لانه المصمت هو المتضاغط الاجزاء

، وهو الذي لاجوف له ، وهذا تشبيه وكفر بالله تعالى.

وقوله (لَمْ يَلِدْ) نفي منه تعالى لكونه والدا له ولد.

وقوله (وَلَمْ يُولَدْ) نفي لكونه مولودا له والد ، لان ذلك من صفات الاجسام وفيه رد على من قال : ان

عزير والمسيح ابناء الله تعالى وان الملائكة بنات الله<sup>٣</sup>.

قوله : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) نفي من الله تعالى ان يكون له مثل او شبيه او نظير<sup>٤</sup>.

## خلق القرآن

يجمع الإمامية على ان القرآن مخلوق محدث لم يكن ثم كان<sup>٥</sup>.

وهم بذلك يقصدون الالفاظ والحروف المقروءة التي تضمنها كتاب الله تعالى الذي انزله

على نبيه الامين محمد بن عبد الله<sup>٩</sup>.

١. الزمر ( ٣٩ ) الآية ٦٧.

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٤٥.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٤٣٠ ، ٤٣١.

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٤٣١.

٥. المظفر ، دلائل الصدق ، ج ١ ، ص ٢٢٦.

وهكذا يتضح اعتقاد الإمامية في هذه المسألة والى هذا المعنى اشار السيد الطباطبائي في

الميزان بقوله :

ان اريد بالقرآن هذه الآيات التي تتلوها بما انما كلام دال على معان ذهنية فهو ليس بحسب الحقيقة لاحادثا ولا قديما ، وانما هو منتصف بالحدوث بحدوث الاصوات التي هي معنونة بعنوان الكلام والقرآن ، وان اريد به ما في علم الله من معانيها الحقّة كان كعلمه تعالى بكل شيء حقا قديما بقدمه ، فالقرآن قدم اي علمه تعالى به قدم<sup>١</sup> .

اما الأشعري فيذهب إلى ان :

القرآن باعتباره كلاما يدل على معنى العلم الالهي الذي هو عين الذات ، فانه قدم من هذه الجهة ، وعليه فلا يمكن ان يوصف بوصف زمني ، فهو ليس بقديم ولا مخلوق ولكنه كلام الله<sup>٢</sup> .

والشيخ الطوسي قال كغيره من علماء الإمامية بحدوث القرآن ، ودافع عن هذا بحماس ،

ومن ذلك قوله عند تفسيره للآية الكريمة ( **مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ**

**يَلْعَبُونَ** )<sup>٣</sup> :

وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث ، لانه تعالى اخبر انه ليس ياتيهم ذكر محدث من ربه الا استمعوه ، وهم لاعبون ، ثم قال : والاستماع لا يكون الا في الكلام ، وقد وصفه بانه محدث فيجب القول بحدوثه<sup>٤</sup> .

كما واكد الشيخ الطوسي مثل هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى :

( **وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ** )<sup>٥</sup>

فقال :

١. الطباطبائي ، الميزان ، ج ١٤ ، ص ٢٤٧ .

٢. الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ١ ، ص ١١٤ .

٣. الانبياء ( ٢١ ) الآية ٢ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ٢٠٢ .

٥. الانبياء ( ٢١ ) الآية ٥٠ .

وفي ذلك دلالة على حدوثه ، لان مايوصف بالانزال وبانه مبارك يتنزل به لايكون قديما ، لان ذلك من صفات المحدثات <sup>١</sup> .

ونجده في موضع اخر وعند تفسيره لقوله تعالى :

**(مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**

**قَدِيرٌ)** <sup>٢</sup> يقول :

وفي الآية دليل على ان القرآن غير الله ، وان الله هو المحدث له والقادر عليه ، لان ماكان بعضه خيرا من بعض او شرا من بعض فهو غير الله لاحالة ، وفيها دليل ان الله قادر عليه وماكان داخلا تحت القدرة فهو فعل والفعل لايكون الا محدثا ، ولانه لوكان قديما لما صح وجود النسخ فيه <sup>٣</sup> .

وظل الشيخ الطوسي متبنيا لراي الإمامية في مسالة خلق القرآن ، ويستثمر لذلك الراي

والدفاع عنه كل مناسبة يمكنه الحديث من خلالها حول هذا الموضوع ، ولذلك نراه عندما يفسر

قوله تعالى : **(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** <sup>٤</sup>

يقول :

وفيه دلالة على حدوثه ، لان المفعول هو المحدث ، ولان مايكون عربيا لايكون قديما لحدوث العربية ، فان قيل : معنى جعلناه سميانه ، لان الجعل قد يكون بمعنى التسمية ، قلنا : لايجوز ذلك . هاهنا . لانه لوكان كذلك لكان الواحد منا اذا سماه عربيا فقد جعله عربيا ، وكان يجب لوكان القرآن على ما هو عليه ، وسماه اعجميا لن يكون اعجميا ، اوكان يكون بلغة العجم وسماه عربيا لن يكون عربيا ، وكل ذلك فاسد <sup>٥</sup> .

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ٢٢٦ .

٢ . البقره ( ٢ ) الآية ١٠٦ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٣٩٩ .

٤ . الزخرف ( ٤٣ ) الآية ٣ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ١٧٨ .

## العدل

وهو الاصل الثاني من اصول الدين عند الشيعة الإمامية الذين يعتقدون :

ان من صفات الله الثبوتية الكمالية انه عادل غير ظالم ، فلايجوز في قضائه ولايحيف في حكمه ، يثيب المطيعين ، وله ان يجازي العاصين ، ولايكلف عباده مالا يطيقون ، ولايعاقبهم زيادة على ما يستحقون ، وانه سبحانه لايترك الحسن عند عدم المزامحة ، ولايفعل القبيح لانه تعالى قادر على فعل الحسن وترك القبيح ، مع فرض علمه بحسن الحسن وقبح القبيح وغناه عن ترك الحسن وعن فعل القبيح ، فلا الحسن يتضرر بفعله حتى يحتاج إلى تركه ، ولاالقبيح يفتقر إليه حتى يفعله ، وهو مع كل ذلك حكيم لا بد ان يكون فعله مطابقاً للحكمة ، وعلى حسب النظام الاكمل ... وبذلك فان الله تعالى منزه عن الظلم وفعل ما هو قبيح<sup>١</sup> .

وقد تطرق الشيخ الطوسي إلى جملة من المسائل التي تتصل بالعدل ، وطرح رايه فيها ، وناقش آراء من يختلف معهم ، وفند ما لم يقيم عليه دليل من تلك الآراء ، كما انه اتفق مع غيرالامامية في كثير من هذه المسائل ، وبين اوجه التشابه بينها ، وهنا نعرض لبعض تلك المسائل التي ادلى فيها الشيخ الطوسي بدلوها ، وهو يفسر آيات الكتاب المجيد :

١ . الظلم والفساد : تعرض الشيخ الطوسي لمسألة الظلم والفساد ، وعلاقة ذلك بالله

تعالى ، فاكد تنزيهه سبحانه ، فقال في تفسيره لقوله تعالى : **(وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ)**:<sup>٢</sup>

انه تعالى لا يريد ظلماً للعباد ولا يؤثره لهم ، وذلك دال على فساد قول المجرة الذين يقولون : ان كل ظلم في العالم بارادة الله<sup>٣</sup> .

وقال في تفسيره لقوله تعالى :

١ . المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٤٠ وما بعدها.

٢ . غافر ( ٤ ) الآية ٣١ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٧٣ .

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) <sup>١</sup>.

وفي الآية دلالة على ان منع الثواب ظلم ، وفيه أيضاً دلالة على انه قادر على الظلم لاختصاصه تعظيم وتنزيه عن فعل ما يقدر عليه ، فانه لا يفعل له لعلمه بقبحه ولانه غني عنه ، ولانه لو فعل لكان ظلماً ... وذلك منزه عنه تعالى <sup>٢</sup>.

وقال عند تفسيره للآية الكريمة : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

: <sup>٣</sup>

فانه تعالى لم يظلم احدا من العباد ، بل كانوا انفسهم يظلمون بجحدهم نعم الله واتخاذهم مع الله الهة عبودها ، وطغيانهم وفسادهم في الارض ، وذلك يدل على فساد قول المجبرة الذين قالوا : ان الظلم من فعل الله ، لانه لو كان من فعله لما كانوا هم الظالمين انفسهم ، بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم <sup>٤</sup>.

كما ويرى المفسر ان في الآية الكريمة (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ

أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) <sup>٥</sup> دلالة على بطلان مذهب المجبرة في ان الله تعالى يريد

الظلم ، لانه قال : (لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) واذا لم يحب الظلم لم يحب فعل الظلم ، لانه انما لم

يجزحبه الظالم لظلمه ، والمحبة هي الارادة ، وفي الآية دلالة على انه لا يجازي المحسن بما يستحقه

المسيء ولا المسيء بما يستحقه المحسن ، لان ذلك ظلم <sup>٦</sup>.

كما واحتج الشيخ الطوسي على المجبرة الذين ينسبون الظلم إلى الله (تعالى) بدليلين

وذلك عندما فسر قوله تعالى :

١. النساء ( ٤ ) الآية ٤٠ .

٢. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

٣. العنكبوت ( ٢٩ ) الآية ٤٠ .

٤. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

٥. آل عمران ( ٣ ) الآية ٥٧ .

٦. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ .

## (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) <sup>١</sup>

قال :

انه تعالى لايفعل القليل من الظلم لامرين : احدهما : انه خرج مخرج جواب للمجبرة وردا عليهم ، لانهم ينسبون كل ظلم في العالم إليه تعالى ، فبين انه لوكان كما قالوا لكان ظلوما وليس بظالم .  
الثاني : انه لو فعل اقل قليل الظلم لكان عظيما منه ، لانه يفعله من غير حاجة إليه ، فهو اعظم من كل ظلم فعله فاعله لحاجته إليه <sup>٢</sup> .

### أفعال العباد

اختلفت المدارس الإسلامية في ارائها حول مسألة حرية الارادة بالنسبة للانسان ، وفيما اذا كانت افعاله التي يقوم بها تأتي بمحض ارادته واختياره ام انه مجبور على فعلها ومسير ازاؤها ، ولايملك الا ان يفعل ، وفي ذلك نشأت مدارس مختلفة في الراي ومتباينة في الاتجاه ، تطرفت احدها للقول : ان الإنسان مجبور ومسير ، وانه لا بد له من الاستجابة ، لما جبل عليه من فعل الخير او الشر ، وقالت اخرى :

بان الإنسان مفوض إليه فعله ، فهو يفعل كما لو لم تكن هناك ارادة الهية تتصرف في هذا الوجود ، وبين هذه المدرسة وتلك وقفت المدرسة الإمامية لتقول كلمتها فكانت على لسان الامام جعفر بن محمد الصادق <sup>٧</sup> حيث قال :

« لاجبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين » <sup>٣</sup> .

وبذلك كانت المدرسة الإمامية تحتل الموقف الوسط بين المدارس الإسلامية الاخرى وتمثل الاعتدال في الراي وقد أكد ذلك الامام الصادق <sup>٧</sup> حين سئل عن الجبر والقدر فقال :

( لاجبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما ، فيها الحق ... لا يعلمها الا العالم او من علمها اياه )

١ . الحج ( ٢٢ ) الآية ١٠ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ .

٣ . الكليني ، اصول الكافي ، كتاب التوحيد ، باب الجبر والقدر والامر بين الامرين .

العالم) <sup>١</sup>.

وقد دافع الشيخ الطوسي عن الراي الذي تتبناه المدرسة الإمامية في هذا المجال ، وطرح رايه في اكثر من موقف ، كما ناقش المجبرة كثيرا ، وفند اراءهم ، وهو يمر بعشرات الآيات القرآنية مفسرا.

فقال في تفسيره لقوله تعالى :

(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ) <sup>٢</sup>

قال :

فخص من ذلك السيء بانه مكروه عند الله لانه تعالى لا يكره الحسن وفي ذلك دلالة على بطلان مذهب المجبرة من ان الله يريد المعاصي لان هذه الآية صريحة بان السيء من الافعال مكروه عند الله <sup>٣</sup>.

وقال عند تفسيره لقوله تعالى :

(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) <sup>٤</sup>

فقال :

ثم اخبر ان المرسل اليهم مختارون غير مجبرين ولا مضطرين ، ودل على انه غير محدث لشيء من افعالهم فيهم ، وان الافعال لهم هم يكتسبونها بما خلق الله فيهم من القدرة وانه قد هداهم وبين لهم وبشرهم وانذرهم فمن امن اتاه ومن عصاه عاقبه ، ولو كانوا مجبورين على المعاصي مخلوقا فيهم الكفر ، ولم يجعل فيهم القدرة على الايمان لما كان

١ . الشيخ المفيد ، عقائد الصدوق .

٢ . الاسراء ( ١٧ ) الآيات ٣٧ و ٣٨ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٤٧٨ .

٤ . الأنعام ( ٦ ) الآيات ٤٨ و ٤٩ .

للاية معنى<sup>١</sup>.

وقال الطوسي عند تفسيره للاية الكريمة :

**(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنْتَى تُؤَفِّكُونَ )<sup>٢</sup>**

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال : ان الله ( تعالى ) يحول بين العبد وبين مادعاه إليه ، اذ يخلق فيه ما نجاه عنه ... ، لانه قال : **( فَأَنْتَى تُؤَفِّكُونَ )** ولو كان شيئاً من ذلك لكان هو الموفك لهم والصارف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>٣</sup>.

وعند تفسيره لقوله تعالى :

**(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ)<sup>٤</sup>**

قال الشيخ الطوسي :

اخبر الله تعالى في هذه الآية على وجه التمدح به بانه لا يظلم احداً شيئاً ، وانما الناس هم الذين يظلمون انفسهم بارتكاب ما نهي الله عنه من القبائح ، فيستحقون بما عقابا ، فكأنهم الذين ادخلوا عليها ضرراً ، فلذلك كانوا ظالمين لانفسهم والمعنى . هاهنا . ان الله لا يمنع احداً من الانتفاع بما كلفهم الانتفاع به من القرآن وادلته ، ولكنهم يظلمون انفسهم بترك النظر فيه والاستدلال به وتقويتهم انفسهم الثواب وادخالهم عليها العقاب ، ففي الآية دلالة على ان فاعل الظلم ظالم كما ان فاعل الكسب كاسب ، وليس لهم ان يقولوا بفعل الظلم ولا يكون ظالماً به<sup>٥</sup>.

وبهذا يكون الشيخ الطوسي قد نفى الراي القائل بان الله هو الخالق لافعال العباد وليس

للانسان القدرة على فعلها.

واكد هذا المعنى أيضاً في تفسيره لقوله تعالى :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١٤١ .

٢. الأنعام ( ٦ ) الآية ٩٥ .

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٢٠٩ .

٤. يونس ( ١٠ ) الآية ٤٤ .

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٣٨٣ .

## (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) ١

فقال :

ومن تعلق من المجرة بقوله (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) ٢ على ان افعال العباد مخلوقة لله فقد ابعد ، لان المراد بذلك ماقدمناه من انه تعالى خالق كل شيء يستحق بخلقه العبادة دون ما لا يستحق به ذلك ، ولو كان المراد ما قالوه لكان فيه حجة للخلق على الله تعالى وبطل التوبيخ الذي تضمنته الآية إلى من وجه عبادته الاصنام ، لانه اذا كان الخالق لعبادتهم الاصنام هو الله على قول المجرة فلا توبيخ يتوجه على الكفار ، ولا لوم يلحقهم ، بل لهم ان يقولوا : انك خلقت فينا ذلك فما ذنبنا فيه ، ولم توجنا على فعل فعلته؟ فتبطل حينئذ فائدة الآية ٣ .

وهذا المعنى كان قد اكده الشيخ المفيد وهو استاذ مفسرنا حين قال :

« الصحيح عن ال محمد ٩ : ان افعال العباد غير مخلوقة لله .»

من هنا نجد الشيخ الطوسي حين يفسر قوله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) ٤

يقول :

ثم نبههم فقال : والله تعالى هذا الذي خلقكم وخلق الذي تعملون فيه من الاصنام ، لانها اجسام ، والله تعالى هو المحدث لها ، وليس للمجرة ان تتعلق بقوله (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ) فنقول : ذلك يدل على ان الله خالق لافعالنا ، لامور :  
احدها : ان موضوع كلام إبراهيم لهم بني على التفرع لهم لعبادتهم الاصنام ، ولو كان من فعله تعالى لما توجه عليهم العيب ، بل كان لهم ان يقولوا :  
لم توجنا على عبادتنا للاصنام والله الفاعل لذلك فكانت الحجة لهم لا عليهم .  
الثاني : انه قال لهم (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) ونحن نعلم انهم لم يكونوا يعبدون نحتهم الذي

١ . الرعد ( ١٣ ) الآية ١٦ .

٢ . الرعد ( ١٣ ) الآية ١٦ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٢٣٧ .

٤ . الصافات ( ٣٧ ) الآية ٩٦ .

هو فعلهم ، وانما يعبدون الاصنام التي هي الاجسام وهي فعل الله بلاشك. فقال لهم **(وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ** ) وخلق هذه الاجسام<sup>١</sup>.

وقد اتفق الإمامية مع المعتزلة في مسألة افعال العباد عندما قالوا بان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها مستحق على مايفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة ، والرب تعالى منزه ان يضاف إليه شر وظلم وفعل ، هو كفر ومعصية ، لانه لوخلق الظلم كان ظالما ، كما لو خلق العدل كان عادلا<sup>٢</sup>.

### الحسن والقبح

الحسن والقبيح صفتان كاملتان في ذوات الاشياء ، فبعضها حسن وبعضها قبيح ، وان العقل الذي هو الرسول الباطن يدركهما ، ويحكم بهما قبل ورود الشرع.<sup>٣</sup>

ولهذا فالقبح والحسن عقليان قبل ان يكونا شرعيين ولذا فالانسان باعتباره كائنا عاقلا وخالقا لافعاله ، فهو مسؤول عنها ، ومثل هذا الراي قالت به المعتزلة فقسموا الافعال إلى حسنة وقبيحة ، وراوا ان الإنسان قادر ان يميز بعقله قبل ورود الشرع بين حسنها وقبيحها<sup>٤</sup>

والى هذا يذهب الشيخ الطوسي اثناء التفسير فيقول عند تفسيره لقوله تعالى : **(وَقَالُوا**

**لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ اِنَّهُمْ اِلَّا يَخْرُصُونَ )**<sup>٥</sup>

قال :

فيه ابطال لمذهب المجرة في ان الله تعالى يريد القبيح من افعال العباد لان الله تعالى قطع على كذبهم في ان الله تعالى يشاء عبادتهم للملائكة وذلك قبيح لا محالة وعند المجرة :

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٤٧٠ .

٢. بدوي ، مذاهب الإسلاميين ، ج ١ ، ص ٤٨ .

٣. الطهراني ، الذريعة ، ج ٧ ، ص ١٧ .

٤. جار الله ، المعتزلة ، ص ١٠٨ .

٥. الزخرف ( ٤٣ ) الآية ٢٠ .

الله تعالى شاءه. وقد نفاه تعالى عن نفسه وكذبهم في قوله<sup>١</sup>.

وفي هذا يقول الشيخ الطوسي عند تفسيره للآية الكريمة.

**(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)<sup>٢</sup>**

وقوله **(وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)** دلالة على ان المعاصي ليست من عند الله بخلاف ماتقوله المجربة ، ولا من فعله لانها لو كانت من عنده وليس لهم ان يقولوا انها من عنده خلقا وفعلا وليست من عنده انزالا ولا امرا ، وذلك انها لو كانت من عنده فعلا او خلقا لكانت من عنده على اكد الوجوه فلم يجز اطلاقا النفي بانها ليست من عند الله. وكما لا يجوز ان تكون من عند الله من وجه من الوجوه لاطلاق النفي بانه ليس من عند الله ، فوجب العموم فيها باطلاق النفي<sup>٣</sup>.

وأكد المفسر هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى :

**(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)<sup>٤</sup>** . فقال :

وفي هذه الآية اول دلالة على ان الله لا يشاء المعاصي والكفر ، وتكذيب ظاهر لمن اضاف ذلك إلى الله ، مع قيام ادلة العقل على انه تعالى لا يريد القبيح ، لان ارادة القبيح قبيحة ، وهو لا يفعل القبيح ، ولان هذه صفة نقص فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا<sup>٥</sup>.

وبهذا وغيره أكد الشيخ الطوسي على ان المسؤولية تقع على العبد نفسه في اختياره

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ١٨٨.

٢. آل عمران ( ٣ ) الآية ٧٨.

٣. الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٥٠٩.

٤. الأنعام ( ٦ ) الآية ١٤٨.

٥. الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٣٠٩.

للحسن والقبیح من الاعمال ، وان الله لم يسلب منه حرية الاختيار بعد ان زوده بالعقل الذي بواسطته يستطيع التمييز بين الخير والشر والنفع والضرر والحسن والقبیح.  
**(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ١.**

## النبوة

وهي الاصل الثالث من اصول الدين عند الشيعة الإمامية ، وهم يعتقدون

بان النبوة وظيفة الهية وسفارة ربانية يجعلها الله تعالى لمن ينتخبه ويختاره من عباده الصالحين واوليائه الكاملين في انسانيتهم فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية ارشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والاخرة ، ولغرض تنزيههم وتركيتهم من درن مساوئ الاخلاق ومفاسد العادات وتعليمهم الحكمة والمعرفة وبيان طرق السعادة والخير لتبلغ الانسانية كمالها اللائق بها ، فترتفع إلى درجاتها الرفيعة في الدارين ... ، كما وان الله تعالى لم يجعل للناس حق تعيين النبي او ترشيحه او انتخابه وليس لهم الخيرة في ذلك ، بل امر كل ذلك بيده تعالى ، وليس لهم ان يتحكموا فيمن يرسله هاديا ومبشرا ونذيرا ولا ان يتحكموا فيما جاء به من احكام وسنن وشريعة ٢.

ويعتقد الإمامية ان قاعدة اللطف توجب ان يبعث الخالق اللطيف بعباده رسله ، لهداية البشر واداء الرسالة الاصلاحية ، وليكونوا سفراء الله وخلفاءه ٣ وهم بذلك يتفقون مع المعتزلة الذين اعتبروا النبوة لطفا حين بعث الله الانبياء ، لان المؤمنين ماكانوا بغير بعثتهم يؤمنون ٤ ، في حين خالفوا الاشاعرة الذين قالوا بان انبعث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة ٥.

١. الزلزلة ( ٩٩ ) الآيات ٧ و٨.

٢. المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٤٨ .

٣. نفس المصدر.

٤. القاضي عبدالجبار : ابواب التوحيد والعدل ، تحقيق الدكتور ابو العلاء عفيفي ، ج ٣ ، ص ٩٧ .

٥. الشهرستاني ، الملل والنحل ج ١ ، ص ١٠٢ .

كما ويعتقد الإمامية بوجود عصمة<sup>١</sup> الانبياء : ، ويستدلون على وجوبها بقولهم :

لوجاز ان يفعل النبي المعصية ، او يخطا وينسى ، وصدر منه شيء من هذا القبيل فاما ان يجب اتباعه في فعله الصادر منه عصيانا او خطأ ، او لايجب ، فان وجب اتباعه فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى ، بل اوجبنا ذلك ، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل ، وان لم يجب اتباعه ، فذلك ينافي النبوة التي لايد ان تقتزن بوجود الطاعة ابدا ، على ان كل شيء يقع منه من فعل او قول فنحن نحتمل فيه المعصية او الخطا ، فلايجب اتباعه في شيء من الاشياء ، فتذهب فائدة البعثة ، بل يصبح النبي كسائر الناس ليس لكلامه ولا لعمله تلك القيمة العالية التي يعتمد عليها دائما ، كما لاتبقى طاعة حتمية لاوامره ولاثقة مطلقة باقواله وافعاله.<sup>٢</sup>

ويذهب الإمامية إلى أكثر من ذلك ، حيث يعتقدون بعصمة الانبياء حتى قبل بعثتهم ، والى هذا المعنى يشير السيد المرتضى مبينا وجه الخلاف بين الإمامية وغيرهم من المذاهب الإسلامية في هذا المجال فيقول :

اختلف الناس في الانبياء : ، فقالت الشيعة الإمامية : لايجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب كبيرا وصغورا لا قبل النبوة ولابعدها ، بينما جوز اصحاب الحديث والحشوية على الانبياء الكبار قبل النبوة ، ومنهم جوزها في حال النبوة سوى الكذب فيما يتعلق باداء الشريعة ، ومنعت المعتزلة من وقوع الكبار والصغائر المستخفة من الانبياء : : قبل النبوة وفي حالها ، وجوزت في الحالين وقوع ما لا يستخف من الصغائر.<sup>٣</sup>

وقد دافع الشيخ الطوسي في تفسيره عن عصمة الانبياء جميعا دون استثناء ففي تفسيره قوله تعالى : ( **لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا** )<sup>٤</sup> ذكر احتمالات اربعة كان قد اوردها المفسرون للمراد من الذنب الذي ذكرته الآية الكريمة ، ثم جاء عليها لينسفها جميعا دفاعا عن الانبياء واثباتا منه بعصمتهم ، فقال

١ . العصمة في التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرها . وكبارها راجع عقائد الإمامية للمظفر ، ص ٥٤ .

٢ . المرتضى ، تنزيه الانبياء ، ص ٣ .

٣ . نفس المصدر .

٤ . الفتح ( ٤٨ ) الآية ٢ .

بعد ان ذكر الاحتمالات الاربعة والتي هي :

احدها : ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تاخر عنها.

الثاني : ماتقدم قبل الفتح وتاخر عنه.

الثالث : ما قد وقع منك وما لم يقع على طريق الوعد بانه يغفره له اذا كان.

الرابع : ما تقدم من ذنب ابيك ادم وما تاخر عنه <sup>١</sup>.

وهذه الوجوه كلها لا تجوز عندنا ، لان الانبياء : لا يجوز عليهم فعل شيء من القبيح لا قبل النبوة ولا بعدها ، لاصغرها ولا كبيرها. فلا يمكن حمل الآية على شيء مما قالوه ولا صرفها إلى ادم لان الكلام فيه كالكلام في نبينا محمد : <sup>٢</sup>.

وينفس هذه الروح دافع عن عصمة ادم <sup>٧</sup> وهو يفسر قوله تعالى :

**(فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَحَا بِخَصِيفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ زَرْقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ**

**رَبَّهُ فَعَوَى) <sup>٣</sup> فقال :**

قال قوم اخرون انه وقع من ادم عند اكل الشجرة خطاء ، لانه كان نهي عن جنس الشجرة فظن انه نهي عن شجرة بعينها فاحطا في ذلك ، وهذا خطأ ، لانه تنزيه له من وجه المعصية ونسبة المعصية إليه من وجهين : احدهما : انه فعل القبيح ، والثاني : انه احطا في الاستدلال ، وقال قوم : انما وقعت منه عمدا وكانت صغيرة ، وقعت محبطة ، وقد بينا ان ذلك لا يجوز عليهم : عندنا بحال <sup>٤</sup>.

ونراه في مكان اخر يرد على الجبائي وهو يفسر قوله تعالى :

**(عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعِنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَافِرِينَ) <sup>٥</sup>.**

فيقول :

وقال ابو علي الجبائي في الآية دلالة على ان النبي <sup>٩</sup> كان وقع منه ذنب في هذا الاذن.

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٣١٤ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٣١٤ .

٣ . طه ( ٢٠ ) الآية ١٢١ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ٢١٧ .

٥ . التوبة ( ٩ ) الآية ٤٣ .

قال : لانه لايجوز ان يقال لم فعلت ماجعلت لك فعله؟ كما لايجوز ان يقول لم فعلت ما امرتك بفعله ، وهذا الذي ذكره غير صحيح لان قوله (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ) انما هي كلمة عتاب له ٩ لم فعل ماكان الاولى به ان لايفعله ، لانه وان كان فعله من حيث لم يكن محظورا فان الاولى ان لايفعله ، ... وكيف يكون ذلك معصية وقد قال الله في موضع اخر (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) وانما اراد الله انه كان ينبغي ان ينتظر تأكيد الوحي فيه ، ومن قال : هذا ناسخ لذلك فعليه الدلالة<sup>١</sup>.

وهكذا يظل الشيخ الطوسي مدافعا عن كل مامن شاناه ان يشين من عصمة الانبياء سلام الله عليهم ويرد من يتوهم وقوعهم حتى في الصغائر ، لذلك نجد عند تفسيره لقوله تعالى :

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)<sup>٢</sup>

يقول :

ومن قال : انه . اي موسى<sup>٧</sup> . استغفر من صغيرة كانت منه او من اخيه فقد اخطا ، ويقال له : الصغيرة على مذهبكم تقع مكفرة محبطة فلامعنى لسؤال المغفرة لها<sup>٣</sup>.

وقد أكد المفسر :

ان الانبياء : لايجوز عليهم شيء من القبائح لأكبرها ولاصغيرها لان ذلك يؤدي إلى التنفير عن قبول قولهم ، والانبياء منزهون عما ينفر عنهم على كل حال<sup>٤</sup>.

### الامامة

وهي الاصل الرابع من اصول الدين عند الشيعة الإمامية الذين يرون ان الايمان لا يتم الا بالاعتقاد بها ، ولايجوز فيها تقليد الاباء والاهل والمرين مهما عظموا وكبروا ، بل يجب النظر في التوحيد والنبوة ، وانها كالنبوة لطف من الله تعالى ، فلا بد ان يكون في كل عصر امام

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٢٢٧ .

٢ . الأعراف ( ٧ ) الآية ١٥١ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٥٥٠ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ٥٥٠ .

هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وارشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين ، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم واقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم ، وعلى هذا فالامامة استمرار للنبوة والدليل الذي يوجب ارسال الرسل ، وبعث الانبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الامام بعد الرسول ، كما وان الإمامية يعتقدون بان الامامة لا تكون الا بالنص من الله تعالى على لسان النبي او لسان الامام الذي قبله ، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس<sup>١</sup> وان الامام كالنبي يجب ان يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش<sup>٢</sup> ومن السهو والخطا والنسيان ، والدليل الذي اقتضى عصمة الانبياء هو نفسه يقتضي الاعتقاد بعصمة الائمة<sup>٣</sup>.

ويختلف الإمامية مع المعتزلة في مسألة النص على الامام.

فالشيعية الإمامية يقولون بوجوب النص من الله تعالى على لسان النبي<sup>٩</sup> للامام ،

والامامة عندهم ليست بالاختيار والانتخاب ، وهذا ما اكده الشيخ المفيد حين قال :

اتفقت الإمامية على ان الامامة لا تثبت مع عدم المعجز لصاحبها الا بالنص على عينه والتوقيف ، واجمعت المعتزلة والزيدية والمرجئة والمتسمون باصحاب الحديث على خلاف ذلك ، واجازوا الامامة في من لامعجز له ولانص عليه ولاتوقيف<sup>٤</sup>.

وترى المعتزلة : ان الامامة تكون بانعقاد راي الامة على اختيار من يكون لها اماما في شؤون دينها ودنياها .

واختيار الامة الذي تراه ملزما في تنصيب الامام يختلف تماما مع النص الذي تؤمن به

الإمامية والتي لادخل للامة فيه اطلاقا ، حيث ان النص من قبل الله ورسوله بينما الاختيار من

قبل الامة ، وهو ماترفضه الإمامية ولا ترى في اختيارها لامام ما ملزما لطاعته شرعا.

١. المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٦٥ .

٢. نفس المصدر ، ص ٦٧ .

٣. الطوسي ، تلخيص الشافي في الامامة ، ص ٦٩ وما بعدها .

٤. المفيد ، اوائل المقالات ، ص ٩ .

٥. بدوي ، مذاهب الإسلاميين ، ج ١ ، ص ٣٢٦ .

ويرى الاماميون ان الامامة منصب الهي سنه الله للبشر كما سن النبوة ، وان الفرق بين النبي والامام هو :

ان الامام لا يوحى إليه كالنبي وانما يتلقى الأحكام منه مع تسديد الهي فالنبي مبلغ عن الله والامام مبلغ عن النبي<sup>١</sup>.

وبهذا فالامامة رئاسة دينية وزعامة الهية ونيابة عن الرسول في اداء وظائفه<sup>٢</sup> وقد اشترطوا في الامام شروطا لا بد من توفرها فيه فعن الامام علي بن موسى الرضا<sup>٩</sup> قال :

الامام عالم لا يجهل راع لا ينكل .. نامي العلم كامل الحلم .. مضطلع بالامامة عالم بالسياسة مفروض الطاعة قائم بامر الله عز وجل ناصح لعباد الله حافظ لدين الله<sup>٣</sup>.

ومن كل ماتقدم يتضح لنا ان من شروط الامامة هي :

١. العصمة.

٢. الاعلمية.

٣. النص على امامته.

وبهذا اجمعت الإمامية على ان امام الدين لا يكون الا معصوما من الخلاف لله تعالى ، عالما بجميع الدين ، كاملا في الفضل باينا من الكل بالفضل عليهم في الاعمال التي يستحق بها النعيم المقيم<sup>٤</sup>.

واجمعت المعتزلة والفرق الخارجة عن سمة الإمامية على خلاف ذلك ، وجوزوا ان يكون الائمة عصاة في الباطن ومن يقارن الاتام ، ولا يجوز الفضل ، ولا يكمل علوم الدين<sup>٥</sup>.

١. كاشف الغطاء ، اصل الشيعة واصولها ، ص ١٠٢.

٢. المظفر ، دلائل الصدق ، ج ٢ ، ص ١٧.

٣. الصدوق ، عيون اخبار الرضا ، ج ١ ، ص ٢٢١.

٤. المفيد ، اوائل المقالات ، ص ٧.

٥. المفيد ، الاختصاص ، ص ٢٠٣.

والشيخ الطوسي يتطرق لموضوع عصمة الامام في مواضع كثيرة من التبيان فيقول :  
 عند تفسيره للآية الكريمة : **(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)** <sup>١</sup> فيقول :

واستدل اصحابنا . يعني الإمامية . بهذه الآية على ان الامام لا يكون الا معصوما من القبائح لان الله تعالى نفى ان ينال عهده . الذي هو الامامة . ظالم ومن ليس بمعصوم فهو ظالم : اما لنفسه او لغيره <sup>٢</sup> .

ويقول الشيخ الطوسي رادا على مخالفيه في هذا الموضوع عند تفسيره لقوله تعالى :  
**(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** <sup>٣</sup>

يقول :

قال الجبائي : وفي الآية دليل على بطلان قول الرافضة من ان الائمة معصومون منصوص عليهم واحدا بعد الاخر إلى يوم القيامة ، لان على هذا لا بد ان يعلم اخر الائمة ان القيامة تقوم بعده ، ويوزل التكليف عن الخلق ، وذلك خلاف قوله : **(قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ)** .

وهذا الذي ذكره باطل ، لانه لا يمتنع ان يكون اخر الائمة يعلم انه لا امام بعده وان لم يعلم متى تقوم الساعة ، لانه لا يعلم متى يموت ، فهو يجوز ان يكون موته عند قيام الساعة ، اذا اردنا انه وقت فناء الخلق . وان قلنا : ان الساعة عبارة عن وقت قيام الناس في الحشر فقد زالت الشبهة ، لانه اذا علم انه يفنى الخلق بعده لا يعلم متى يحشر الخلق <sup>٤</sup> .

وعن وجوب اطاعة الائمة قال الشيخ الطوسي عند تفسيره لقوله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ**

١ . البقرة ( ٢ ) الآية ١٢٤ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٤٤٩ .

٣ . الأعراف ( ٧ ) الآية ١٨٧ .

٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٥٧ .

### وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ١ .

روى اصحابنا عن ابي جعفر . يعني محمد الباقر . وابي عبد الله . يعني جعفر الصادق ٨ . انهم الائمة من ال محمد ، فلذلك اوجب الله تعالى طاعتهم بالاطلاق ، كما اوجب طاعة رسوله وطاعة نفسه كذلك ، ولا يجوز ايجاب طاعة احد مطلقا الا من كان معصوما مامونا منه السهو والغلط ٢ .

وبهذا فان الشيخ الطوسي كغيره من علماء الإمامية يرى ان الائمة ليسوا معصومين عن المعاصي والقبائح فحسب ، وانما هم معصومون حتى من السهو أيضاً ، من هنا جاء تاييده على ولايتهم للامر بعد الرسول كما ورد في تفسيره لقوله تعالى : (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) ٣ . قال ابو جعفر ٧ : هم الائمة المعصومون ٤ .

هذا وقد اكد مفسرنا على امامة الائمة وفي اكثر من موضع من تبيانه فهو عندما يفسر قوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) ٥ يقول :

واعلم ان هذه الآية من الدلالة الواضحة على امامة امير المؤمنين ٧ بعد النبي بلا فصل ، ووجه الدلالة فيها انه قد ثبت ان الولي في الآية بمعنى الاولى واللاحق ، وثبت أيضاً المعنى بقوله : (وَالَّذِينَ آمَنُوا) : امير المؤمنين ٧ ، فاذا ثبت هذان الاصلان دل على امامته ٦ .

كما واكد الشيخ الطوسي افضلية الامام على ٧ عند تفسيره للآية الكريمة :

- ١ . النساء ( ٤ ) الآية ٥٩ .
- ٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٦
- ٣ . النساء ( ٤ ) الآية ٨٣ .
- ٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٢٧٣ .
- ٥ . المائدة ( ٥ ) الآية ٥٥ .
- ٦ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٥٤٩ .

(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) <sup>١</sup>

يقول المفسر :

وروت الخاصة والعامة ان المراد بصالح المؤمنين علي بن ابي طالب <sup>٧</sup> ، وذلك يدل على انه افضلهم <sup>٢</sup> .  
وقال عند تفسيره لقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ) <sup>٣</sup> :

قال ابو جعفر وابو عبد الله <sup>٨</sup> : ان الله تعالى لما اوحى إلى النبي <sup>٩</sup> ان يستخلف عليا كان يخاف ان يشق ذلك على جماعة من الصحابة ، فانزل الله تعالى هذه الآية تشجيعا له على القيام بما امره بادائه <sup>٤</sup> .

وهكذا ظل الشيخ الطوسي مدافعا عن راي الإمامية في الامامة والامام وعصمته فيذكرالراي المخالف ويدحضه ، وتبنى الراي المتفق مع رايه فيثبته ، مع تبيان اوجه الخلاف ان وجدت ، ومثل ذلك قد ورد في تفسيره لقوله تعالى ( وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ) <sup>٥</sup> فقال :

وفي ذلك دلالة على ان كل عصر لا يخلو ممن يكون قوله حجة على أهل عصره عدل عند الله ، وهو قول الجبائي واكثر أهل العدل ، وهو قولنا ، وان خالفناهم في من هو ذلك العدل والحجة <sup>٦</sup> .

وفي احيان كثيرة يستشهد الشيخ الطوسي بروايات عن الصحابة ليؤكد ويدعم صحة

- ١ . التحريم ( ٦٦ ) الآية ٤ .
- ٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٤٨ .
- ٣ . المائدة ( ٥ ) الآية ٦٧ .
- ٤ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٥٧٤ .
- ٥ . النحل ( ١٦ ) الآية ٨٩ .
- ٦ . الطوسي ، التبيان ، ج ٦ ، ص ٤١٧ .

مايذهب إليه من عصمة الائمة ، فيقول عند تفسيره لقوله تعالى :

( **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** )<sup>١</sup> :

روى ابو سعيد الخدري وانس بن مالك وعائشة وام سلمة ووائلة بن الاسقع : ان الآية نزلت في النبي<sup>٩</sup> وعلي وفاطمة والحسن والحسين : فروى عن ام سلمة انها قالت : ان النبي<sup>٩</sup> كان في بيتي فاستدعى عليا وفاطمة والحسن والحسين ، وجللهم بعباءة خيرية ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة : قلت يارسول الله هل انا من أهل بيتك؟ فقال : لا ولكنك إلى خير »<sup>٢</sup>.

ثم قال الشيخ الطوسي بهذا الصدد :

واستدل اصحابنا . يعني الإمامية . بهذه الآية على ان في جملة أهل البيت معصوما لا يجوز عليه الغلط ، وان اجماعهم لا يكون الا صوابا بان قالوا ليس يخلو ارادة الله لاذهاب الرجس عن أهل البيت من ان يكون هو ما اراد منهم من فعل الطاعات واجتناب المعاصي ، او يكون عبارة عن انه اذهب عنهم الرجس بان فعل لهم لطفًا ، واختاروا عنده الامتناع من القبائح<sup>٣</sup>.

والشيخ الطوسي حين يمر على قوله تعالى : ( **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا**

**وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** )<sup>٤</sup> يقول :

انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عندما اثروا المسكين واليتيم والاسير ثلاث ليال على افطارهم ، وذلك برواية الخاصة والعامه<sup>٥</sup>.

وهنا يؤكد اجماع المسلمين على ان هذه الآية نزلت في علي وزوجته وولديه (ع) ،

وهكذا يبقى الشيخ الطوسي وفيما لمعتقده ، يدافع عنه بحرارة ، ولن يمر على اية من كتاب الله ،

١ . الاحزاب ( ٣٣ ) الآية ٣٣ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٣٣٩

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٣٤٠ .

٤ . الإنسان ( ٧٦ ) الآيات ٨ . ١٠ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ١٠ ، ص ٢١١ .

يتلمس فيها دليلاً على صحة رايه الا واستشهد بها ، واشبعها بحثاً وتحليلاً واستقصاءاً.

### التقية

وهي سمة عرفت بها الإمامية دون غيرها من الطوائف والامم ، وقد كانت شعاراً لال البيت : دفعاً للضرر عنهم وعن اتباعهم وحقناً لدمائهم واستصلاحاً لحال المسلمين وجمعاً لكلمتهم ولما لشعثهم ،

وهذا امر تقتضيه الفطرة ، ومعلوم ان الإمامية وائمتهم لاقوا من ضروب المحن وصنوف الضيق على حرياتهم في جميع العهود ما لم تلاقه اية طائفة او امة اخرى ، فاضطروا في اكثر عهودهم إلى استعمال التقية بمكائمة المخالفين لهم وترك مظاهرهم وستر اعتقاداتهم واعمالهم المختصة بهم عنهم لما كان يتعقب ذلك من الضرر في الدين والدنيا ، ولهذا السبب امتازوا بالتقية ، وعرفوا بها دون سواهم<sup>١</sup>.

والشيخ الطوسي يرى ان التقية واجبة عند الخوف على النفس ، ولذلك نجده في تفسيره

لقوله تعالى :

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ )<sup>٢</sup>

يقول :

والتقية عندنا واجبة عند الخوف على النفس وقد روي رخصة في جواز الافصاح بالحق عندها. روي الحسن ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين من اصحاب الرسول الله ٩ فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله؟ قال : نعم ، فقال له : اتشهد اني رسول الله؟ قال : نعم ، ثم دعا بالآخر ففقال ، اتشهد ان محمدا رسول الله؟ قال : نعم ، فقال له : اتشهد اني رسول الله؟ قال : اني اصم . قالها ثلاثا كل ذلك تقية . فتقول ذلك ، فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول الله ٩ . فقال :

١ . المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

٢ . آل عمران ( ٣ ) الآية ٢٨ .

اما هذا المقتول فمضى على صدقه وتقيته واخذ بفضلته فهنيئا له ، واما الاخر فقبل رخصة الله فلا تبتعة عليه ، فعلى هذا التقية رخصة والافصاح بالحق فضيلة ، وظاهراخبارنا يدل على انها واجبة وخلافها خطأ .<sup>١</sup>

وهذا ما استند عليه الشيخ الطوسي في الحديث المروي عن الامام جعفر الصادق **٧** حيث يقول :

« التقية ديني ودين ابائي ومن لاتقية له لادين له »<sup>٢</sup> .

وهو ما اجمعت عليه الإمامية ، حيث يقول الشيخ المفيد :

التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس ، وقد تجوز في حال دون حال للخوف على المال ولضروب من الاستصلاح ، واقول : انها قد تجب احيانا وتكون فرضا<sup>٣</sup> .

وقال أيضاً :

التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرهم بما يعقب ضررا في الدين او الدنيا ، وفرض ذلك اذا علم بالضرورة ، او قوي في الظن ، فمتى لم يعلم ضررا باظهار الحق ، ولاقوي في الظن ذلك لم يجب فرض التقية<sup>٤</sup> .

وقد ناقش الشيخ الطوسي رأي الجبائي المعتزلي القائل بمنع التقية على النبي والامام فقال عندما فسر قوله ( تعالى ) :

**(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) °**

فقال :

واستدل الجبائي بهذه الآية على انه لايجوز على الائمة المعصومين على مذهبنا التقية

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ .

٢ . المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٨٤ .

٣ . المفيد ، اوائل المقالات ، ص ٩٦ .

٤ . المفيد ، تصحيح الاعتقاد ، ص ٦٦ .

٥ . الأنعام ( ٦ ) الآية ٦٨ .

قال : لانهم اذا كانوا الحجة كانوا مثل النبي وكما لا يجوز عليه التقية فكذا الامام . على مذهبكم . وهذا ليس بصحيح لانا لانحوز على الامام التقية فيما لا يعرف الا من جهته كالنبي وانما نحوز التقية عليه فيما يكون عليه دلالة قاطعة موصلة إلى العلم لان المكلف علمته مزاحة في تكليفه ، وكذلك يجوز في النبي ٩ ان لا يبين في الحال لامته ما يقوم منه ببيان منه او من الله او عليه دلالة عقلية ، ولذلك قال النبي ٩ لعمر حين ساله عن الكلاله ، فقال : يكفيك اية السيف واحال اخر في تعرف الوضوء على الاية . فاما ما لا يعرف الا من جهته والامام فيه سواء لا يجوز فيهما التقية في شيء من الأحكام<sup>١</sup> .

وبهذا يكون الشيخ الطوسي قد اتفق مع اجماع الإمامية في مسألة التقية ، ودافع عنها باصرار وحماس بعد ان رد كل اشكال حولها ، ودعم رايه بالدليل والحجة .

### المتعة

دافع الشيخ الطوسي عن الزواج الموقت والمعروف بالمتعة دفاعاً رائعاً ، وأكد شرعيتها وحليتها مستنداً في دفاعه على النصوص القرآنية التي لم يثبت نسخها معتمداً في اثباتها على السنة الصحيحة وتواتر الاخبار التي تؤكد استمرار العمل بها إلى ما بعد وفاة رسول الله ٩ . كما انه استطاع ان يرد على كل الاشكالات التي توسل بها المانعون ، واعتمد شهادة العديد من القراء والمفسرين الذين اجمعوا على جواز العمل بها انسجاماً مع كتاب الله تعالى وسنة رسوله ٩ واخبار الائمة : والصحابة رضي الله عنهم وقد كرس الشيخ الطوسي بعضاً من صفحات تفسيره . التبيان . للحدِيث حول المتعة والدفاع عنها .

فقال :

وقوله : (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ) قال الحسن ، ومجاهد ، وابن زيد : هو النكاح ، وقال ابن عباس والسدي : هو المتعة إلى اجل مسمى ، وهو مذهبنا ، لان لفظ الاستمتاع اذا اطلق

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٤ ، ص ١٦٥ .

لايستفاد به في الشرع الا العقد المؤجل الاترى انهم يقولون : فلان يقول بالمتعة ، وفلان لايقول بها ، ولايريدون الا العقد المخصوص ولايناقى ذلك قوله : **(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ اِلَّا عَلَىٰ**

**اَزْوَاجِهِمْ اَوْ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ )** <sup>١</sup> .

لانا نقول : ان هذه زوجه ، ولايلزم ان يلحقها جميع احكام الزوجات من الميراث والطلاق ، والايلاء ، والاطهار ، واللعان ، لان احكام الزوجات تختلف ، الاترى ان المرتدة تبين بغير طلاق ، وكذلك المرتد عندنا ، والكتابية لاترث ، واما العدة فتلحقها عندنا ، ويلحق بها أيضاً الولد فلاشناعة في ذلك ، ولو لم تكن زوجه لجاز ان يضم ماذكر في هذه السورة إلى ما في تلك الآية ، لانه لاتناقى بينهما ، ويكون التقدير :

الا على ازواجهم ، او ماملكت ايمانهم ، او ما استمتعتم به منهن ، وقداستقام الكلام. وروي عن ابن مسعود وابن عباس وابي بن كعب وسعيد بن جبير : انهم قرأوا **(فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ اِلَىٰ اَجَلٍ مُّسَمًّى)** وذلك صريح بما قلناه ، على انه لوكان المراد به عقد النكاح الدائم لوجب لها جميع المهر بنفس العقد ، لانه قال **(فَأَتَوْهُنَّ اُجُورَهُنَّ)** يعني مهورهن ، عند أكثر المفسرين ، ذلك غير واجب بلاخلاف ، وانما يجب الاجر بكماله في عقد المتعة. وفي اصحابنا من قال : قوله : **(اُجُورَهُنَّ)** يدل على انه اراد المتعة ، لان المهر لايسمى اجرا ، بل سماه الله صدقة ونحلة ، وهذا ضعيف ، بان الله سمى المهر اجرا في قوله **(فَأَنْكَحُوهُنَّ بِاِذْنِ اٰهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ)** <sup>٢</sup> .

وقال : **(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ اِذَا اتَّيْتُمُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ)** <sup>٣</sup> ومن حمل ذلك كله على المتعة كان مرتكبا لما يعلم خلافه ، ومن حمل لفظ الاستمتاع على الانتفاع فقد ابعد ، لانه لوكان كذلك لوجب ان لايلزم من ينتفع بها شيء من المهر ، وقدعلمنا انه لوطلقها قبل الدخول لزمه نصف المهر ، وان خلا بها خلوة تامة لزمه جميع المهر عند كثير من الفقهاء ، وان لم يلتد ولم ينتفع ، واما الخبر الذي يروونه ان النبي <sup>٩</sup> نهي عن المتعة ، فهو خبر واحد لايترك له ظاهر القرآن ، ومع ذلك يختلف لفظه وروايته فتارة

١. المؤمنون ( ٢٣ ) الآيات ٥ و ٦ ، المعارج ( ٧٠ ) الآيات ٢٩ و ٣٠ .

٢. المؤمنون ( ٢٣ ) الآيات ٥ و ٦ ، الآيات ٢٩ و ٣٠ .

٣. سورة المائدة ( ٥ ) الآية ٦ .

يروونه انه نهي في عام الفتح ، وقد طعن أيضاً في طريقه بما هو معروف ، وادل دليل على ضعفه قول عمر : متعتان كانتا على عهد رسول الله ٩ وانا نهى عنهما واعاقب عليهما ، فاخبر ان هذه المتعة كانت على عهد رسول الله ٧ وانه الذي نهى عنهما لضرب من الراي ، فان قالوا انما نهى ، لان النبي ٩ كان نهى عنهما ، قلنا : لو كان كذلك لكان يقول : متعتان كانتا على عهد رسول الله ٩ فنهى عنهما ، وانا نهى عنهما أيضاً ، فكان يكون اكد في باب المنع ، فلما لم يقل ذلك دل على ان التحريم لم يكن صدر عن النبي ٩ ، وصح ماقلناه ، وقال الحكم بن عتيبة ، قال علي ٩ : « لولا ان عمر نهى عن المتعة مازى الا شقي » وذكر البلخي عن وكيع عن اسماعيل بن ابي خالد ، عن قيس بن ابي حازم عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنا مع النبي ٩ ، ونحن شباب ، فقلنا يارسول الله الانستخصي ، قال : لا ، ثم رخص لنا ان نكح المرأة بالثوب ، إلى اجل<sup>١</sup> .

### المعاد

وهو الاصل الخامس من اصول الدين عند الشيعة الإمامية ، والذين يعتقدون بان الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عباده ، فيثيب المطيعين ، ويعذب العاصين ، كما وان من يعتقد بالله اعتقادا قاطعا ويعتقد كذلك بمحمد رسولا منه ارسله بالهدى ودين الحق لا بد ان يؤمن بما اخبر به القرآن الكريم من البعث والثواب والعقاب والجنة والنعيم والنار والجحيم ، كما ويعتقد الإمامية بان المعاد الجسماني ضرورة من ضروريات الدين الإسلامي ، وان هذا المعاد هو اعادة الإنسان في يوم البعث والنشور ببدنه بعد الخراب وارجاعه إلى هيئته الاولى بعد ان اصبح رميما<sup>٢</sup> .

وقد تعرض الشيخ الطوسي إلى هذا المعنى في أكثر من موضع وحسبما تقتضيه الآيات

القرآنية الكريمة ففي تفسيره لقوله تعالى :

(أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ

١. الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ١٦٥ . ١٦٧ .

٢. المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

## الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) ١

قال الطوسي :

ثم قال منيها لخلقها على الاستدلال على صحة الاعادة والنشأة الثانية فقال : (أَوْلَمَ بَرَ الْإِنْسَانُ) ، ومعناه او لم يعلم (أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) ، ومعناه انا خلقناه من النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة ومن المضغة إلى العظم ومن العظم إلى ان جعلناه سويا ، وجعلنا فيه الروح ، واخرجناه من بطن امه ، وربناه ، ونقلناه من حال إلى حال إلى ان كمل عقله ، وصار متكلمًا خصيما عليما ، فمن قدر على جميع ذلك كيف لا يقدر على الاعادة ، وهي اسهل من جميع ذلك؟

ثم قال :

وفي الآية دلالة على صحة استعمال النظر ، لان الله تعالى اقام الحجة على المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الاولى ، وانه يلزم من اقر بالاولى ان يقر بالثانية ٢ .

ثم حكى تعالى عن بعض الكفار انه (ضَرَبَ لَنَا) اي ضرب لله (مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ) كيف يكون في الابتداء فقال : (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ).

قال الحسن : جاء امية إلى النبي ٩ بعظم بال قد بلي ، فقال : يا محمد اتزعم ان الله يبعث هذا بعد ما بلي : فقال : نعم ، فنزلت الآية.

ثم اردف الشيخ الطوسي قائلا :

فقال الله تعالى في الرد عليه قل يا محمد لهذا المتعجب من الاعادة (يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ

) ، لان من قدر على الاختراع لما يبقى من غير تغيير عن صفة القادر ، فهو على اعادته قادر لا محالة. ٣

وقال عند تفسيره لقوله تعالى :

(أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) ٤ .

١ . يس ( ٣٦ ) الآيات ٧٧ . ٨٠ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٤٣٨ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٨ ، ص ٤٣٨ .

٤ . ق ( ٥٠ ) الآية ١٥ .

« والمعنى : انا كما لانعبي بالخلق الاول لانعيا بخلقهم على وجه الاعادة »<sup>١</sup>.

ومثل هذا قاله عند تفسيره لقوله تعالى :

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ )<sup>٢</sup>.

خاطب الله تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من البشر ، فقال لهم : ان كنتم في ريب من البعث والنشور .

والريب ايقح الشك . فانا خلقناكم من تراب<sup>٣</sup>.

وقد اكد الشيخ الطوسي في تبيانه ان الشك في البعث والنشور كفر ، وذلك عند تفسيره

لقوله تعالى :

( قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّأَكَ

رَجُلًا )<sup>٤</sup>

فقال المفسر :

وفي الآية دلالة على ان الشك في البعث والنشور كفر ، والوجه في خلق البشر وغيره من الحيوان ، وتنقله

من تراب إلى نطفة ثم إلى علقة ثم إلى صورة ثم إلى طفولية ثم إلى حال الرجولية ما في ذلك الاعتبار الذي

هو دال على تدبير مدبر مختار يصرف الاشياء من حال إلى حال<sup>٥</sup>.

وقد حاول الشيخ الطوسي ان يعرض لمسألة البعث والنشور بايجاز واقتضاب بعيدا عن

التفاصيل والشروح ، ولعل ذلك راجع إلى ايمانه بعدم وجوب الاعتقاد في تفصيلات المعاد

الجسماني اكثر مما نادى بها القرآن الكريم<sup>٦</sup> وهذا ما عليه اكثر علماء الإمامية حيث يؤكدون

بانه :

لا تجب المعرفة على التحقيق التي لا يصلها الا صاحب النظر الدقيق كالعلم بان الابدان هل تعود بذواتها ،

او انما يعود ما يماثلها بحيات؟ وان الارواح هل تعدم كالجساد ، او

١ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٣٦ .

٢ . الحج ( ٢٢ ) الآية ٥ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ٢٥٨ .

٤ . الكهف ( ١٨ ) الآية ٣٧ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٧ ، ص ٣٩ .

٦ . المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ١٢٧ .

تبقى مستمرة حتى تتصل بالابدان عند المعاد؟ وان المعاد هل يختص بالانسان ، او يجري على كافة ضروب الحيوان؟ وان عودها بحكم الله دفعي او تدريجي؟<sup>١</sup>

### الشفاعة

مما اجمع الإمامية عليه هو الشفاعة وتحدث الشيخ الطوسي في مسألة الشفاعة ، وأكد عليها في تفسيره وقد عرفها بأنها « المسألة في اسقاط الضرر »<sup>٢</sup> .  
وقد رفض ماذهب إليه المفسرون من انها تكون في زيادة المنافع . وهو ماقال به الحسن ومجاهد . وردهم بقوله :

انها لو استعملت في ذلك لكان احدنا شافعا للنبي<sup>٩</sup> اذا سال الله ان يزيد في كراماته وذلك خلاف الاجماع<sup>٣</sup> .

ويرى الشيخ الطوسي ثبوت الشفاعة للنبي<sup>٩</sup> وكثير من اصحابه وجميع الائمة المعصومين وكثير من المؤمنين الصالحين<sup>٤</sup> .

وهو عندما يفسر قوله تعالى : **( يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ )** ° يقول :

الشفيع هو السائل غيره لاسقاط الضرر عنه ... والمعنى ان تدبيره للاشياء وصنعتة لها ليس يكون منه بشفاعة شفيع ولا بتدبير مدير لها سواه ، وانه لا يجسر احد ان يشفع إليه الا بعد ان ياذن له فيه ، من حيث كان تعالى اعلم بموضع الحكمة والصواب من خلقه بمصالحهم<sup>٦</sup> .

وقال في تفسيره لقوله تعالى :

- 
- ١ . كاشف الغطاء ، كشف الغطاء ، ص ٥ .
  - ٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ .
  - ٣ . نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢١٤ .
  - ٤ . نفس المصدر .
  - ٥ . يونس ( ١٠ ) الآية ٣ .
  - ٦ . الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٣٣٥ .

(وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) <sup>١</sup>

قال :

وقوله : (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) مخصوص عندنا بالكفار.

والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبي <sup>٩</sup> فيشفعه الله تعالى ويسقط بها العقاب عن المستحقين من أهل الصلاة لما روي من قوله <sup>٩</sup> :

ادخرت شفاعةي لاهل الكبائر من امتي <sup>٢</sup>.

ثم ذكر الشيخ الطوسي :

ان نفي الشفاعة من هذه الآية يختص باليهود من بني اسرائيل ، لانهم ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه واولاد ابناؤه ، وان اباءهم يشفعون إليه فإيسهم الله من ذلك <sup>٣</sup>.

وقال عند تفسيره لقوله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) <sup>٤</sup>

وفي ذلك دلالة واضحة على انه يجوز ان يغفر الله بالاتوبة تفضلاً منه وشفاعة النبي <sup>٩</sup> ، لانه لم يشترط التوبة ، بل اطلقها <sup>٥</sup>.

ونحن هنا نجد الشيخ الطوسي يتفق مع رأي استاذه الشيخ المفيد حينما يقول بشفاعة

النبي <sup>٧</sup> لامته :

ان رسول الله <sup>٩</sup> يشفع يوم القيامة في مذنب امته من الشيعة خاصة ، فيشفعه الله عزوجل ، ويشفع امير المؤمنين <sup>٧</sup> في عصاة شيعته ، فيشفعه الله عز وجل ، وتشفع الائمة : في مثل ما ذكره من شيعتهم ، فيشفعهم الله ، ويشفع المؤمن البر لصديقه المؤمن المذنب ، فتشفعه شفاعته ، ويشفعه الله . وعلى هذا القول اجماع الإمامية الا من شذمهم <sup>٦</sup>.

١ . البقرة ( ٢ ) الآية ٤٨ .

٢ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

٣ . الطوسي ، التبيان ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

٤ . الزمر ( ٣٩ ) الآية ٥٣ .

٥ . الطوسي ، التبيان ، ج ٩ . ص ٣٧ .

٦ . المفيد ، اوائل المقالات ، ص ٥٢ . ٥٣ .

## الخاتمة



### الخاتمة

بعد هذه الدراسة التي عشنا فيها مع الشيخ الطوسي ، وهو يفسر كتاب الله العزيز نستطيع ان نجمل ماتوصلنا إليه خلال البحث في النقاط التالية :

١ . مفسرنا هو الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي المتولد في مدينة طوس بايران ، سنة ٣٨٥ هـ والمتوفى سنة ٤٦٠ هـ في مدينة النجف الأشرف بالعراق ، حيث اصبح مرقدته هناك مزارا ومسجدا .

٢ . عرف الطوسي بشيخ الطائفة ومتكلم الشيعة وفقه الإمامية ، وهو احد علماء الامامية في القرن الخامس الهجري ، حيث يمتلك القابلية على استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الاصلية لبلوغه مرتبة الاجتهاد .

٣ . تميز الشيخ الطوسي بثقافة موسوعية ذات طابع شمولي باتجاهيها الافقي والعمودي حيث السعة والاحاطة والعمق والاصالة ، الامر الذي جعل منه مفسرا ذا ذهنية اسلامية استطاع من خلالها ان يصل بالتفسير القرآني إلى مرحلة متطورة انذاك بما لديه من سعة افق وقوة ملاحظة وعمق تفكير .

٤ . تميز عصر الشيخ الطوسي بكثرة الفتن وضخامة الاحداث السياسية وتعاقبها بين الشدة واللين ، حيث عاصر مفسرنا عددا من الحكام والولاة الذين تفاوتوا في طريقة تعاملهم مع الناس ، فمنهم من ازدهرت ابا ن حكمه الحياة الثقافية والفكرية لتوفر المناخ الملائم لها ، كما هو الحال في العهد البويهى ، وبين من تشدد في سلطانه ، ومال إلى فئة من

الناس ، ليضطهد غيرهم ، كما هو الحال في العهد السلجوقي ، وتأثر الشيخ الطوسي بهذه الاجواء المتفاوتة ، فنراه تارة يحظى باحترام السلطة ، ويعطى له كرسي الكلام ، كما حدث في عهد الخليفة العباسي القائم بامر الله ، بينما تضيق تارة اخرى في ايام الحكم السلجوقي ، ليهرب من بغداد إلى مدينة النجف الأشرف بعيدا عن مسرح السياسة والفتن ، بعد ان احترقت داره وكتبه والكرسي الذي كان يجلس عليه.

٥. شهد عصر الشيخ الطوسي حركة علمية نشيطة ساهمت فيها المدارس الإسلامية المختلفة المذاهب والاتجاهات ، مما افرز ظاهرة الحوار والجدل والمناظرة التي كثيرا ما كان الشيخ الطوسي يدلي بدلوه فيها ، فيناقش اصحاب المذاهب الاخرى فيما يقولون من اراء ، كما ويتصدى للدفاع عن عقيدته الشيعية بكل ما يملك من ادلة وحجج وبراهين ، الامر الذي صار معه الشيخ الطوسي علما من اعلام التشيع ، حيث يشار إليه بالبنان ، اذ ليس في علماء عصره الا من يرى له حق التقدم ، وقد يجد الباحث اثار النزعة الجدلية واضحة في التبيان ، حيث يتلمس القدرة الفائقة التي يتحلى بها الطوسي في محاجة الخصم واسقاط ما في يده ، فلا يملك بعدها غير الازعان والاقرار بما عند مفسرنا من رأي مدعوم ، بالدليل والبرهان.

٦. امتاز الشيخ الطوسي بروح علمية نزيهة وموضوعية عالية ، حيث يشهد له بذلك تفسيره التبيان والذي كان لا يضيق ذرعا براء غيره من المفسرين ، وكم شهدناه يتفق مع صاحب الراي السليم بغض النظر عن انتمائه المذهبي واتجاهه العقيدي ، كما وجدناه يعتمد في نقله الرواية والاثر على من سبقه من العلماء والمفسرين والرواة الذين تيقن بصحة ما يروونه ، وان لم يكونوا من الشيعة الإمامية ، كذلك لم يقتصر في اخذه الرواية على النبي ٩ والائمة من أهل البيت : ، بل كثيرا ما كان يستشهد براء الصحابة والتابعين الذين يطمئن لمنقولاتهم.

٧. سلك المفسر في تفسيره منهجا مزدوجا بين التفسير بالاثر والتفسير بالراي وفق اسس علمية رصينة ، اذ لا يأخذ من المنقولات الا ما يطمئن لصحتها مما تعضده الادلة كالاتي او التواتر رافضا لروايات الاحاد واحبارهم اذا لم تسعفهم القرائن فيما يروون.

ولم يكتف بالنقل في تفسيره وإنما عمل عقله في استنباط الرأي السديد وفن الذهنية الإسلامية ، ذات الطابع الشمولي التي تميز بها الطوسي باعتباره فقيها مجتهدا وعالما متكلمًا .  
 ٨ . اعتمد الآيات القرآنية الكريمة ، لكي يفسر بها آيات آخر ، وفن منهج التفسير القائل بان القرآن يفسر بعضه بعضا ، ويشهد بعضه على بعض ، كما واعتمد السياق القرآني ، ونظم الآيات في احيان كثيرة ، ليستنبط منها رايًا او يستخرج منها معنى .

٩ . استعان المفسر باسباب النزول باعتبارها قرائن حالية ، يمكن ان توضح معنى النص القرآني ، وتسهم في توجيهه وجهة أكثر دقة ، وضمن هذا المنهج لم يكن المفسر ليقبل كل ما روي في اسباب النزول ، وإنما كان يقف موقف الفاحص الحبير ليرفض ما يرى ضرورة رفضه ويقبل ما تظمن إليه نفسه ، ويرجح ما يراه مناسبًا بعد تدقيق وتمحيص ، وبحث واستقصاء يتم عن روح علمية عالية وموضوعية جديدة بالثناء .

١٠ . اما بالنسبة للجانب اللغوي ، فقد رايها الشيخ الطوسي لغويا ونحويًا بكل ما في الكلمة من معنى ، حيث كان يسرد اراء اللغويين والنحاة ، ثم يأتي عليها لينسف ما ينسف منها بدليل ، ويثبت ما يثبت منها بحجة وبرهان ، وكان يطرح رايه الواضح المتميز والمغاير لاراء غيره من أهل اللغة والنحو بجرأة عظيمة تنبئ عن وجود ثقافة لغوية ونحوية ضخمة تؤهله ان يكون في مصاف علماء النحو واللغة ، اما بالنسبة للقراءات فلم يستنكر على احد من القراء قراءته ، وإنما كان يقول : بجواز القراءة بما يتداوله القراء ، ولذلك يطرح اراءهم جميعًا في تبيانها ، وان كان يرجح بعض القراءات على البعض الآخر .

١١ . اما موقفه من الشعر والشعراء ، فكان سلبيًا حيث يقول :

ولولا عناد الملحدين وتعجرفهم لما احتيج إلى الاحتجاج بالشعر وغيره ، للشيء المشتبه في القرآن ، لان غاية ذلك ان يستشهد عليه ببيت شعر جاهلي ، او لفظ منقول عن بعض الاعراب ، او مثل سائر عن بعض أهل البادية ، ولاتكـون منزلة النبي ٩ .  
 . وحاشاه من ذلك . اقل من منزلة واحد من هؤلاء .

ورغم قناعة المفسر بعدم جواز الاحتجاج بشعر الشعراء على القرآن ، الا انه استشهد

بالشعر مبرراً ذلك بقوله : انما يحتج علماء الموحدين بشعر الشعراء وكلام البلغاء اتساعاً في العلم وقطعا للشغب.

١٢. ناقش الطوسي اراء المفسرين ، ورجح اراء بعضهم على البعض الاخر ، كما رفض اقوالهم احيانا ، وطرح رايا يخالف مآقالوه مستندا في كل ذلك إلى حجة او دليل.

١٣. رغم ان الطوسي لم يفرد ابوابا للموضوعات الفلسفية الا انه ضمن تبيانه الكثير من الراء الفلسفية في معرض مناقشته لاصحاب المذاهب المختلفة والمدارس الكلامية كما هو الحال في ردوده على اشكالات واء المعتزلة والخوارج والمجسمة والمشبهة والمجبرة والمفوضة وغيرهم.

١٤. دافع الشيخ الطوسي عن اراء الإمامية ومعتقداتهم ، وكان يقيم الادلة القاطعة على كل متبنياتهم الفكرية والعقائدية كما هو وارد في موضوع العدل والعصمة والمتعة ، وخلق القرآن وماشابه ذلك.

١٥. تخفف الشيخ الطوسي في حديثه عن المبهمات في القرآن الكريم ، وسكت عما سكت عنه القرآن الكريم ، ولم يتكلف في التاويل باكثر مما يجب ، وربما كان يعتبر الخوض في مثل تلك المسائل والعمق فيها من صوارف التفسير التي لا يرى الطوسي ضرورة في سبرغورها والغوص في تفاصيلها.

١٦. لم نجد الشيخ الطوسي يميز بين التاويل والتفسير ، كما هو الحال عند المتأخرين من المفسرين ، وانما كان يورده باعتباره مرادفا للتفسير ولا يفرق بينهما ، وكان عندما يريد طرح اراء المفسرين يقول :

« وقال أهل التاويل » ويعني بهم أهل التفسير .

١٧. اشبع المفسر آيات الأحكام شرحا وبحثا وتفصيلا ، وقد طرح اراء بعض المجتهدين والمفسرين ، وناقش أكثرهم رادا على قسم منهم ومبينا رايه الفقهي بوضوح وجلاء باعتباره مجتهدا.

١٨. ذكر في تفسيره الآيات الناسخة والمنسوخة ، مع رده على بعض المفسرين الذين خالفوه في الراي ، كما ورفض الراي القائل بان السنة ناسخة للقرآن الكريم مؤكدا ان الآية

القرآنية لاتنسخ الا باية قرآنية اخرى ، وفق ماتقتضيه المصلحة ومشیئة الله تعالى.

١٩ . ساهم الشيخ الطوسي مساهمة جادة في عملية تطوير المنهج التفسيري واستطاع ان ينقل التفسير نقلة كبيرة بعد تالیفه التبيان ، حيث يقول في معرض حديثه عن الدوافع التي حملته على المشروع في كتابة تفسيره :

اني لم اجد احدا من اصحابنا من عمل كتابا يحتوي على تفسير جميع القرآن ، ويشتمل على فنون معانيه وبذلك يعتبر التبيان اول محاولة تفسيرية وافیه في تاريخ الامامية.

٢٠ . مال الشيخ الطوسي إلى الايجاز غير المخل في تفسيره ، لذلك نجده يتخفف كثيرا عما لاطائل تحته ، بينما يشیع الآيات الكريمة شرحا ليوفیها حقها من البحث والتفسير متحاشيا الخوض في شروح هامشية وتفصيلات جانبية لاعلاقة لها بالتفسير ، ولاتخدم في استيضاح المعنى المراد من النص القرآني.

٢١ . احتوى التبيان على بعض الاشارات العلمية التي تنم عن سعة افق لتفكير الطوسي وانفتاحه على الآيات الكونية بروح علمية ورؤية ناضجة ، حيث كان لايستبعد ان تكون الارض كروية الشكل ، مخالفا بذلك جمعا من المفسرين واصحاب الراي ، كما كان يؤكد حركة الافلاك ونشوء السحاب من بخار الارض ، ومثل هذه التطورات السليمة تعني سبقا علميا رائدا ، اذا ما علمنا ان الف عام تفصل بيننا وبين عصر الطوسي حيث القرن الخامس الهجري.

٢٢ . وختاما يبقى اسم الشيخ الطوسي مقتزنا باسم الحوزة العلمية التي ارسى قواعدها في النجف الأشرف ، يوم هاجر اليها ، ليفتتح اول مدرسة من نوعها هناك ، صارت فيما بعد من اكبر الجامعات الإسلامية والمعاهد العلمية التي تخرج منها مايعد بالالاف من اساطين واعاظم الفقهاء وكبار الفلاسفة ونوابغ المتكلمين وافاضل المفسرين واجلاء اللغويين والادباء وغيرهم ممن خبر العلوم الإسلامية بانواعها ، وبرع فيها ايما براعة.



## فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الاتجاهات الفكرية في التفسير ، الشحات السيد زغلول ، الاسكندرية ، ٣٩٧ ، ط ٢ .
٣. اتعاظ الحنفاء باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، تقي الدين احمد بن علي المقرئزي ، تقدم الدكتور جمال الدين الشبال ، مطبعة لجنة التاليف والنشر والترجمة ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ .
٤. الإتقان في علوم القرآن ، عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تحقيق محمد ابوالفضل إبراهيم ، طبع الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
٥. اثار البلاد واخبار العباد ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، بيروت ١٩٦٠ م .
٦. احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، المقدسي المعروف بالبشاري ( ت ٣٨٠ هـ ) طبع بريل ليدن ، ١٩٠٦ ، ط ٢ .
٧. الاختصاص ، المفيد ابو محمد بن محمد بن عثمان العكبري ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٠ هـ .
٨. اسباب النزول ، ابو الحسن علي بن احمد الواحدي ، مطبعة العلوم ، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ ، ط ١ .
٩. اصل الشيعة وأصولها ، محمد حسين كاشف الغطاء ، مطبعة العباد ، بيروت ، ط ٩ .
١٠. أصول التشريع الإسلامي ، علي حسب الله ، مصر ، ١٣٧١ هـ ، ط ١ .
١١. اصول التفسير ، خالد عبدالرحمن العك ، دمشق ، ١٣٨٨ هـ .
١٢. الاصول العامة للفقهاء المقارن ، محمد تقي الحكيم ، بيروت ، ١٩٦٣ م ، ط ١ .
١٣. اصول الفقه ، بدران ابو العينين بدران ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥ م ، ط ٢ .
١٤. أصول الفقه ، زكي شعبان ، مطبعة دار التأليف ، مصر ، ١٩٦٥ م ، ط ٣ .
١٥. أصول الفقه ، محمد أبو زهرة ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ .
١٦. أصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، مطبعة حيدري ، طهران ، ١٣٨١ هـ .
١٧. الاعلام ، خير الدين الزركلي ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ .
١٨. اعيان الشيعة ، محسن الامين العاملي ، بيروت ، ١٣٧٠ هـ .
١٩. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، ادوارد فنديك ، القاهرة ، ١٨٩٧ هـ .

٢٠. **الأمالي** ، الشيخ الطوسي ، تقدم محمد صادق بحر العلوم ، مطبعة النعمان ، النجف ١٣٨٤ هـ.
٢١. **الامام الصادق والمذاهب الاربعة** ، اسد حيدر ، مطبعة النجف ، ط ٢ ، ١٩٦٣ م.
٢٢. **الامتاع والمؤانسة** ، علي بن محمد الواسطي التوحيدي ، ابوحيان ، شرح احمد امين واحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، النجف ، القاهرة ، ط ٢ ، ص ١٩٥٣ م.
٢٣. **امل الامل** ، محمد بن الحسن الحرالعالمي ، مطبعة الاداب ، النجف ، ط ١ ، ١٣٨٥ هـ.
٢٤. **اوائل المقالات** ، الشيخ المفيد ، شرح فضل الله الزنجاني ، النجف ، ١٣٨١ هـ ، ط ٣.
٢٥. **البداية والنهاية في التاريخ** ، ابن كثير عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٣٥١ هـ.
٢٦. **البرهان في علوم القرآن** ، بدرالدين الزركشى ، تحقيق محمد ابوالفضل إبراهيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ م.
٢٧. **بشارة المصطفى** ، العماد الطبري.
٢٨. **البلدان** ، احمد بن واضح اليعقوبي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ط ٣ ، ١٣٧٧ هـ.
٢٩. **البيان في تفسير القرآن** ، السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ ، ط ٣.
٣٠. **التاريخ** ، زين الدين عمر بن المظفر بن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ط ٢ ، ١٣٨٩ هـ.
٣١. **تاريخ اداب اللغة العربية** ، جرجي زيدان ، دار الهلال ، القاهرة.
٣٢. **تاريخ الادب العربي** ، كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢ م.
٣٣. **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية** ، الدكتور احمد شلي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط ١٩٦٣ م.
٣٤. **تاريخ بغداد** ، ابوبكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، مطبعة السعادة ، مصر.
٣٥. **تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي** ، الدكتور عبد الله الفياض ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٣٩٢ هـ.
٣٦. **تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى** ، محمد عبدالرحيم غنيمة ، دارالطبعة المغربية ، تطوان ، ١٩٥٣ م.
٣٧. **تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر ، وسوريا ، وبلاد العرب** ، الدكتور حسن إبراهيم حسن ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٤ م.
٣٨. **تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه** ، الدكتور عبدالحليم منتصر ، شركة مطابع محرم ، الاسكندرية ، ط ٣ ، ١٩٦٩ م.
٣٩. **تاريخ المذاهب الإسلامية** ، محمد ابوزهرة ، دار الفكر العربي.
٤٠. **التبيان في تفسير القرآن** ، الشيخ ابوجعفر الطوسي ، تحقيق احمد حبيب العاملي ، النجف ، ١٣٦٤ هـ.

٤١. تجارب الامم ، ابو علي احمد بن محمد مسكويه ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، مصر ، ١٣٣٢ هـ.
٤٢. تحفة العالم في شرح خطبة المعالم ، جعفر بن محمد باقر الطباطبائي بحر العلوم ، مطبعة الغري ، النجف ، ١٣٥٤ هـ.
٤٣. تفسير العياشي ، محمد بن مسعود العياشي ، المطبعة العلمية ، قم ، ١٣٨٠ هـ.
٤٤. تفسير القرآن العظيم ، الحافظ بن كثير ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ ، ط ٣.
٤٥. تفسير الميزان ، محمد حسين الطباطبائي.
٤٦. التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ ، ط ٢.
٤٧. التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية ، محمد بسيوني فوده ، مطبعة الامانة ، مصر ، ١٣٩٧ هـ.
٤٨. تنزيه الانبياء ، ابوالقاسم علي بن الحسين الموسوي المرتضى ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ط ٢ ، ١٣٨٠ هـ.
٤٩. تنقيح المقال في احوال الرجال ، عبد الله بن محمد حسن المامقاني ، المطبعة المرتضوية ، النجف ، ١٣٥٠ هـ.
٥٠. التوحيد ، الصدوق ، ابوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، تقلسم السيد محمد مهدي الخراسان ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٦ هـ.
٥١. جامع البيان عن تاويل اي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة دارالنشر للجامعات المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ م.
٥٢. الجامع الصحيح ، البخاري.
٥٣. جامع الرواة وازاحة الاشتباهات عن الطرق والاسناد ، الاردبيلي محمد بن علي الغروي الحائري ، مطبعة ننگين ، ايران ، ١٣٣٤ هـ.
٥٤. حديقة الرضوية ، هروي.
٥٥. الحصون المنيعه في طبقات الشيعة ، كاشف الغطاء علي ابن الشيخ محمد رضا ، مخطوطة مكتبة كاشف الغطاء في النجف ، رقم ٧٤٩.
٥٦. الحضارة الإسلامية ، خدا بخش ، ترجمة الدكتور علي الخربوطي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ م.
٥٧. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، او عصر النهضة في الإسلام ، ادم متز ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط ٣ ، ص ١٣٥٧ هـ.
٥٨. خزائن الكتب القديمة في العراق ، گورگيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٨ م.
٥٩. خطط الشام ، محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي ، مطابع الترقى ، دمشق ، ١٣٤٣ هـ.
٦٠. الخلاصة في اصول الحديث ، الحسين بن عبد الله الطيبي ، تحقيق صبحي السامرائي ، بغداد ، ١٣٩١ هـ.

٦١. **الخلاف** ، الشيخ ابو جعفر الطوسي ، المطبعة الإسلامية ، طهران ، ١٣٧٠ هـ.
٦٢. **دائرة المعارف الإسلامية** ، تعليق امين الخولي ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧١ م.
٦٣. **دائرة المعارف الشيعية** ، حسن الامين ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ.
٦٤. **الدر المنثور في التفسير الماثور** ، جلال الدين السيوطي ، طنجة ، ١٨٦٩ م.
٦٥. **الدراية في علم مصطلح الحديث** ، الشهيد الثاني زين الدين العاملي ، مطبعة النعمان ، النجف.
٦٦. **الدرة البهية** ، مخطوطة مكتبة مدرسة السيد البروجردي في النجف ، رقم ٢٦٦ ، مرزوق بن محمد بن عبد الله الشوبكي البحراني.
٦٧. **دروس في علم الاصول** ، محمد باقر الصدر ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ط ١.
٦٨. **دلائل الصديق** ، محمد حسن المظفر ، القاهرة ، دار العلم ، ١٣٩٦ هـ ، ط ١.
٦٩. **دليل القضاء الشرعي** ، اصوله وفروعه ، محمد صادق بحر العلوم ، مطبعة النجف ١٣٧٥ هـ.
٧٠. **الدولة الحمدانية في الموصل وحلب** ، الدكتور فيصل السامر ، مطبعة الايمان ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٧٠ م.
٧١. **دمية القصر وعصرة أهل العصر** ، ابوالحسن علي بن الحسن بن علي الباخري ، تحقيق الدكتور سامي مكّي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ.
٧٢. **ديوان المؤيد** ، المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٤٩ م.
٧٣. **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ، اغا بزرك الطهراني ، مطبعة القضاء ، النجف.
٧٤. **ذيل تجارب الامم** ، ظهير الدين ابوشجاع محمد بن الحسين الروداوري ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، مصر ، ١٣٣٤ هـ.
٧٥. **الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب** ، زين الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن احمد الحنبلي الدمشقي البغدادي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٢٧٢ هـ.
٧٦. **الرجال** ، ابوالعباس احمد بن علي النجاشي مطبعة مصطفىوي.
٧٧. **الرجال** ، الشيخ ابو جعفر الطوسي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ط ١ ، ١٣٨١ هـ. تقلد السيد محمد صادق بحر العلوم.
٧٨. **روضات الجنات في احوال العلماء والسادات** ، محمد باقر الخوانساري ، طهران ، ١٣٩٠ هـ.
٧٩. **الروضة البهية في الطرق الشيعية** ، سيد شفيق ابن السيد علي أكبر الحسيني الموسوي ، طبع حجري.
٨٠. **رياض العلماء** ، مخطوطة مكتبة الامام الحكيم العامة في النجف ، الميرزا عبد الله بن الميرزا عيسى الاصفهاني الافندي.
٨١. **السرائر** ، ابن ادريس ابو جعفر محمد بن منصور بن احمد بن ادريس العجلي الحلبي ، طبع حجري ايران ، ١٢٧٠ هـ.
٨٢. **سر السلسلة العلوية** ، ابو نصر سهل بن عبد الله بن داود البخاري ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٨٢ هـ.

٨٣. سنن الترمذي ، الترمذي ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ ، ١٣٨٣ هـ .
٨٤. شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ابوالفلاح عبدالحلي الحنبلي ابن العماد ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٢ هـ .
٨٥. شرح الاصول الخمسة ، القاضي عبدالجبار احمد الهمداني ، تحقيق عبدالكريم عثمان ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ، ط ١ .
٨٦. شرح عقائد الصدوق ، الشيخ المفيد ، النجف ، ١٣٨١ هـ ، ط ١ .
٨٧. شرح نهج البلاغة ، للامام علي ابن ابي طالب ، محمد عبده ، بيروت .
٨٨. الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ، علي جواد الطاهر ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٨ م .
٨٩. الشيعة وفنون الإسلام ، حسن الصدر ، صيدا ، مطبعة العرفان ، ١٣٣١ هـ .
٩٠. صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل ابن إبراهيم ، المطبعة الاميرية ببولاق ، مصر ، ١٣١٢ هـ .
٩١. ضبط التاريخ بالاحرف ، جعفر نقدي .
٩٢. ضحى الإسلام ، احمد امين بيروت ، لا ، ت ، ط ١٠ .
٩٣. الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان ، علي رمضان ، كلية دار العلوم ، القاهرة ، رسالة ماجستير ، ١٤٠٠ هـ .
٩٤. طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين ابونصر عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق ، عبدالفتاح محمد الجلو ، مطبعة عيسى البابي ، ط ١ ، ١٣٨٥ هـ .
٩٥. العالم الإسلامي في العصر العباسي ، الدكتور حسن احمد محمود والدكتور احمد إبراهيم شريف ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط ١ ، .
٩٦. عقائد الامامية ، محمد رضا المظفر ، دار الغدير ، بيروت ، لا . ت .
٩٧. عقائد الامامية الاثني عشرية ، إبراهيم الموسوي الزنجاني ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ .
٩٨. علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ، الدكتور ناجي معروف ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٩٣ هـ .
٩٩. عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب ، جمال الدين احمد بن علي بن الحسن بن علي بن مهنا الداودي الحسيني ، ابن عتبة ، المطبعة الحيدرية ، النجف .
١٠٠. عيون اخبار الرضا ، ابوجعفر محمد بن علي ، الصدوق ، تصحيح السيد ، مهدي الحسيني اللاجوردي ، طبعة دار العلم ، قم ، ١٣٧٧ هـ .
١٠١. عيون الرجال ، الصدر حسن السيد هادي الكاظمي ، مطبعة تصوير عالم بريس ، لكنهو ، الهند .
١٠٢. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، مطبعة الحلبي ، مصر ، ١٩٦٢ م .

١٠٣. **الفتاوى الواضحة** ، محمد باقر الصدر ، دار المعارف للمطبوعات ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨١ م.
١٠٤. **فرحة الغري في تعين قبر اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (ع) في النجف** ، غياث الدين عبد الكريم ابن طاووس ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ط ٢ ، ١٣٦٨ هـ.
١٠٥. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم** ، عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ.
١٠٦. **فضائح الباطنية** ، ابواحمد الغزالي ، تحقيق عبدالرحمن بدوي ، الدارالقومية ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ.
١٠٧. **الفهرست** ، محمد بن اسحاق بن النديم ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة.
١٠٨. **الفهرست** ، الشيخ ابوجعفر الطوسي ، تعليق محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ط ٢ ، ١٣٨٠ هـ.
١٠٩. **فقهاء الفيحاء وتطور الحركة الفكرية في الحلة** ، هادي السيد احمد كمال الدين ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٢ م.
١١٠. **قاموس الرجال** ، محمد تقي التستري ، المطبعة العلمية ، قم ، ١٣٨٧ هـ.
١١١. **القاموس المحيط** ، محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، المطبعة الميرية ببولاك ، مصر ، ١٣٠١ هـ ، ط ١.
١١٢. **القرآن في الإسلام** ، محمد حسين الطباطبائي ، تعريب احمد الحسيني ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ ، ط ١.
١١٣. **القرآن المجيد** ، محمد عزة دروزة ، بيروت ، لا. ت.
١١٤. **قواعد المنهج السلفي والنسق الإسلامي في مسائل الألوهية والعالم والانسان عند ابن تيمية** ، الدكتور مصطفى حلمي ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ ، ط ١١.
١١٥. **الكامل في التاريخ** ، ابن الأثير ، عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ، المطبعة الازهرية المصرية ، ط ١ ، ١٣٠١ هـ.
١١٦. **كتاب الاربعين حديثا** ، محمد بن مكي العاملي الشهيد الاول ، طبع حجري ، طهران ، ١٣١٨ هـ.
١١٧. **الكشاف في تفسير القرآن** ، جارالله الزمخشري ، المطبعة العامرة الشريفة ، القاهرة ، ١٣٠٧ هـ ، دارالمعرفة ، بيروت ، لا. ت.
١١٨. **كشف الحجب والاسرار عن اسماء الكتب والاسفار** ، الكنتوري اعجاز حسين النيسابوري ، مطبعة بيتس مثن ، كلكتا ، ١٣٣٠ هـ.
١١٩. **لباب الالقباب في القاب الاطياب** ، الشيخ حبيب الله كاشاني ، مطبعة مصطفى ، قم ، ١٣٧٨ هـ.
١٢٠. **اللباب في تهذيب الانساب** ، ابن الأثير ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٦ هـ.
١٢١. **لسان العرب** ، ابن منظور ، المطبعة الاميرية ببولاك ، ١٣٠٠ هـ ، ط ١.
١٢٢. **لسان الميزان** ، ابن حجر العسقلاني ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند ، ١٣٣١ هـ ، ط ١.
١٢٣. **ماضي النجف وحاضرها** ، جعفر باقر محبوبية ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٣٥٣ هـ.
١٢٤. **المبسوط** ، الشيخ ابو جعفر الطوسي ، طبع حجري.

١٢٥. **مجمع البحرين** ، الطريحي فخرالدين بن محمد علي الرماحي ، النجفي ، تحقيق السيد احمد الحسيني ، مطبعة الاداب ، النجف ، ط ١ ، ١٣٨٦ هـ.
١٢٦. **مجمع البيان** ، الطبرسي ، داراحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ.
١٢٧. **مجموعة الرسائل الكبرى** ، ابوالعباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية.
١٢٨. **محاضرات في تفسير القرآن الكريم** ، اسماعيل الصدر ، النجف ، لا . ت.
١٢٩. **محاضرات من الشعر الفارسي والحضارة الإسلامية في ايران** ، الدكتور علي اكبر فياض ، مطابع الاصلاح ، الاسكندرية.
١٣٠. **المختصر في اخبار البشر** ، عماد الدين اسماعيل ابو الفداء ، المطبعة الحسينية المصرية ، ط ١ ، ١٣٢٥ هـ.
١٣١. **مذاهب الإسلاميين** ، الدكتور عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧١ م.
١٣٢. **مراة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان** ، البلاغي ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي اليمني المكّي ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدرآباد الدكن ، ط ١ ، ١٣٣٨ هـ.
١٣٣. **المراجعات** ، عبدالحسين شرف الدين ، القاهرة ، ١٣٩٧ هـ ، ط ١٩.
١٣٤. **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، المسعودي ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الرجاء للطباعة ، مصر.
١٣٥. **مستدرك الوسائل** ، الميرزا محمد حسين الطبري النوري ، مطبعة دار الخلافة ، طهران ، ١٣١٨ هـ.
١٣٦. **مصباح المتعبد وسلاح المتعبد** ، الشيخ ابوجعفر الطوسي ، تقدم اسماعيل الانصاري الزنجاني ، قم.
١٣٧. **مصفى المقال في مصنفي علم الرجال** ، اغا بزرك الطهراني ، مطبعة دولتي ، ايران ، ط ١ ، ١٣٨٧ هـ.
١٣٨. **معتزلة** ، زهدي حسن جارالله ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ.
١٣٩. **معجم الادباء** ، شهاب الدين ابوعبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، مطبعة دار المامون ، مصر.
١٤٠. **معجم المؤلفين** ، عمر رضا كحالة ، مطبعة الترتي ، دمشق ، ١٩٧٥ م.
١٤١. **المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم** ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ.
١٤٢. **المغني في ابواب التوحيد والعدل** ، القاضي عبد الجبار ، تحقيق الدكتور ابوالعلا عفيفي ، مطبعة دارالكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م.
١٤٣. **مفاتيح الغيب** ، فخرالدين محمد بن عمر الرازي ، المطبعة البهية ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ ، ط ١.
١٤٤. **مقالات الإسلاميين** ، ابوالحسن الأشعري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ ، ط ٢.
١٤٥. **المقدمة** ، ابن خلدون ، بيروت ، ١٩٥٦ م.

١٤٦. مقدمة ديوان الرضي ، عبدالحسين الحلبي ، المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٣٠٧ هـ.
١٤٧. مقدمة في اصول التفسير ، ابن تيمية ، تحقيق عدنان زرزور ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ ، ط ٢.
١٤٨. الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ.
١٤٩. مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، لا. ت.
١٥٠. المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد ، الدكن ، ط ١ ، ١٣٥٩ هـ.
١٥١. مهج الدعوات ومنهج العبادات ، غياث الدين عبد الكريم ابن طاووس ، طبع ١٣٢٣ هـ.
١٥٢. الموافقات في اصول الشريعة ، ابو اسحاق الشاطبي ، شرح الشيخ عبد الله دراز ، مصر ، ١٣٨٨ هـ.
١٥٣. موسوعة العتبات ، جعفر الخليلي ، النجف ، لا. ت.
١٥٤. الناسخ والمنسوخ ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد العتائقي الحلبي ، تحقيق عبد الهادي الفضلي ، النجف ، لا. ت.
١٥٥. نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن ، الدكتور احمد خليل ، الاسكندرية ، ١٣٧٣ هـ ، ط ١.
١٥٦. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، الدكتور علي سامي النشار ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، ط ٧.
١٥٧. الوجيزة ، محمد باقر المجلسي ، مطبعة دار الخلافة ، طهران.
١٥٨. وفيات الاعيان ، شمس الدين احمد بن ابي بكر بن خلكان ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ١ ، ١٣٦٧ هـ.
- المجلات :

١. مجلة الإسلام ، القاهرة.

٢. مجلة رسالة الإسلام ، كلية اصول الدين ، السنة ٥ ، العدد ١.

٣. مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٤ ، ج ٢.

## الفهرس

٥	الإهداء .....
<b>Error! Bookmark not defined.</b>	المقدمة .....
<b>الباب الاول : الطوسي ؛ حياته ، ثقافته ، عصره</b>	
١٣	الفصل الاول : حياة الشيخ الطوسي وثقافته .....
١٣	حياة الشيخ الطوسي .....
١٧	أ ( من اعلام أهل السنة .....
١٨	ب ( من اعلام الشيعة .....
١٩	شيوخه .....
٢٣	تلاميذ الشيخ الطوسي .....
٢٥	ثقافة الشيخ الطوسي .....
٣٥	مؤلفات الشيخ الطوسي .....
٤٤	الشيخ الطوسي وزعامته الفكرية للإمامية .....
٤٧	الشيخ الطوسي ومدرسته في النجف الأشرف .....
٥٢	اولاده .....
٥٣	وفاة الشيخ الطوسي .....

الفصل الثاني : عصر الطوسي ..... ٥٥

عصر الشيخ الطوسي ..... ٥٥

### الباب الثاني : منهجية الشيخ الطوسي في تفسيره

الفصل الأول : نشأة التفسير وتطور مناهجه ..... ٧٣

وصف مجمل لتفسير التبيان ..... ٧٣

وصف مجمل للتبيان ..... ٨٦

الفصل الثاني : الجانب العقلي في التبيان ..... ٩٥

١ . موقف الطوسي من النظر والاستدلال في آيات الله ..... ٩٦

٢ . رفضه للفكرة القائلة بأن المعارف ضرورية ..... ٩٨

٣ . رفضه التقليد في أصول الدين ..... ٩٩

٤ . تأكيده على أهمية العقل واعتباره حجة ..... ١٠١

٥ . وجود بعض الإشارات العلمية في تفسير التبيان ..... ١٠٣

٦ . موقف الشيخ الطوسي من عقائد الإمامية ..... ١٠٤

٧ . ردوده على المفسرين ومناقشته لآرائهم ..... ١٠٥

١ . الطوسي والبلخي ..... ١٠٥

٢ . الطوسي والطبري ..... ١٠٧

٣ . الشيخ الطوسي والرماني ..... ١١٠

٤ . الشيخ الطوسي والجبائي ..... ١١٢

٥ . مناقشته لأهل الكتاب والفرق الإسلامية ..... ١١٤

الفصل الثالث : الجانب الأثري في التبيان ..... ١٢٧

تفسير القرآن بالقرآن ..... ١٢٧

اعتماده مبدا السياق والنظم في القرآن ..... ١٤١

التفسير بالسنة ..... ١٤٥

١٥٣	اعتماده للأحاديث في بيان الأحكام
١٥٥	اعتماده الأحاديث والاحبار في معرفة أسباب النزول
١٥٨	اعتماده الحديث والاحبار في تفسيره للآيات القرآنيّة
١٦٦	موقفه من التوراة والإنجيل
١٦٩	الفصل الرابع : الجانب اللغوي في التبيان
١٦٩	اللغة
١٨٣	النحو
١٩٧	القراءة
٢١١	الشعر

### الباب الثالث : علوم القرآن والعقائد

<b>Error! Bookmark not defined.</b> ..... الفصل الأول : الشيخ الطوسي وعلوم القرآن	
٢٣١	النسخ في القرآن الكريم
٢٣٨	اسباب النزول
٢٤٧	الحكم والمتشابه
٢٥٠	آيات الأحكام
٢٥٧	التأويل
..... الفصل الثاني : الشيخ الطوسي وعقائد الإماميّة	
٢٦١	التوحيد
٢٦٣	صفات الله تعالى
٢٦٤	خلق القرآن
٢٧١	العدل
٢٧٤	أفعال العباد
٢٧٦	الحسن والقبح
٢٨٠	

٢٨٢	.....	النَّبوة
٢٨٥	.....	الإمامة
٢٩٢	.....	التقية
٢٩٤	.....	المتعة
٢٩٦	.....	المعاد
٢٩٩	.....	الشفاعة

### الخاتمة

٣٠٣	.....	الخاتمة
<b>Error! Bookmark not defined.</b>	.....	فهرس المصادر والمراجع
٣١٦	.....	المجلات